مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي

سيجمند فرويد

ثلاث رسائل في نظرية الجنس

بإشراف الدكتور محمد عثمان نجاتي

دار الشروق

ثلاث رسائل

في نظرية الجنس

الطبعة الثانية

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بيروت [illegible] SHOROK 20175 LE
القاهرة [illegible] SHROUK UN
SHOROUK INTERNATIONAL 316 318 REGENT STREET LONDON W1 UK TEL 637 274314 TELEX SHOROK 25779G

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي
بإشراف الدكتور محمد عثمان نجاتي

ثلاث رسائل
في نظرية الجنس

الطبعة الثانية

تأليف
سيجمند فرويد

ترجمة
الدكتور محمد عثمان نجاتي
استاذ علم النفس بجامعة القاهرة
وجامعة الكويت
وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الشروق

هـذا الكِتاب

ظهر كتاب «ثلاث رسائل في نظرية الجنس» لأول مرة باللغة الألمانية في عام ١٩٠٥ بفيينا . ثم ظهرت بعد ذلك عدة طبعات جديدة للكتاب باللغة الألمانية أيضاً في الأعوام ١٩١٠ ، ١٩١٥ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٥ . وظهر الكتاب أيضاً في الجزء الخامس من «مجموعة مؤلفات فرويد» Gesammelte Schriften في عام ١٩٢٤ بفيينا ، وفي الجزء الخامس من «مجموعة أعمال فرويد» "Gesammelte Werke" في عام ١٩٤٢ . ثم ظهرت ترجمة إنجليزية لهذا الكتاب بأمريكا عام ١٩١٠ بقلم أ. أ. بريل A. Brill ، ثم أعيد طبعها في الأعوام ١٩١٦ ، ١٩١٨ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٨ (في مجموعة «المؤلفات الأساسية لسيجمند فرويد») ، ثم ظهرت ترجمة إنجليزية أخرى في لندن عام ١٩٤٩ بقلم جيمس ستراشي James Strachey . وظهرت أول ترجمة عربية لهذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٦٠ بقلم محمد عثمان نجاتي . وقد اعتمدت الترجمة العربية أساساً على الترجمة الإنجليزية الأخيرة .

ثم صدرت صورة مراجعة ومعدلة لهذه الترجمة الإنجليزية الأخيرة في عام ١٩٥٣ (The Standard Edition) . ثم روجعت هذه الترجمة الإنجليزية مرة أخرى وعدّلت وصدرت في عام ١٩٦٢ ، وأعيد طبعها في عام ١٩٧٥ .

وقد روجعت الترجمة العربية لهذا الكتاب على هذه الطبعة الإنجليزية الأخيرة الصادرة في عام ١٩٧٥ ، وأدخلت فيها تعديلات كثيرة ، كما أضيف كثير من الهوامش الجديدة التي كان فرويد يضيفها في طبعات الكتاب الجديدة متضمنة ما وصل إليها من آراء جديدة .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

الرسالة الثانية

صفحة

الرسالة الثالثة

صفحة

مُقَـدّمَة المتـَـرْجم

لعل من أجرأ آراء فرويد وأطرفها آراءه المتعلقة بالغريزة الجنسية ومراحل نموّها وما يرتبط بها من اضطرابات وانحرافات مختلفة . وكانت آراء فرويد في الجنس بعامة ، وفي الجنس عند الأطفال بخاصة موضع كثير من الاعتراضات والانتقادات . وقد أحدث كتابه « ثلاث رسائل في نظرية الجنس » ـ وهو الكتاب الذي يعتبر أهم وأشمل مرجع يتضمن نظرية فرويد في الجنس ـ ضجة كبيرة بين الأوساط العلمية ، وقوبل بمعارضة شديدة بين المفكرين ، حتى بين تلاميذ فرويد وأتباعه .

لقد قام فرويد بتوسيع مفهوم الجنس ، فلم يجعله مقصوراً فقط على المعنى الشائع للجنس وهو النشاط الجنسي الذي يحدث أثناء المراهقة وبعدها ، بل إنه أدخل تحت مفهوم الجنس أيضاً كثيراً من أنواع السلوك الطفلي التي تبدو للأشخاص العاديين بعيدة كل البعد عن الناحية الجنسية .

واستمدَّ فرويد من ملاحظاته ودراساته التحليلية للانحرافات الجنسية والأمراض العصابية والسلوك الجنسي عند الأطفال كثيراً من المعلومات الهامة عن الوظيفة الجنسية ، ومراحل نموها ، والعوامل المختلفة التي تؤثر في سير نموّها السوي ، والعوامل التي قد تعوق النموّ الجنسي السوي فتنشأ عن ذلك الانحرافات والأمراض العصابية . وقد تضمن هذا الكتاب الذي نقدمه الآن نتيجة هذه الملاحظات والدراسات .

ويتضمن الكتاب ثلاث رسائل ، تعالج الرسالة الأولى موضوع

الانحرافات الجنسية ، وتحاول تفسيرها وشرح العوامل المختلفة التي تساعد على حدوثها . ولقد تبيّن لفرويد من هذه الدراسة أن للعوامل التي تؤثر في السلوك الجنسي أثناء مرحلة الطفولة أهمية في تكوين الانحرافات ، ولذلك قام فرويد في رسالته الثانية «الجنس عند الأطفال» بدراسة السلوك الجنسي عند الأطفال والعوامل المختلفة التي تؤثر فيه . ثم رأى فرويد بعد ذلك أنه من الضروري أن يتتبع دراسته للسلوك الجنسي إلى مرحلة المراهقة ، وأن يدرس التغيرات التي تحدث في هذا السلوك بحلول هذه المرحلة . وقد خصص فرويد رسالته الثالثة لدراسة «تحوّلات البلوغ» .

حاول فرويد في خلال هذه الرسائل الثلاث أن يبيّن اتجاه النموّ الجنسي السوي ، والعوامل المختلفة التي تؤثر في هذا النموّ ، وأن يشرح العوامل التي يمكن أن تعطل هذا النموّ وتؤدي إلى الانحرافات الجنسية . وقد جاءت آراؤه في تفسير الانحرافات متناثرة في مواضع كثيرة في خلال هذه الرسائل الثلاث . ولقد رأيت ، توخياً للفائدة ، أن أجمع هذه الآراء وأقوم بتلخيصها وعرضها في مقدمة الكتاب ، وبذلك يستطيع القارئ أن يلم بمجهود قليل بأهم آراء فرويد في أسباب الانحرافات الجنسية . وسيكون هذا التلخيص مفيداً للقارئ فيما بعد أثناء قراءته للكتاب حيث تساعده على تتبع هذه الآراء والربط بينهما .

الانحرافات الجنسية

يصنف فرويد الانحرافات الجنسية عامة إلى قسمين رئيسيين . يشمل القسم الأول الانحرافات المتعلقة بالموضوع الجنسي ، أي الأشخاص والأشياء التي تتعلق بها الغريزة الجنسية . ويشمل القسم الثاني الانحرافات المتعلقة بالهدف الجنسي ، أي العملية النهائية التي تحدث الإشباع الجنسي .

الانحرافات المتعلقة بالموضوع الجنسي :

من أهم أنواع الانحرافات التي تتعلق باختيار الموضوع هي الارتكاس ، واتخاذ الأطفال والحيوانات كموضوعات جنسية .

١ ـ الارتكاس :

الارتكاس هو الميل الجنسي إلى أفراد من نفس الجنس . وقد اهتم كثير من المفكرين من قبل بمشكلة الارتكاس وحاولوا تفسيرها ، وظهرت في هذا الصدد عدة آراء .

أ ـ الارتكاس انحلال عصبي فطري :

ذهب بعض المفكرين السابقين إلى أن الارتكاس دليل فطري على الانحلال العصبي . ويرى فرويد أن هذا الوصف للارتكاس يتضمن فرضين هما : أنه انحلال ، وأنه فطري . وقد ناقش فرويد الفرض الخاص بالانحلال وفنده . ثم ناقش الفرض الخاص بالفطرية وقال إنه لا توجد أدلة محققة تثبت أن الارتكاس فطري فقط . ورأى أيضاً أنه من الصعب في الوقت ذاته اعتبار الارتكاس ظاهرة مكتسبة فقط . وانتهى من مناقشته إلى أنه لا يمكن تفسير الارتكاس على أساس أنه فطري فقط ، أو مكتسب فقط ، فليس عاملا الوراثة والبيئة مستقلين كل منهما عن الآخر ، بل إنهما متعاونان ومتفاعلان ، وإن التفسير الصحيح للارتكاس يجب أن يراعي هذا التفاعل بين عاملي الوراثة والبيئة .

ب ـ الثنائية الجنسية :

حاول بعض المفكرين السابقين تفسير الارتكاس على أساس استعداد الثنائية الجنسية (أي الخنوثة) ، وهي وجود الخصائص الجنسية لكل من الجنسين في فرد واحد . فقد بيَّنت الدراسات التشريحية وجود الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية جنباً إلى جنب عند بعض الأفراد . واستنتج بعض المفكرين من ذلك أن استعداد الثنائية الجنسية التشريحية كان

موجوداً في الأصل عند كل فرد ، ثم قاموا بتطبيق فكرة الثنائية الجنسية في المجال النفسي ، وافترضوا وجود استعداد الثنائية الجنسية النفسية عند كل فرد ، أي افترضوا وجود الخصائص والاتجاهات النفسية لكل من الجنسين عند كل فرد . وقد اعتبر هؤلاء المفكرون الارتكاس تعبيراً للخنوثة النفسية . غير أن فرويد وجّه بعض الانتقادات إلى هذا الرأي ، وذهب إلى أنه لا يمكن قبول استعداد الثنائية الجنسية كتفسير عام للارتكاس .

٢ ـ الأطفال والحيوانات كموضوعات جنسية :

ومن أنواع الانحرافات المتعلقة بالموضوع الجنسي أيضاً اتخاذ أفراد غير ناضجين جنسياً (الأطفال) كموضوعات جنسية . وفي بعض أنواع الانحرافات الأخرى يقوم الأفراد باتخاذ الحيوانات كموضوعات جنسية ، كما يحدث بين بعض سكان الريف .

النتائج :

يستنتج فرويد من دراسته السابقة لظاهرة الارتكاس أنه لا توجد علاقة وثيقة ثابتة بين الغريزة الجنسية وبين الموضوع الجنسي ، وأنه من الممكن أن يحدث تغيير في موضوع الغريزة الجنسية تبعاً لكثير من العوامل والظروف . ويستنتج أيضاً من دراسته للانحرافات الأخرى المتعلقة بالموضوع الجنسي كاتخاذ الأطفال أو الحيوانات كموضوعات جنسية أن موضوع الغريزة الجنسية يمكن أن يتضاءل في أهميته وقيمته عند كثير من الأفراد وتحت كثير من العوامل .

الانحرافات المتعلقة بالهدف الجنسي :

إن الهدف الجنسي السوي هو العملية التناسلية بين الرجل والمرأة وما

تؤدي إليه من إشباع للدافع الجنسي . ويتضمن بلوغ الهدف الجنسي عادة بعض العلاقات المتوسطة بالموضوع الجنسي مثل لمسه وتقبيله وهي عمليات تمهيدية للاتصال الجنسي . ويحدث في بعض الحالات أن تزداد أهمية هذه العلاقات المتوسطة التمهيدية وتصبح في ذاتها أهدافاً جنسية نهائية . ومن هنا تنشأ الانحرافات الجنسية . ومن الممكن أن نميز في هذا الصدد بين نوعين من هذه الانحرافات :

١ ـ تعلق النشاط الجنسي بمناطق بدنية غير مخصصة للتناسل :

ومن أمثلة هذه الانحرافات اتخاذ الفم أو اللسان أو الشرج كأعضاء جنسية . ومن أنواع هذه الانحرافات أيضاً ما يعرف بالفتيشية ، وهي الانحرافات التي يتعلق فيها النشاط الجنسي ببعض مناطق بدنية غير مناسبة إطلاقاً للنشاط الجنسي مثل القدم أو الشعر .

٢ ـ تثبيت النشاط الجنسي عند بعض الأهداف الأولية التمهيدية :

قد تتدخل بعض العوامل الخارجية أو الداخلية فتعوق بلوغ الهدف الجنسي النهائي ، ويؤدي ذلك إلى تثبيت اللذة الجنسية عند بعض العمليات التمهيدية ، وإلى تحويلها إلى أهداف جنسية نهائية . ومن أمثلة ذلك ما يحدث في حالات « محبي النظر » الذين يقتصر هدفهم الجنسي على النظر إلى الأعضاء التناسلية للآخرين ، دون أن يتجاوز نشاطهم الجنسي مرحلة النظر إلى الاتصال الجنسي الحقيقي . ومن أمثلة ذلك أيضاً « العَرْض » وهو التلذذ الجنسي من عرض الفرد لأعضائه التناسلية .

النتيجة :

يستنتج فرويد من دراسته للانحرافات المتعلقة بالهدف الجنسي أن الغريزة الجنسية قد لا تكون أمراً بسيطاً ، وإنما هي مركبة من عدد

من الغرائز الجزئية ، وأن هذه الغرائز الجزئية تتحد أثناء النمو لتكون النشاط الجنسي السوي . أما إذا وجدت بعض العوامل التي تعوق سير النمو الجنسي السوي ، فإنه من الممكن أن يحدث تفكك لأجزاء الغريزة الجنسية . وتنشأ الانحرافات الجنسية نتيجة لهذا التفكك . فالانحرافات الجنسية إذن هي ، أولاً ، كف وتعطيل للنمو السوي ، ثم هي ، ثانياً ، تفكك للنشاط الجنسي السوي .

الغرائز الجنسية الجزئية :

ولكن ما هي الغرائز الجنسية الجزئية ؟ يذهب فرويد إلى أنه توجد بالبدن مناطق شبقية معينة ، وأنه تصدر عن هذه المناطق الشبقية استثارات جنسية . ويعتبر فرويد هذه الاستثارات الجنسية الصادرة عن المناطق الشبقية غرائز جنسية جزئية . وتتحد هذه الغرائز الجنسية الجزئية في النشاط الجنسي السوي حينما يبلغ الفرد مرحلة النضج الجنسي أثناء البلوغ . فإذا وجدت موانع تعوق من اتحادها فإنها تظل في حالة تفكك كما كانت أثناء الطفولة . ولهذا السبب يمكن أن نقول ان الجنس عند المنحرفين (وكذلك عند العصابيين الذين يعتبرهم فرويد منحرفين سلبيين) في حالة طفلية . ولكي يزداد فهمنا للانحرافات يحسن بنا أن ندرس النشاط الجنسي عند الأطفال .

الجنس عند الأطفال

من الأخطاء الشائعة بين الناس أن النشاط الجنسي لا وجود له أثناء الطفولة ، وأنه يبدأ فقط عند البلوغ . غير أن دراسة فرويد للأمراض العصابية قد بينت له بشكل واضح وجود النشاط الجنسي أيضاً أثناء الطفولة ، غير أن هذا النشاط الجنسي يختلف في صورته عن النشاط

الجنسي لدى البالغ . وقد استنتج فرويد من تحليله لمظاهر النشاط الجنسي الطفلي أن بذور الدوافع الجنسية موجودة في الطفل الحديث الولادة ، وأن هذه البذور تمر بمراحل معينة من النمو قبل أن تزدهر بشكل واضح عند البلوغ . ويذكر فرويد خمس مراحل هامة لنمو الغريزة الجنسية هي : المرحلة الفمية ، والمرحلة الشرجية ، والمرحلة القضيبية ، ومرحلة الكمون ، ثم مرحلة البلوغ (انظر الهامش رقم ٣ صفحة ٩٦) .

خصائص النشاط الجنسي الطفلي :

لمظاهر النشاط الجنسي عند الأطفال خصائص رئيسية . ونحن نستطيع أن نتبين هذه الخصائص من دراسة « مصِ الإبهام » الذي يعتبره فرويد مثالاً للنشاط الجنسي الطفلي .

١ ـ الشبقية الذاتية :

أن أوضح خاصة للنشاط الجنسي الطفلي ، كما يتضح من دراسة ظاهرة « مص الإبهام » ، هي أنه نشاط شبقي ذاتي ، أي أن الغريزة الجنسية تستمد الإشباع فيه من بدن الفرد ذاته .

٢ ـ الارتباط بالوظائف البدنية الهامة :

تتصرف شفتا الطفل في عملية مص الإبهام كأنها منطقة شبقية ، وأن اللذة التي يستمدها الطفل من هذه العملية هي عبارة عن تكرار للذة سابقة كان يشعر بها من مص ثدي أمه أثناء إشباع حاجته للغذاء . ويتضح من ذلك أن مص الإبهام ، وهو نشاط جنسي في أساسه ، كان مرتبطاً في أول الأمر بإحدى الوظائف البدنية الهامة ، ولكنه انفصل عنها فيما بعد وأصبح مستقلاً .

٣ ـ الهدف الجنسي :

إن الهدف الجنسي للغريزة الجنسية الطفلية هو الحصول على الإشباع عن طريق تنبيه إحدى المناطق الشبقية بالبدن تنبيهاً ملائماً . وتوجد بالبدن مناطق شبقية متميزة على وجه خاص ، وهي المنطقة الشفوية ، والمنطقة الشرجية ، والمنطقة التناسلية . غير أنه من الممكن أيضاً أن يصبح أي جزء آخر من الجلد أو الغشاء المخاطي منطقة شبقية إذا نبهت تنبيهاً خاصاً ملائماً . ويتضح لنا من ذلك أن النشاط الجنسي الطفلي يخضع أساساً لسيطرة المناطق الشبقية ، وأن هذه التنبيهات الجنسية الصادرة عن هذه المناطق الشبقية المختلفة مستقلة كل منها عن الأخرى ، وأنها لم تتحد بعد ، كما أنه ليس لها موضوع واحد محدد كما يحدث أثناء البلوغ .

٤ ـ العمليات البدنية الداخلية :

ينشأ النشاط الجنسي أيضاً نتيجة لبعض العمليات البدنية الداخلية عندما تتجاوز شدتها حدوداً معينة . وإن ما سماه فرويد بالغرائز الجنسية الجزئية قد تنبعث مباشرة من هذه المصادر الداخلية ، أو قد تنبعث من عناصر من هذه المصادر ومن المناطق الشبقية .

٥ ـ اختلاف الجبلات الجنسية :

لا توجد مصادر النشاط الجنسي الطفلي المشار إليها سابقاً بقوة واحدة عند جميع الأطفال ، وهذا يرجع إلى اختلاف الجبِلّات الجنسية . ولهذا السبب يمكن أن نعتبر الاستعداد الجبلي الجنسي كأحد المصادر الهامة التي تشكل النشاط الجنسي الطفلي .

الاستعداد للانحراف عند الأطفال :

يتأثر الطفل بكثير من العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر في نموه

الجنسي . ومن أمثلة هذه العوامل الخارجية الإغواء الجنسي الذي يتعرض له بعض الأطفال تحت تأثير أطفال آخرين أكبر منهم سناً أو بعض الراشدين . وقد يؤثر الإغواء الجنسي (أو أي نشاط جنسي مبكر آخر) تأثيراً مضراً في الاطفال فيدفعهم إلى جميع أنواع الانحرافات والاضطرابات الجنسية . ويستنتج فرويد من ذلك أنه يوجد في استعداد الأطفال تهيؤ فطري لهذه الانحرافات والاضطرابات . غير أن هذا التهيؤ الفطري يتعاون ويتفاعل مع خبرات الحياة الواقعية .

النتيجة :

أمدتنا دراستنا للجنس عند الأطفال بمعلومات هامة عن طبيعة الغريزة الجنسية ، كما زادت فهمنا لطبيعة انحرافاتها . فقد اتضحت لنا من هذه الدراسة أهمية الدور الذي تقوم به المناطق الشبقية والغرائز الجنسية الجزئية في النشاط الجنسي الطفلي . وتؤكد هذه المعلومات التفسير الذي وضعه فرويد من قبل للانحرافات على أساس أنها كف للنموّ الجنسي السوي ، وتفكك للغريزة الجنسية إلى أجزائها . وبناء على ذلك ، تنشأ الانحرافات إذا حدثت عوائق تمنع من اتحاد الغرائز الجنسية الجزئية الطفلية في الوظيفة التناسلية عند بلوغ النضج الجنسي ، ويؤدي ذلك إلى بقائها في حالة تفكك وانفصال كما كانت أثناء مرحلة الطفولة .

وبينت دراستنا للجنس عند الأطفال أيضاً أهمية اختلاف الاستعدادات الجبلية الجنسية واختلاف الخبرات الواقعية في تحديد خطوط سير النموّ الجنسي ، وفي تحديد الاتجاه الذي سيسلكه النشاط الجنسي .

تحوّلات البلوغ

تحدث في البلوغ تغيرات هامة . فقد كانت الغريزة الجنسية من قبل

تقوم على أساس شبقي ذاتي ، أما أثناء البلوغ وبعدها فإنها تجد موضوعاً جنسياً خارجياً . وقد كان النشاط الجنسي من قبل مستمداً من المناطق الشبقية والغرائز الجنسية الجزئية التي كانت تسعى كل منها إلى اللذة مستقلة الواحدة منها عن الأخرى . أما الآن فإن هذه الغرائز الجنسية الجزئية تتحد وتتعاون للحصول على هدفها الجنسي الجديد وهو العملية الجنسية ، وتخضع جميع المناطق الشبقية في هذا التنظيم الجديد لرياسة المنطقة التناسلية .

اللذة التمهيدية واللذة النهائية :

تقوم المناطق الشبقية (وعلى الأخص المنطقة التناسلية) بدور هام في النشاط الجنسي السوي للمراهق ، إذ عنها يصدر مقدار معين من اللذة إذا نبهت تنبيهاً ملائماً . وتؤدي هذه اللذة إلى زيادة التوتر الذي يؤدي بدوره إلى إيجاد الطاقة الحركية اللازمة للقيام بالعملية الجنسية التي تؤدي إلى الشعور بلذة أكبر . ويسمي فرويد اللذة الصادرة عن المناطق الشبقية باللذة التمهيدية ، واللذة الصادرة عن إتمام العملية الجنسية باللذة النهائية . واللذة التمهيدية هي اللذة ذاتها التي كانت تصدر عن الغريزة الجنسية الطفلية . وتصبح اللذة التمهيدية في مرحلة البلوغ في خدمة اللذة النهائية ، أي أنها تستخدم للحصول على اللذة النهائية .

اللذة التمهيدية والانحرافات :

وللذة التمهيدية بعض الأخطار التي يمكن أن تؤدي إلى الانحرافات . فإذا حدث أن كانت اللذة التمهيدية أشد من اللازم ، وكان التوتر الناشئ عنها أضعف من اللازم ، فمن الممكن أن يضعف الدافع لإتمام العملية الجنسية ، ويتوقف النشاط الجنسي عند اللذة التمهيدية التي تعتبر عملية تمهيدية للاتصال الجنسي . وقد يؤدي ذلك إلى أن تحل اللذة التمهيدية محل اللذة النهائية ، وينشأ عن ذلك كثير من الانحرافات التي هي عبارة

عن تباطؤ عند الأفعال التمهيدية للعملية الجنسية .

ومما يساعد على حدوث ذلك تعرض بعض المناطق الشبقية أثناء الطفولة لاستثارات شديدة مما يجعلها تثير مقداراً شديداً من اللذة . وتقوم الأم عادة أثناء عنايتها بطفلها وفي توددها وتقبيله وهزه والربت عليه بإثارة مناطقه الشبقية ، ويمهد ذلك لشدة غريزته الجنسية فيما بعد ، وإلى حدوث النضج الجنسي المبكر . ويذهب فرويد إلى أن شدة الغريزة الجنسية ونضجها المبكر قد يكونان من العوامل التي تدفع الأفراد إلى القلق والانحرافات والاضطرابات العصابية .

العوامل الجِبِلية والعَرَضيَّة للانحرافات :

يفترض فرويد وجود اختلافات فطرية في الجبلات الجنسية لتفسير ازدياد شدة بعض المناطق الشبقية . وإذا حدث أن كانت بعض المناطق الشبقية شديدة للغاية ، أو إذا كان هناك ضعف فطري للمنطقة التناسلية وهي المنطقة التي تتولى جمع نشاط المناطق الشبقية الأخرى تحت رياستها في مرحلة البلوغ ، فإن هذا الجمع سينتهي إلى الفشل ، ويؤدي ذلك إلى استمرار النشاط الجنسي الطفلي في صورة انحرافات .

وللعوامل العرضية التي يتعرض لها الطفل في حياته سواء أثناء الطفولة المبكرة أو حياته المستقبلية أثر كبير أيضاً في الاتجاه الذي سيتخذه نشاطه الجنسي . ويجب أن نتصور أن العلاقة بين العوامل الجبلية والعوامل العرضية علاقة تعاون وتفاعل .

ويهتم فرويد بصفة خاصة بخبرات الطفولة المبكرة ، وهو يرى أن خبرات الطفولة تتميز بتشبثها وبقابليتها للتثبيت على وجه خاص عند الأفراد الذين سيصبحون فيما بعد عصابيين أو منحرفين . ولهذا السبب كان لبعض المؤثرات الخارجية مثل الإغواء الجنسي أثر كبير عند بعض الأطفال حيث تؤدي إلى تثبيت في صورة اضطراب جنسي أو انحراف .

وتنشأ معظم الانحرافات الجنسية والأعراض العصابية في رأي فرويد على هذا النحو من انطباعات الطفولة .

ويهتم فرويد بعامل النضج الجنسي المبكر سواء حدث بصورة تلقائية أو نتيجة لتأثيرات التنبيهات الخارجية . ويؤدي النضج الجنسي المبكر إلى حدوث اضطرابات جنسية تظهر فيما بعد في صورة انحرافات ، لأن عوامل الكبت العادية لم تكن قد نمت إلى درجة تكفي لضبط الاتجاه الجنسي في طريقه السوي ، ولأن الجهاز التناسلي لم ينم بعد إلى درجة تسمح له بالقيام بوظيفته الطبيعية .

ويستنتج فرويد من دراسته للعوامل الجبلية والعرضية أن أهم العوامل التي تساعد على حدوث الانحرافات والأمراض العصابية هي : الجبلة ، والمؤثرات الخارجية ، وخاصة التشبث الشديد لانطباعات الطفولة ، والنضج الجنسي المبكر .

النتيجة :

تتضح مما تقدم أهمية التنظيم الذي يحدث في مرحلة البلوغ بين الغرائز الجنسية الجزئية المتعلقة بالمناطق الشبقية المختلفة حيث تتحد تحت رياسة المنطقة التناسلية في الوظيفة التناسلية السوية . وقد تنشأ الأخطار إذا فشل هذا الاتحاد وبقيت الغرائز الجنسية الجزئية مستقلة بعضها عن بعض كما كانت أثناء الطفولة ، إذ يؤدي ذلك إلى الانحرافات والأمراض العصابية . ويمكن أن يحدث هذا الفشل تحت تأثير كثير من العوامل الجبلية والعرضية .

ملخص

نستطيع الآن أن نلخص آراء فرويد في الانحرافات الجنسية في النقط الرئيسية التالية :

١ ـ لا توجد علاقة وثيقة بين الغريزة الجنسية وموضوعها بحيث يمكن أن تحدث تغيرات كثيرة في الموضوع الجنسي تحت تأثير كثير من العوامل .

٢ ـ إن الغريزة الجنسية مركبة من غرائز جزئية . وتكون هذه الغرائز الجزئية متحدة في الوظيفة التناسلية السوية ، وهي تتفكك إلى أجزائها في الانحرافات . فالانحرافات ، إذن ، هي كفّ للنموّ الجنسي السوي من جهة ، وهي تفكك للغريزة الجنسية إلى أجزائها من جهة أخرى .

٣ ـ إن الغرائز الجنسية الجزئية مرتبطة بمناطق شبقية معينة . وتسهم هذه المناطق الشبقية في إحداث اللذة التمهيدية الضرورية لبلوغ اللذة النهائية التي تنتج عن العملية الجنسية . ويحدث في الانحرافات تثبيت عند هذه المناطق الشبقية ، فتحل اللذة التمهيدية محل اللذة النهائية .

٤ ـ تتكون العملية الجنسية من عمليات تمهيدية مثل اللمس والتقبيل ، وعملية نهائية وهي تفريغ الإفرازات الجنسية . ويحدث في الانحرافات تباطؤ عند العمليات التمهيدية التي تحل محل العملية الجنسية النهائية ، وتصبح أهدافاً جنسية نهائية .

٥ ـ من أهم العوامل التي تساعد على حدوث الانحرافات (والأمراض العصابية أيضاً) : الجبلة ، والمؤثرات الخارجية ، وخاصة التثبث الشديد لانطباعات الطفولة ، والنضج الجنسي المبكر .

محمد عثمان نجاتي

١٩٦٠/٤/١٨

تصدير المؤلِّف للطبعة الثانية[1]

لا يجهل المؤلف نواحي النقص والغموض في هذا الكتاب الصغير . ومع ذلك قاوم المؤلف فكرة كانت تغريه على إدخال نتائج أبحاث السنوات الخمس الأخيرة في هذا الكتاب ، لأن ذلك كان سيؤدي إلى الإخلال بوحدته وبقيمته كمرجع . ولذلك ، يقوم المؤلف بإعادة طبع الكتاب الأصلي مع تعديلات طفيفة فقط ، وهو يكتفي بإضافة هوامش قليلة تتميز عن الهوامش القديمة بعلامة « نجمة »[2] * . وفضلاً عن ذلك ، فإن المؤلف ليرجو كل الرجاء أن ينمو الكتاب بسرعة ـ فما كان فيه جديداً من قبل قد يصبح مقبولاً على وجه عام ، وما كان فيه غامضاً قد يستبدل به شيء آخر .

فيينا ، ديسمبر ، ١٩٠٩ .

(١) [حذف هذا التصدير ابتداء من طبعة ١٩٢٠ .]

(٢) [حذفت هذه العلامة في جميع الطبعات التالية .]

(ه) (توجد بالكتاب ثلاثة أنواع من الهوامش . هوامش وضعها القائم بالترجمة العربية ، وقد وضعت بين قوسين هلاليين ؛ وهوامش وضعها القائم بالترجمة الانجليزية ، وقد وضعت بين قوسين مضلعين ؛ وهوامش وضعها فرويد ، وهي لم توضع بين أقواس إطلاقاً .) (المترجم) .

تصدير المؤلّف للطبعة الثالثة

لقد كنت أرقب منذ أكثر من عشر سنوات الآثار التي أحدثها هذا الكتاب والطريقة التي قوبل بها . وإني أنتهز فرصة نشر طبعته الثالثة لأصدره بقليل من الملاحظات التي تهدف إلى منع وقوع بعض الأخطاء في الفهم ، وإلى منع تكوين بعض الآمال التي لا يمكن تحقيقها . ويجب أن أؤكد ، قبل كل شيء ، أن العرض الذي سيرد في الصفحات التالية يعتمد كلية على الملاحظة الطبية اليومية التي يجب أن تضيف إليها نتائج التحليل النفسي بعض العمق وبعض الدلالة العلمية . إنه من المستحيل أن تتضمن هذه «الثلاث رسائل في نظرية الجنس» شيئاً آخر غير ما يرى التحليل النفسي أنه من الضروري افتراضه ، أو أنه من الممكن توكيده . ولذلك ، فليس من الممكن على الإطلاق أن نعتبر هذه الرسائل «نظرية كاملة في الجنس» ، كما أنه من الطبيعي أن يوجد كثير من المشكلات الهامة في الحياة الجنسية التي لم تتناولها هذه الرسائل على الإطلاق . ولكن لا يجب أن يستنتج القارئ من ذلك أن الفروع التي أغفلت من هذا الموضوع الكبير غير معروفة للمؤلف ، أو أن المؤلف قد أغفلها لقلة أهميتها .

يقوم هذا الكتاب في أساسه على ملاحظات التحليل النفسي التي أدت إلى تأليفه ، ويتضح ذلك لا فقط في اختيار الموضوعات، التي يعالجها ، ولكن أيضاً في ترتيبها . فقد جاءت العوامل المختلفة في خلال الكتاب كله مرتبة ترتيباً خاصاً من حيث أولويتها : فقد أعطيت الأفضلية

للعوامل الطارئة ، بينما ترك الاستعداد في المؤخرة ، وقد أعطيت لنشوء الفرد أهمية أكبر من نشوء النوع . وذلك لأن العوامل الطارئة هي التي تقوم بالدور الأساسي في التحليل : إنها تكاد تخضع خضوعاً تاماً لتأثيره . وتظهر العوامل الاستعدادية فقط بعد العوامل الطارئة ، كأنها شيء قد أثارته الخبرة : إن بحثها بدقة قد يؤدي بنا إلى تجاوز دائرة التحليل النفسي .

إن العلاقة بين نشوء الفرد وبين نشوء النوع علاقة تشابه . فنشوء الفرد يمكن أن يعتبر كأنه خلاصة لنشوء النوع ، ما دام لم يحدث تعديل في نشوء النوع نتيجة للخبرات الحديثة . ومن الممكن أن نرى استعداد نشوء النوع من وراء عملية نشوء الفرد . ولكن الاستعداد هو في نهاية الأمر عبارة عن الراسب المتخلف من الخبرات المبكرة للنوع ، مضافة إليه خبرات الفرد الحديثة ومجموعة العوامل الطارئة .

وعلى أية حال ، فمن الواجب عليّ أن أؤكد أن الكتاب الحالي لا يتميز فقط بأن يعتمد في أساسه اعتماداً تاماً على بحث التحليل النفسي ، وإنما يتميز أيضاً بأنه مستقل عن البيولوجيا استقلالاً مقصوداً . ولقد حرصت على أن أتجنب إدخال أية آراء سابقة ــ سواء كانت مستمدة من النظريات البيولوجية الجنسية العامة ، أو من النظريات البيولوجية الجنسية لنوع خاص من الحيوان ــ في هذه الدراسة التي تعنى بالوظائف الجنسية للنوع البشري ، والتي قد أصبحت ممكنة بوساطة فن التحليل النفسي . وفي الحقيقة ، لقد كان هدفي هو أن أكتشف إلى أي حد يستطيع البحث السيكولوجي أن يلقي ضوءاً على بيولوجيا الحياة الجنسية عند الإنسان . وقد كان من حقي أن أبين أوجه العلاقة والاتفاق التي اتضحت لي أثناء بحثي ، ولكني لم أكن في حاجة إلى أن أتحول عن طريقي إذا ساقني منهج التحليل النفسي في كثير من النواحي الهامة إلى آراء ونتائج تختلف كثيراً عن الآراء التي تقوم على اعتبارات بيولوجية .

وقد أدخلت في هذه الطبعة الثالثة مقداراً كبيراً من المادة الجديدة ، ولكني لم أشر إليها بطريقة خاصة كما فعلت في الطبعة السابقة . إن تقدم البحث العلمي في ميداننا يسير بسرعة أقل في الوقت الحالي . ومع ذلك ، فقد كان من الضروري إدخال بعض الإضافات في هذا الكتاب ، إذا كان يراد له أن يبقى على اتصال بالأبحاث الحديثة في التحليل النفسي [1] .

فيينا ، اكتوبر ، ١٩١٤ .

---

(١) [ورد الهامش التالي في هذا الموضع في طبعة ١٩١٥ وحدها .] نشرت في نيويورك في عام ١٩١٠ ، بعد نشر الطبعة الثانية ، ترجمة انجليزية قام بها أ. أ. بريل A. A. Brill ؛ ونشرت في موسكو في عام ١٩١١ ترجمة روسية قام بها ن. أوسيوف N. Ossipow. [نشرت أيضاً أثناء حياة فرويد ترجمات هنغارية (١٩١٥) ، وإيطالية (١٩٢١) ، وأسبانية (١٩٢٢) ، وفرنسية (١٩٢٣) ، وبولندية (١٩٢٤) ، وتشيكوسلوفاكية (١٩٢٦) ، ويابانية (١٩٣١) .]

تصدير المؤلّف للطبعة الرابعة

إنه ليسرنا أن نستطيع الآن ، بعد أن هدأ فيضان الحرب ، أن نذكر هذه الحقيقة وهي أن الاهتمام ببحوث التحليل النفسي لا يزال شديداً في جميع أنحاء العالم . غير أن أجزاء النظرية المختلفة لم تتخذ كلها سيرة واحدة . إن البحوث والنتائج السيكولوجية البحتة للتحليل النفسي عن اللاشعور ، والكبت ، والصراع من حيث أنه سبب للمرض ، والفائدة الناتجة عن المرض ، وآلية (ميكانيزم) تكوين الأعراض ، الخ .. قد أصبحت تلاقي اعترافاً متزايداً ، كما أنها أصبحت تنال الاهتمام حتى من هؤلاء الأشخاص الذين يعارضون آراءنا على وجه عام . غير أن ذلك الجزء من النظرية الذي يقع على حدود البيولوجيا ، والذي يتضمن هذا الكتاب الصغير الأسس التي يقوم عليها ، لا يزال يلاقي معارضة كبيرة . وقد دفع هذا الجزء من النظرية أيضاً بعض الأفراد الذين كانوا في فترة ما يهتمون اهتماماً إيجابياً بالتحليل النفسي إلى تركه وإلى اعتناق آراء جديدة كان الغرض منها الحد مرة أخرى من الدور الذي يقوم به الجنس في الحياة العقلية السوية والمرضية .

وبالرغم من ذلك ، فإنني لا أستطيع أن أقبل فكرة أن هذا الجزء من نظرية التحليل النفسي يمكن أن يكون أبعد جداً من أجزاء النظرية الأخرى عن الحقيقة التي تعنى هذه النظرية بالكشف عنها . إن ذكرياتي ، وكذلك إعادة فحص المادة باستمرار ، لتؤكد لي أن هذا الجزء من النظرية يعتمد

أيضاً على الملاحظة الدقيقة المحايدة . وفضلاً عن ذلك ، فإنه ليس من الصعب أن نجد تفسيراً لهذا الاختلاف في القبول العام لآرائي . فأولاً ، إن ابتداء الحياة الجنسية الإنسانية الذي نصفه هنا إنما يمكن فقط أن يلقى تأييداً من الباحثين الذين يتوفر لديهم الصبر الكافي والخبرة الفنية لكي يرجعوا التحليل إلى السنوات الأولى من طفولـة المريض . وليس من الممكن القيام بذلك في الغالب ، لأن العلاج الطبي يتطلب ، على الأقل في الظاهر ، ضرورة معالجة المرض بسرعة . ومع ذلك ، فلا يستطيع أحد من غير الأطباء الذين يمارسون التحليل النفسي أن يتوصل إلى هذا المجال من المعرفة ، أو إلى إمكان تكوين حكم لا يكون متأثراً بكراهيته وتعصباته. فلو أن البشرية استطاعت أن تتعلم من الملاحظة المباشرة ، لكان من الممكن ألا تكتب هذه الرسائل الثلاث .

ويجب أيضاً أن نتذكر أن بعض ما يحتويه هذا الكتاب ـ إصراره على أهمية الجنس في جميع أنواع الإنجاز الإنساني ، ومحاولته توسيع مفهوم الجنس ـ قد كان منذ البداية من أقوى الدوافع التي أثارت المقاومة ضد التحليل النفسي . ولقد تمادى الناس في بحثهم عن الكلمات الرنانة إلى درجة أنهم يتكلمون عن «تفسير كل شيء بالجنس» في التحليل النفسي ، ويثيرون ضده تهماً لا معنى لها لتفسيره «كل شيء» بالجنس . وقد يمكن أن يثير ذلك دهشتنا ، إذا كان من الممكن لنا أن ننسى كيف تجعل العوامل الانفعالية الناس مبلبلين وكثيري النسيان . وقد مرت حقبة من الزمن منذ أن بين ارثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer الفيلسوف للإنسانية مدى قيام الدوافع الجنسية ـ بالمعنى العادي لهذه الكلمة ـ بتحديد نشاطهم . وإنه لمن المستحيل حقاً أن يقوم جميع القراء في العالم بإبعاد مثل هذه المعلومات المفزعة عن عقولهم كلية . وأما فيما يتعلق «بتوسيع» مفهوم الجنس الذي استلزمه تحليل الأطفال ومن يسمون بالمنحرفين ، فإنه يجب على كل فرد ينظر إلى التحليل النفسي نظرة احتقار من مكانه

الممتاز السامي أن يتذكر كيف يتفق الجنس بمعناه الواسع الذي يقول به التحليل النفسي مع الحب عند أفلاطون المقدس . (قارن ناكمانسون Nachmansohn ١٩١٥)[1].

فيينا ، مايو ، ١٩٢٠ .

---

(١) (جميع المراجع المشار إليها في النص مذكورة في آخر الكتاب .) (المترجم)

الرّسالة الأولى[1]

الإنْحِرَافات الجِنْسِيَّة

الانحِرَافات الجِنْسِيَّة[1]

يُعبَّر في علم الحياة عن حقيقة وجود حاجات جنسية عند الإنسان والحيوان بافتراض «غريزة جنسية» ، على مثال غريزة التغذية ، أي غريزة الجوع . إن اللغة الدارجة لا تتضمن كلمة مقابلة لكلمة «الجوع» ، ولكن العلم يستخدم كلمة «ليبدو»[2] لهذا الغرض[3] .

إن للرأي العام أفكاراً محددة جداً حول طبيعة هذه الغريزة الجنسية وخصائصها . فهو يذهب على وجه عام إلى أن الغريزة الجنسية غير موجودة

---

(١) إن المعلومات التي تضمنتها هذه الرسالة الأولى مستمدة من الكتابات المعروفة جيداً لكرافت إبنج Krafft-Ebing ، ومول Moll ، وموبيوس Moebius ، وهافلوك إيليس Havelock Ellis ، وشرنك ـ نوتزينج ـ Schrenck – Notzing ، ولوفنفيلد Lôwenfeld ، وأولنبورج Eulenburg ، وبلوخ Bloch ، وهيرشفيلد Hirschfeld ، ومن «الكتاب السنوي للمراحل الجنسية المتوسطة» Jahrbuch fur sexuelle Zwischenstufen الذي نشر تحت إشراف المؤلف الأخير . وبما أن المراجع الكاملة للكتابات الباقية لدينا في هذا الموضوع موجودة في مؤلفات هؤلاء الكتاب ، فقد استطعت أن أعفي نفسي من ضرورة إعطاء مراجع تفصيلية . [إضافة ١٩١٠ :] إن البيانات التي حصلنا عليها من البحث التحليلي النفسي للمرتكسين inverts تعتمد على مواد أمدني بها سادجر I. Sadger ، وعلى نتائج أبحاثي الخاصة .

(٢) (Libido) الليبدو هو الطاقة النفسية المتعلقة بالغريزة الجنسية) (المترجم)

(٣) [هامش أضيف ١٩١٠ :] إن كلمة "Lust" ، وهي الكلمة المناسبة الوحيدة في اللغة الألمانية ، كلمة غامضة لسوء الحظ ، وهي تستخدم لتعني كلاً من الشعور بالحاجة والشعور بالإشباع .

أثناء الطفولة ، وأنها تبدأ في وقت البلوغ مرتبطة بعملية النضج ، وأنها تعبر عن نفسها بمظاهر الجاذبية التي لا يمكن مقاومتها والتي يشعر بها أحد الجنسين نحو الآخر ، وأن غرضها هو الاتحاد الجنسي ، أو هو على كل حال القيام بأفعال تؤدي إلى هذا الاتجاه . ولكن توجد لدينا كل الأسباب التي تجعلنا نعتقد أن هذه الآراء تعطي صورة خاطئة جداً للحالة الحقيقية . وإذا أمعنا النظر في هذه الآراء لوجدنا أنها تتضمن عدداً من الأخطاء ، والآراء غير الدقيقة ، والاستنتاجات المتسرعة .

إننا سنقوم الآن بتقديم مصطلحين فنيين . دعنا نسمي الشخص الذي تصدر منه الجاذبية الجنسية **الموضوع الجنسي**[١] ، والفعل الذي تتجه إليه الغريزة **الهدف الجنسي**[٢] . وتبين الملاحظة العلمية الدقيقة أنه تقع انحرافات كثيرة فيما يتعلق بكل من الموضوع الجنسي والهدف الجنسي . ومعرفة العلاقة بين هذه الانحرافات وبين ما يفترض أنه سوي يتطلب بحثاً دقيقاً .

(١) الانحرافات المتعلقة بالموضوع الجنسي

تظهر ، وجهة النظر العامة عن الغريزة الجنسية في صورة جميلة في الأسطورة الشعرية التي تذكر كيف أن البشر في الأصل قد انقسموا إلى نصفين ـ رجل وامرأة ـ وكيف أنهما يكافحان دائماً لكي يتحدا مرة ثانية بالحب[٣] . ولذلك فإنه يصبح من العجيب جداً أن نعرف أنه

---

(١) sexual object.

(٢) Sexual aim .

(٣) [هذه بلا شك إشارة إلى النظرية التي قال بها أرسطوفانيس Aristophanes في « مأدبة » أفلاطون . وقد عاد إليها فرويد فيما بعد في نهاية الفصل السادس من كتاب « ما وراء مبدأ اللذة » (١٩٢٠) .]

يوجد رجال يكون موضوعهم الجنسي رجلاً وليس امرأة ، وأنه توجد نساء يكون موضوعهن الجنسي امرأة وليس رجلاً . ويوصف الأشخاص الذين من هذا النوع بأن «ميولهم الجنسية عكسية» ، أو يوصفون بطريقة أحسن بأنهم «مرتكسون[1]» . وتوصف هذه الحالة «بالارتكاس» . إن عدد مثل هؤلاء الأفراد كبير جداً ، ولكن توجد صعوبات في تقدير هذا العدد بالدقة[2] .

أ – الارتكاس

سلوك المرتكسين :

يختلف مثل هؤلاء الأشخاص اختلافاً كبيراً في سلوكهم من نواح متعددة .

(أ) فقد يكونون مرتكسين ارتكاساً تاماً[3] . وفي هذه الحالة تكون موضوعاتهم الجنسية مقصورة على الأفراد من نفس جنسهم . أما الأفراد من الجنس المقابل فلا يكونون أبداً موضوع رغبتهم الجنسية ، بل إنهم لا يثيرون فيهم أية رغبة جنسية ، أو قد يثيرون فيهم نفوراً جنسياً . وينتج عن هذا النفور أن يصبحوا غير قادرين ، إن كانوا رجالاً ، على القيام بالفعل الجنسي ، أو قد لا يشعرون بأية متعة منه .

(ب) وقد يكونون مرتكسين **ثنائيي الارتكاس**[4] ، أي يكونون

---

(١) (inverts. الارتكاس inversion نوع من الانحراف الجنسي يتميز بميل الفرد إلى الجنس المماثل . إنه عبارة عن انقلاب الميل الجنسي واتجاهه إلى نفس الجنس بدلاً من اتجاهه إلى الجنس المقابل كما يحدث عادة عند الأفراد الأسوياء .) (المترجم)

(٢) لمعرفة هذه الصعوبات والمحاولات التي بذلت لمعرفة نسبة المرتكسين انظر هيرشفيلد Hirschfeld (١٩٠٤) .

(٣) absolute inverts.

(٤) amphigenic inverts.

خناثاً[1] من الناحية النفسية الجنسية . وفي هذه الحالة قد تكون موضوعاتهم الجنسية من نفس جنسهم أو من الجنس المقابل على السواء . وهكذا يفتقد هذا النوع من الارتكاس خاصة التخصيص .

(ج) وقد يكونون مرتكسين بالعَرَض[2] . وفي هذه الحالة يصبحون قادرين تحت ظروف خارجية معينة ــ من أهمها صعوبة الحصول على أي موضوع جنسي عادي ، والتقليد ــ على اتخاذ فرد من جنسهم كموضوع جنسي لهم ، وعلى التمتع بالاتصال الجنسي معه .

ويختلف المرتكسون أيضاً من حيث وجهات نظرهم نحو غرابة غريزتهم الجنسية . فبعضهم يتقبل ارتكاسه كأنه شيء طبيعي ، تماماً كما يتقبل الشخص السويّ اتجاه طاقته الليبيدية ، ويصر بحماسة على أن الارتكاس أمر مشروع مثل الاتجاه السويّ ؛ بينما يثور البعض الآخر ضد ارتكاسهم ويشعرون به كأنه قهر مرضي[3] .

وتحدث تغيرات أخرى تتعلق بالزمن . فإما أن سمة الارتكاس ترجع إلى فترة مبكرة جداً على قدر ما تستطيع ذاكرة الشخص أن تعود إلى الماضي ، وإما أنها لم تصبح ملحوظة إلا في وقت معين قبل البلوغ أو

---

(١) hermaphrodites.

تروي الأسطورة اليونانية أن هيرمافروديتوس Hermaphroditos، وهو ابن هرمس Hermes وأفروديت Aphrodite، قد اتحد مع حورية في بدن واحد . وقد اقتبس اصطلاح hermaphrodite من هذه الأسطورة ليعني الشخص «الخنثي»، وهو الشخص الذي تكون له أعضاء تناسلية لكل من الجنسين ، أي يكون ثنائي الجنس من الناحية البيولوجية .
ويستخدم أيضاً اصطلاح «الخنوثة النفسية» ليدل على الظواهر النفسية للثنائية الجنسية ، أي وجود الخصائص والاتجاهات النفسية الخاصة بالجنسين في شخص واحد .) (المترجم)

(٢) Contingent inverts.

(٣) إن كفاح الشخص بهذه الطريقة ضد القهر نحو الارتكاس ربما يجعل من المحتمل أن يتأثر بالإيحاء [إضافة ١٩١٠ :] أو بالتحليل النفسي .

بعده[1] . وربما تستمر طوال الحياة ، أو ربما تتوقف توقفاً مؤقتاً ، أو ربما تكون أيضاً حدثاً عارضاً أثناء النمو السوي . وربما تظهر لأول مرة في مرحلة متأخرة من الحياة بعد فترة طويلة من النشاط الجنسي السوي . وقد لوحظ أيضاً في بعض الأحيان تذبذب دوري بين موضوع جنسي سوي وبين موضوع جنسي ارتكاسي . وثمة أهمية خاصة في الحالات التي يتحول فيها الليبيدو نحو موضوع جنسي ارتكاسي بعد خبرة مؤلمة بموضوع جنسي سوي .

وتوجد هذه الأنواع المختلفة من التغيرات عادة جنباً إلى جنب مستقلة بعضها عن بعض . ومن الممكن أن نفترض أن أكثر صور الارتكاس تطرفاً كانت موجودة منذ سن مبكرة جداً ، وأن الشخص يشعر بذاته مع وجود هذه السمة .

وربما لا يرضى كثير من الباحثين أن يجمعوا معاً جميع الحالات المختلفة التي أحصيتها ، وربما يفضلون أن يؤكدوا أوجه الاختلاف بينها لا أوجه التشابه تبعاً لوجهة نظرهم الخاصة المفضلة في الارتكاس . ومع ذلك ، فإنه بالرغم من أن هذه الاختلافات لا يمكن إنكارها ، إلا أنه من المستحيل أن نغفل وجود نماذج متوسطة كثيرة من كل نوع ، بحيث يصبح من الواضح أننا أمام سلسلة متصلة .

---

(١) يؤكد بعض الكتاب بحق أنه لا يمكن الوثوق في التواريخ التي يذكرها المرتكسون أنفسهم لظهور ميلهم إلى الارتكاس ، إذ ربما يكونون قد كبتوا ميولهم الجنسية الغيرية ومنعوها من الظهور في الذاكرة . [إضافة ١٩١٠ :] وقد أكد التحليل النفسي هذه الشكوك في تلك الحالات من الارتكاس التي تناولها بالبحث ، وقد أحدث تغييرات حاسمة في تذكرهم عن طريق ملء الثغرات في فقدان ذاكرتهم الطفلي . [في الطبعة الأولى (١٩٠٥) استبدلت بهذه الجملة الأخيرة الجملة التالية : إن الوصول إلى قرار حول هذه النقطة يمكن الوصول إليه فقط عن طريق البحث التحليلي النفسي للمرتكسين .]

طبيعة الارتكاس :

إن المحاولات الأولى لتقويم الارتكاس قد اعتبرته علامة فطرية على الانحلال العصبي [1] . ويتفق ذلك مع هذه الحقيقة وهي أن الأطباء لاحظوا الارتكاس لأول مرة عند أشخاص كانوا يعانون ، أو يبدو أنهم كانوا يعانون ، من أمراض عصبية . ويتضمن هذا الوصف للارتكاس افتراضين يجب أن ننظر في كل منهما على حدة : أي أنه فطري ، وأنه انحلال .

الانحلال :

إن وصف الانحلال في هذا الصدد معرض للاعتراضات التي يمكن أن توجه ضد استخدام هذه الكلمة على وجه عام بدون تمييز . فلقد أصبح من العادة اعتبار أي عرض لا يرجع بشكل واضح إلى صدمة أو عدوى كأنه علامة على الانحلال . وفي الحقيقة ، إن تصنيف ماينان Magnan للمنحلين لا يستبعد إمكان تطبيق فكرة الانحلال على الجهاز العصبي الذي يؤدي وظيفته بطريقة ممتازة . وما دام الأمر كذلك ، فإنه يجدر بنا أن نتساءل عما إذا كان لوصف «الانحلال» أية قيمة ، أو عما إذا كان يضيف أي شيء إلى معلوماتنا . ويبدو أنه من الحكمة أن نتكلم عنه فقط :

١ ــ حينما تتجمع معاً عدة انحرافات خطيرة كثيرة عن الحالة السوية .

٢ ــ وحينما يبدو أن القدرة على العمل وعلى البقاء بطريقة فعالة قد تعطلت إلى درجة كبيرة [2] .

---

(١) nervous degeneracy.

(٢) يؤكد موبيوس Moebius (١٩٠٠) أنه يجب أن نكون حذرين في تشخيص أية حالة على أنها انحلال ، كما أنه يؤكد أن القيمة العملية لذلك ضئيلة جداً : «إذا استعرضنا المجال =

وتوجد حقائق كثيرة تبين أنه بهذا المعنى الصحيح للكلمة لا يمكن أن نعتبر المرتكسين منحلين :

١ ـ يوجد الارتكاس عند أفراد لا يظهرون غيره من الانحرافات الأخرى الخطيرة عن الحالة السوية .

٢ ـ وهو يوجد أيضاً عند أفراد ذوي كفاية غير معطلة ، ويتميزون في الحقيقة ، على وجه خاص ، بنمو عقلي وثقافة أخلاقية على درجة عالية[١] .

٣ ـ إذا أغفلنا النظر إلى المرضى الذين نقابلهم أثناء ممارستنا الطبية ، ووجهنا نظرنا نحو أفق أوسع فإننا سنعثر ، من ناحيتين ، على حقائق تجعل من المستحيل أن نعتبر الارتكاس علامة على الانحلال :

أ ـ يجب أن نضع في اعتبارنا أن الارتكاس كان ظاهرة شائعة ـ بل يمكن أن نقول إنه كان نظاماً يؤدي وظائف هامة ـ بين المجتمعات القديمة في أوج حضارتها .

ب ـ إنه منتشر بكثرة بين كثير من السلالات المتوحشة والبدائية ، في حين أن مفهوم الانحلال يقتصر عادة على حالات الحضارة العالية (قارن بلوخ Bloch) ؛ وحتى بين المجتمعات المتحضرة في أوروبا فإن

= الواسع للانحلال الذي ألقينا عليه في هذه الصفحات بعض البصيص من الضوء الكاشف ، فإنه سيتضح في الحال أنه ليس لتشخيص أية حالة على أنها انحلال إلا قيمة صغيرة » .

(١) يجب أن نقرر أن المتكلمين باسم « اللواط » Uranism على حق في تأكيدهم أن بعض الأفراد من بين أكثر الناس شهرة في التاريخ كانوا مرتكسين ، وربما كانوا أيضاً مرتكسين ارتكاساً تاماً .

(Uranism اصطلاح استخدمه كارل هاينريخ أولريخس Karl Heinrich Ulrichs في عام ١٨٦٢ بمعنى « الجنسية المثلية » لدى الذكور ، ولكن هذا الاصطلاح لا يستخدم الآن كثيراً .) (المترجم) .

الجو والسلالة يؤثران أعظم الأثر في انتشار الارتكاس وفي الاتجاه الذي يُتَّخذ نحوه[1] .

صفة الفطرية :

تنسب الفطرية فقط ، كما يمكن أن يُتَصوَّر ، إلى أول مجموعة من المرتكسين وأكثرهم تطرفاً ، ويستمد الدليل على ذلك من تأكيداتهم بأن غريزتهم الجنسية لم تبد أية علامة ، في أي وقت أثناء حياتهم ، على أنها اتخذت طريقاً آخر . وإن مجرد وجود المجموعتين الأخريين ، وعلى الأخص المجموعة الثالثة ، أمر يصعب أن نوفق بينه وبين الفرض القائل بفطرية الارتكاس . ويفسر ذلك لماذا يميل مؤيدو هذا الرأي إلى فصل مجموعة المرتكسين ارتكاساً تاماً عن غيرهم . وهم بذلك يتخلون عن القيام بأية محاولة لوضع تفسير عام للارتكاس ينطبق على جميع الحالات . وفي رأي هؤلاء الكتاب أن الارتكاس فطري في مجموعة واحدة من الحالات ، بينما يمكن أن ينشأ الارتكاس في حالات أخرى عن أسباب أخرى .

وعلى عكس هذا الرأي ، يوجد رأي آخر يذهب إلى أن الارتكاس خاصة مكتسبة للغريزة الجنسية . ويستند هذا الرأي الثاني على الاعتبارات التالية :

١ ــ من الممكن أن نبين في حالة كثير من المرتكسين ، حتى هؤلاء المرتكسين ارتكاساً تاماً ، أنه حدث في فترة مبكرة جداً من حياتهم انطباع جنسي ترك أثراً دائماً في صورة ميل إلى الجنسية المثلية[2] .

---

(١) إن الاتجاه الأنثروبولوجي قد حل محل علم الأمراض في دراسة الارتكاس . ويرجع الفضل في إيجاد هذا التغيير إلى بلوخ (١٩٠٢ ــ ١٩٠٣) الذي أكد كذلك حدوث الارتكاس في الحضارات القديمة .

(٢) (homosexuality. الجنسية المثلية هي الميل الجنسي إلى أفراد من نفس الجنس .) (المترجم)

٢ ـ من الممكن في حالة كثير من المرتكسين الآخرين أن نبين وجود تأثيرات خارجية في حياتهم ، سواء كانت مشجعة أو كابتة ، أدت إلى تثبيت الارتكاس لديهم في فترة مبكرة من حياتهم أو في فترة متأخرة . (من أمثلة هذه التأثيرات اقتصار العلاقات على أفراد من نفس الجنس ، الزمالة في الحرب ، الحبس في السجون ، أخطار الاتصال الجنسي بأفراد من الجنس الآخر ، العزوبة ، الضعف الجنسي ، الخ ..) .

٣ ـ من الممكن التخلص من الارتكاس عن طريق الإيحاء التنويمي ، وهو أمر يدعو إلى الدهشة بالنسبة لخاصة فطرية .

وبناءً على هذه الاعتبارات فإنه من الممكن أن نشك في مجرد وجود الارتكاس الفطري . ومن الممكن أن نجادل في الأمر (قارن هافيلوك إليس ، ١٩١٥) فنقول إنه إذا بحثت هذه الحالات التي يزعم أنها ارتكاس فطري بحثاً دقيقاً فمن المحتمل أن نكتشف في المرحلة المبكرة من الطفولة بعض الخبرات التي كان لها أثر في تحديد الاتجاه الذي اتخذه الليبدو في هذه الحالات . وقد تكون هذه الخبرة قد أبعدت فقط عن التذكر الشعوري للفرد ، غير أنه من الممكن إعادتها لذاكرته تحت تأثير ملائم . إن الارتكاس في رأي هؤلاء الكتاب يمكن أن يوصف فقط بأنه تغيّر شائع الحدوث للغريزة الجنسية ، وهو من الممكن أن يحدث تحت تأثير بعض الظروف الخارجية في حياة الفرد .

غير أن الصحة الظاهرية لهذه النتيجة تجد معارضة تامة في الرأي الذي يذهب إلى أن كثيراً من الناس يتعرضون للمؤثرات الجنسية ذاتها (مثل الإغواء أو الاستمناء المتبادل اللذين قد يحدثان في الفترة المبكرة من الشباب) بدون أن يصبحوا مرتكسين ، أو بدون أن يظلوا هكذا على

---

(١) masturbation

الدوام . ولذلك فنحن مضطرون إلى الشك في أن الاختيار بين « فطري » و « مكتسب » ليس اختياراً نهائياً ، أو أنه لا يشمل جميع المشكلات التي يتضمنها الارتكاس .

تفسير الارتكاس :

لا تفسر طبيعة الارتكاس بالفرض القائل بأنه فطري ، ولا بالفرض المقابل القائل بأنه مكتسب . وفي الحالة الأولى يجب أن نتساءل من أية وجهة هو فطري ، إلا إذا كنا سنقبل ذلك التفسير الفجّ الذي يذهب إلى أن كل فرد يولد بحيث تكون غريزته الجنسية متعلقة بموضوع جنسي معين . وفي الحالة الأخرى قد نتساءل عما إذا كانت المؤثرات العَرَضية المختلفة كافية لتفسير اكتساب الارتكاس بدون تعاون عامل ما في الفرد ذاته . وكما بيَّنا سابقاً ، إن وجود هذا العامل الأخير أمر لا يمكن إغفاله .

الثنائية الجنسية[1] :

تضمنت آراء لايدستون Lydston (١٨٨٩) ، وكيرنان Kiernan (١٨٨٨) ، وشيفالييه Chevalier (١٨٩٣) التي حاولوا فيها تفسير إمكان حدوث الارتكاس الجنسي معارضة جديدة للآراء الشائعة . فمن الاعتقادات الشائعة أن الإنسان إما يكون رجلاً و إما يكون امرأة . غير أن العلم قد عرف حالات كانت الخصائص الجنسية فيها غامضة ، ولذلك فقد كان

---

(١) (bisexuality .« الثنائية الجنسية » مرادفة في المعنى « للخنوثة » (انظر هامش ١ ص ٤١) ، وهي تعني وجود خصائص الجنسين في شخص واحد ، سواء كانت هذه الخصائص بيولوجية أو سيكولوجية . غير أن اصطلاح الخنوثة يستخدم في الأغلب لوصف الثنائية الجنسية البيولوجية . أما اصطلاح الثنائية الجنسية فقد يستخدم في كلا المعنيين البيولوجي والسيكولوجي .) (المترجم)

من الصعب تحديد الجنس فيها . ويظهر ذلك في أول الأمر في مجال علم التشريح ، فقد جمعت الأعضاء التناسلية لبعض الأفراد بين خصائص الرجل وخصائص الأنثى . (تعرف هذه الحالة بالخنوثة) . وفي بعض الحالات النادرة يوجد كل من نوعي الجهاز الجنسي جنباً إلى جنب كامل النمو (الخنوثة الحقيقية) . ولكن في العادة يوجد كل من نوعي الأعضاء في حالة ضمور [١] .

وترجع أهمية هذه الحالات الشاذة إلى هذه الحقيقة ، التي لم تكن متوقعة ، وهي أنها تسهل فهمنا للنمو السوي . إذ يبدو أنه توجد في العادة درجة معينة من الخنوثة التشريحية . ففي كل ذكر سوي أو أنثى سوية توجد آثار لجهاز الجنس المقابل . وهذه الآثار إما تستمر بدون وظيفة في صورة أعضاء أثرية ، وإما أنها تتعدل وتقوم بوظائف أخرى .

وتدفعنا هذه الحقائق التشريحية المعروفة منذ مدة طويلة إلى أن نفترض أن استعداد الثنائية الجنسية البدنية الذي كان موجوداً في الأصل قد تغير أثناء مراحل النشوء ، إلى استعداد وحدانية الجنس [٢] ، تاركاً وراءه آثاراً قليلة للجنس الذي ضمر .

ولقد كان أمراً مشوقاً أن نقوم بتطبيق هذا الفرض في المجال النفسي ، وأن نفسر الارتكاس في جميع صوره المختلفة على اعتبار أنه تعبير للخنوثة النفسية . وإن كل ما نحتاج إليه بعد ذلك لكي نصل إلى رأي حاسم هو ضرورة أن يكون الارتكاس مصحوباً بانتظام بالعلامات النفسية والبدنية للخنوثة .

غير أن هذا التوقع لم يتحقق . فمن المستحيل إثبات علاقة وثيقة بين

---

(١) لمعرفة أحدث الأوصاف للخنوثة البدنية انظر تاروفي Taruffi (١٩٠٣) ، وعدة مقالات لنيوجيباور Neugebauer في أجزاء مختلفة من « الكتاب السنوي للمراحل الجنسية المتوسطة »

(٢) unisexual disposition

الخنوثة النفسية الافتراضية وبين الخنوثة التشريحية التي ثبت وجودها . فقد وجد في المرتكسين مراراً ضعف عام للغريزة الجنسية ، وضمور تشريحي طفيف للأعضاء (قارن هافلوك إليس ، ١٩١٥) . لقد وجد ذلك مراراً ، ولكن ليس بانتظام أو غالباً . ولذلك فمن الواجب أن نعترف بالحقيقة وهي أن الارتكاس والخنوثة البدنية مستقلان كل منهما عن الآخر بصفة عامة .

وقد عُلِّقت أهمية كبيرة أيضاً على ما يسمى بالصفات الجنسية الثانوية والثلاثية ، وعلى كثرة تكرار حدوث صفات الجنس المقابل في المرتكسين (قارن هافيلوك إليس ، ١٩١٥) . إن جزءاً كبيراً من هذا الكلام صحيح أيضاً ، ولكن لا يجب أن ننسى أن الصفات الجنسية الثانوية والثلاثية[١] لأحد الجنسين كثيراً ما تظهر في الجنس المقابل على وجه عام . وهي تعتبر علامات على الخنوثة ، ولكنها لا تكون مصحوبة بأي تغير في الموضوع الجنسي في اتجاه الارتكاس .

إن الخنوثة النفسية لتلقى تأييداً لو أن ارتكاس الموضوع الجنسي كان مصحوباً على الأقل بحدوث تغير مقابل في الصفات النفسية الأخرى للفرد ، وفي غرائزه وسمات خُلُقه نحو الاتجاه الذي يميز الجنس المقابل . ولكن مثل هذا النوع من الارتكاس الخُلُقي يمكن أن يوجد بطريقة منتظمة بعض الشيء عند النساء المرتكسات فقط . أما في الرجال ، فإن الذكورة النفسية الأكثر كمالاً يمكن أن تكون مصحوبة بالارتكاس .

---

(١) (توجد ثلاثة أنواع من الصفات الجنسية . الصفات الجنسية الأولية هي صفات الأعضاء التناسلية التي تميز بين كل من الجنسين . والصفات الجنسية الثانوية هي الصفات البدنية الأخرى التي تميز بين الجنسين فيما عدا الأعضاء التناسلية كالشعر والنهدين والردفين . والصفات الجنسية الثلاثية فهي الصفات النفسية المتعلقة باتجاهات الذكورة والأنوثة .) (المترجم)

فإذا كنا ستتمسك بالاعتقاد في الخنوثة النفسية ، فمن الضروري أن نضيف أيضاً أن مظاهرها في المجالات المختلفة لا تبين إلاّ علامات قليلة فقط على ترابطها فيما بينها .وفضلاً عن ذلك ، فمثل هذا الأمر صحيح أيضاً بالنسبة للخنوثة البدنية : فتبعاً لهالبان Halban (١٩٠٣) [١] ، إن حدوث ضمور الأعضاء الفردية وظهور الصفات الجنسية الثانوية أمران مستقلان الواحد منهما عن الآخر إلى درجة كبيرة .

لقد قام أحد المتكلمين عن المرتكسين الذكور بالتعبير عن نظرية الثنائية الجنسية في أفج صورة لها بما يأتي : «مخ أنثوي في بدن ذكر» . ولكننا نجهل خصائص المخ الأنثوي . وليست هناك حاجة ، كما لا يوجد مبرر لاستبدال مشكلة تشريحية بمشكلة سيكولوجية . ويبدو أن التفسير الذي حاوله كرافت ـ إبينج Krafft-Ebing مصاغ بطريقة أدق من التفسير الذي قال به أولريش Ulrichs ، ولكنه لا يختلف عنه في جوهره . فتبعاً لكرافت ـ إبينج (١٨٩٥ ، ص ٥) ، إن استعداد الثنائية الجنسية يمد الفرد بمراكز ذكورة وأنوثة في المخ ، كما يمده بأعضاء بدنية جنسية . وتنمو هذه المراكز أثناء المراهقة فقط ، ويتم ذلك في الأغلب تحت تأثير الغدة الجنسية التي تكون مستقلة عنها في الاستعداد الأصلي . ولكن ما سبق أن قلناه الآن عن مخ الذكر ومخ الأنثى ينطبق أيضاً على مراكز الذكورة والأنوثة . وبهذه المناسبة ، فليس لدينا أي أساس لافتراض أن هناك مناطق معينة في المخ (مراكز) متخصصة للقيام بوظائف الجنس ، كما هو الأمر ، مثلاً ، فيما يتعلق بوظائف الكلام [٢] .

---

(١) يتضمن مقاله مراجع عن الموضوع .

(٢) يبدو (من المراجع التي وردت في الجزء السادس من «الكتاب السنوي للمراحل الجنسية المتوسطة» أن إ. جلي E. Gley كان أول كاتب اقترح الثنائية الجنسية كتفسير للارتكاس . فقد نشر مقالاً في «المجلة الفلسفية» في يناير عام ١٨٨٤ عنوانه «انحرافات الغريزة =

ومع ذلك ، فهناك أمران يظهران من هذه المناقشات : فأولاً ، إن استعداد الثنائية الجنسية يتعلق على نحو ما بالارتكاس ، ولكننا لا نعرف مما يتكون هذا الاستعداد ، بخلاف التكوين التشريحي . وثانياً ، إن علينا أن نبحث في اضطرابات تؤثر في الغريزةُ الجنسية أثناء نموها .

الموضوع الجنسي لدى المرتكسين :

إن نظرية الخنوثة النفسية تفترض أن الموضوع الجنسي لدى المرتكسين يكون عكس الموضوع الجنسي لدى الشخص السوي . فالرجل المرتكس ، على حسب هذه النظرية ، مثل المرأة من حيث تعرضه للافتتان بصفات الذكورة سواء كانت بدنية أو نفسية : إنه يشعر كأنه امرأة تبحث عن رجل .

= الجنسية » . وفضلاً عن ذلك ، فإنه مما يستحق الملاحظة أن أغلبية الكتاب الذين يرجعون الارتكاس إلى الثنائية الجنسية لا يذكرون ذلك العامل في حالة المرتكسين فحسب ، ولكن أيضاً في حالة جميع الأفراد الأسوياء . ويعتبر هؤلاء الكتاب ، كنتيجة منطقية لذلك ، أن الارتكاس ينتج عن اضطراب في النمو . وقد كتب شيفاليه Chevalier (١٨٩٣) بالفعل في هذا المعنى . ويذكر كرافت ـ إيبنج (١٨٩٥ ، ص ١٠) أنه يوجد عدد كبير من الملاحظات «التي تؤيد على الأقل الاستمرار الحقيقي لهذا المركز الثاني «الخاص بالجنس الثانوي» . ويؤكد دكتور اردوين Arduin (١٩٠٠) «أنه توجد عناصر ذكورة وأنوثة في كل إنسان (قارن هيرشفيلد ، ١٨٩٩) ، ولكن إحدى هاتين المجموعتين من العناصر ـ تبعاً لجنس الفرد موضوع البحث ـ تكون نامية بدرجة أكثر جداً من المجموعة الأخرى ، وذلك فيما يتعلق بالأفراد ذوي الجنسية الغيرية heterosexual» ويعتقد هرمان Herman (١٩٠٣) «أن عناصر الذكورة وخصائصها موجودة في كل امرأة ، وأن عناصر الأنوثة وخصائصها موجودة في كل رجل» الخ .. [إضافة ١٩١٠ :] وقد ادعى فليس Fliess (١٩٠٦) فيما بعد أن فكرة الثنائية الجنسية (بمعنى ازدواج الجنس) كانت فكرته الخاصة . [إضافة ١٩٢٤ :] ويقال في الدوائر غير المطلعة إن فرض الثنائية الجنسية عند الإنسان يرجع إلى فاينينجر O. Weininger الفيلسوف الذي مات في سن مبكرة ، والذي جعل هذه الفكرة أساس كتاب له يفتقر إلى الاتزان إلى حد ما (١٩٠٣) . إن المقتبسات التي ذكرتها سابقاً تكفي لتوضيح ضآلة المبررات التي تستند إليها دعواه .

ولكن بالرغم من أن ذلك ينطبق تماماً على عدد كبير من المرتكسين ، إلا أنه مع ذلك لا يدل على خاصة عامة للارتكاس . فليس هناك شك في أن نسبة كبيرة من المرتكسين الذكور يحتفظون بالصفة النفسية للذكورة ، وأنهم يظهرون عدداً قليلاً نسبياً من الصفات الثانوية للجنس المقابل ، وأن الشيء الذي يبحثون عنه في موضوعهم الجنسي هو في الحقيقة سمات نفسية أنثوية . فإذا لم يكن الأمر كذلك ، فكيف يمكن تفسير أن الرجال الفاسقين الذين يعرضون أنفسهم للمرتكسين ـ في الوقت الحاضر كما كان في الماضي ـ يقلدون النساء في جميع المظاهر الخارجية من حيث الملابس والسلوك ؟ إن مثل هذا التقليد سيكون حتماً في هذه الحالة أمراً متعارضاً مع النموذج المثالي للمرتكسين . ومن الواضح أنه في اليونان حيث كان معظم الرجال الكاملي الرجولة ينتمون إلى فئة المرتكسين ، لم تكن صفة **الذكورة** في الصبي هي التي تثير حب الرجل ، وإنما كانت مشابهته البدنية للمرأة وصفاته النفسية الأنثوية ـ خجله ، وتواضعه ، وحاجته للتوجيه والمساعدة . وبمجرد أن يصبح الصبي رجلاً ، فإنه يقلع عن أن يكون موضوعاً جنسياً للرجال ، وربما أصبح هو نفسه محباً للصبيان . إن الموضوع الجنسي ، إذن ، في هذه الحالة كما في حالات أخرى كثيرة ، ليس شخصاً من نفس الجنس ، وإنما هو شخص يجمع بين صفات كل من الجنسين . فهناك توفيق بين دافع ينشد الرجل ودافع ينشد المرأة ، مع توفر شرط هام وهو أن يكون بدن الموضوع (أي أعضاؤه التناسلية) بدن ذكر . فالموضوع الجنسي ، إذن ، هو نوع من الانعكاس لطبيعة الثنائية الجنسية للفرد[1] .

(١) [أضيفت هذه الجملة الأخيرة في عام ١٩١٥ ـ وأضيف الهامش عام ١٩١٠ :] حقاً إن التحليل النفسي لم يضع بعد تفسيراً كاملاً لمنشأ الارتكاس ؛ ولكنه اكتشف الآلية (الميكانيزم) النفسية لنموه ، وقام بإسهامات أساسية في تحديد المشكلات التي يتضمنها . =

= وقد قمنا في جميع الحالات التي فحصناها بإثبات هذه الحقيقة وهي أن الأفراد الذين يصبحون مرتكسين فيما بعد يمرون في السنوات الأولى من طفولتهم بمرحلة تثبيت fixation شديد جداً ـ ولكنه يستمر لفترة قصيرة ـ نحو امرأة ما (الأم عادة) . ثم بعد أن يمروا بهذه المرحلة يقومون بالتوحّد مع امرأة ما ، ويتخذون أنفسهم موضوعاً جنسياً لهم . و بمعنى آخر ، إنهم يبتدئون من أساس نرجسي ، ويبحثون عن شاب يشبههم ، ويحبونه كما كانت أمهاتهم تحبهم . وفضلاً عن ذلك ، فقد وجدنا مراراً أن المرتكسين لم يكونوا عديمي التأثر بفتنة النساء ، ولكنهم كانوا يقومون باستمرار بنقل التهيج الذي تثيره النساء إلى موضوع ذَكَر . وهكذا فإنهم يقومون في جميع مراحل حياتهم بتكرار الآلية التي تكون بها ارتكاسهم . إن تشوقهم القهري للرجال قد أصبح متوقفاً على هروبهم المستمر من النساء . [عند هذه النقطة يستمر الهامش كما يلي في طبعة ١٩١٠ فقط :] ومع ذلك ، فيجب أن نتذكر أن التحليل النفسي لم يتناول حتى الآن إلا نوعاً واحداً فقط من المرتكسين ـ هم الأشخاص الذين أعيق نمو نشاطهم الجنسي على وجه عام ، وظهرت بقاياه في صورة ارتكاس . إن مشكلة الارتكاس معقدة جداً ، وهي تتضمن أنواعاً كثيرة التنوع من النشاط الجنسي والنمو الجنسي . ويجب أن يقوم التمييز الدقيق بين الحالات المختلفة للارتكاس تبعاً لما إذا كان الارتكاس قد وقع في الصفة الجنسية للموضوع أو للذات .

[إضافة ١٩١٥ :] تعارض بحوث التحليل النفسي بشدة كل محاولة ترمي إلى فصل مثليي الجنس homosexuals عن بقية الناس باعتبار أنهم مجموعة ذات طابع خاص . فقد وجد التحليل النفسي من دراسته للتهيجات الجنسية غير تلك التهيجات التي تظهر بوضوح ، أن جميع الناس قادرون على اختيار موضوع حنسي مثلي ، وأنهم في الواقع قد قاموا بمثل هذا الاختيار في لاشعورهم . وفي الحقيقة إن التعلقات اللبيدية بأشخاص من نفس الجنس تقوم بدور غير صغير باعتبارها عوامل تؤثر في الحياة النفسية السوية ، كما أنها تقوم بدور باعتبارها قوة دافعة نحو المرض ، وإن دورها في هذا الصدد أكبر من الدور الذي تقوم به مثل هذه التعلقات بالجنس المقابل . إن التحليل النفسي ، على العكس من دلك ، يعتبر أن اختيار الموضوع بصرف النظر عن جنسه ـ وتشمل هذه الحرية الموضوع الذكر والموضوع الأنثى على السواء ـ كما يلاحظ حدوته في الطفولة ، وفي المجتمعات البدائية ، وفي الفترات القديمة من التاريخ ، هو الأساس الأول الدي نشأت عنه النماذج السوية والمرتكسة على السواء نتيجة للقيود التي توضع في هذا الاتجاه أو في الاتجاه الآخر . ولذلك فإن اقتصار ميل الرجال الجنسي على النساء فقط يعتبر أيضاً من وجهة نظر التحليل النفسي مشكلة تحتاج إلى إيضاح ، فهي ليست حقيقة واضحة من تلقاء ذاتها تقوم على أساس الميل الذي يمكن إرجاعه إلى طبيعة كيميائية . إن الاتجاه الجنسي الأخير للفرد لا يقرر إلا بعد البلوغ ، وهو نتيجة كثير من العوامل التي لم نعرفها =

= كلها بعد . ويرجع بعض هذه العوامل إلى الجِبِلة ، وبعضها الآخر عَرَضي . ولا شك أن بعض هذه العوامل قد تكون أكثر أهمية بحيث إنها تؤثر في تكوين النتيجة تبعاً لخاصيتها . ولكن على العموم ، إن تعدد العوامل المؤثرة يظهر في تعدد الاتجاهات الجنسية الظاهرة التي نشاهدها عند الناس . فنحن نجد عاده في النماذج المرتكسة تغلب بعض الجبلات الأولية القديمة والآليات النفسية البدائية . ويبدو أن أهم خصائص هذه العوامل هو ظهور الاختيار النرجسي للموضوع ، والاحتفاظ بالأهمية الشبقية للمنطقة الشرجية . وعلى أية حال فإننا لا نستفيد شيئاً إذا فصلنا أكثر أنماط الارتكاس تطرفاً عن غيرها من الأنماط الأخرى على أساس خصائص جبلية من هذا النوع . إن ما يبدو أنه تفسير كاف لهذه الأنماط يمكن أن نثبت وجوده أيضاً ، ولكن بصورة أقل وضوحاً ، في جبلة الأنماط الانتقالية والأنماط التي يكون اتجاهها الظاهر سوياً . إن الفروق في النتائج النهائية قد تكون فروقاً في الكيفية ، ولكن التحليل يبين أن الفروق في العوامل المسببة كمية فقط . وقد وجدنا ، من بين العوامل العرضية التي تؤثر في اختيار الموضوع ، أن الإحباط (في صورة إعاقة مبكرة من النشاط الجنسي بسبب الخوف) يستحق الانتباه ، كما لاحظنا أن وجود الوالدين يقوم بدور هام . فعدم وجود أب قوي أثناء الطفولة كثيراً ما يساعد على حدوث الارتكاس ، وأخيراً ، يجب أن نؤكد أن مفهوم الارتكاس ، فيما يتعلق بالموضوع الجنسي ، يجب أن يميز تمييزاً دقيقاً عن المفهوم الخاص بوجود مزيج من الصفات الجنسية في الفرد . ومن الواضح أنه توجد درجة معينة من الاستقلال بين هذين العاملين .

[إضافة ١٩٢٠ :] وقد ذكر فيرنزي Ferenczi (١٩١٤) كثيراً من النقط الشيِّقة في موضوع الارتكاس . إنه على حق في اعتراضه على جمع عدد كبير من الحالات التي تختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً ، والتي تختلف في أهميتها سواء من الناحية البدنية أو من الناحية النفسية تحت اسم «الجنسية المثلية» (أو «الشبقية المثلية» homo-erotism ، إذا استخدمنا الاسم الأفضل الذي وضعه) وذلك بسبب أنها تشترك معاً في عرض الارتكاس . وهو يؤكد أنه من الواجب على الأقل أن نميز بدقة بين نمطين : «الشبقيين المثليين بالنسبة للذات» subject homo-erotics ، وهم الذين يشعرون ويسلكون مثل النساء ، و «الشبقيين المثليين بالنسبة للموضوع» object homo-erotics ، وهم الذين يكونون كاملي الذكورة والذين يستبدلون موضوعاً ذكراً بموضوع أنثوي . وهو يعتبر الأفراد من النمط الأول «متوسطي الجنس» الحقيقيين ، تبعاً للمعنى الذي استخدمه هيرشفيلد . أما الأفراد من النمط الثاني فهو يصفهم وصفاً أقل دقة بأنهم «عصابيون وسواسيون» . وهو يرى أن الشبقيين المثليين بالنسبة للموضوع هم وحدهم الذين يكافحون ضد ميلهم نحو الارتكاس ، وأنهم هم وحدهم الذين يحتمل التأثير فيهم نفسانياً . ومع التسليم بوجود هذين النمطين ، فمن الممكن أن نقول أيضاً أن هناك كثيراً من الناس الذين نجد عندهم مقداراً معيناً من =

إن الأمر في حالة النساء أقل غموضاً ، وذلك لأن المرتكسات الإيجابيات منهن يظهرن صفات الذكورة البدنية والنفسية بصورة متكررة غريبة ، ويقمن بالبحث عن الأنوثة في موضوعاتهن الجنسية ـ وإن كانت المعرفة الدقيقة بالحقائق قد تكشف هنا أيضاً عن اختلافات أكبر .

= «الشبقية المثلية بالنسبة للذات» مختلطة بجزء من «الشبقية المثلية بالنسبة للموضوع» .

لقد قام علماء البيولوجيا ، وعلى الأخص ستايناخ Steinach ، في السنوات القليلة الأخيرة ببحوث ألقت كثيراً من الضوء على العوامل البدنية المحددة «للشبقية المثلية» وللصفات الجنسية على وجه عام . فبالقيام بالخصاء التجريبي ، ثم القيام بعد ذلك بتطعيم الغدد الجنسية للجنس المقابل ، أُمكن تحويل الذكر إلى أنثى والعكس في مختلف أنواع الثدييات . وقد أثر التحول تأثيراً كاملاً أو غير كامل في كل من الصفات الجنسية البدنية والاتجاه النفسي الجنسي (في كل من شبقية الذات أو شبقية الموضوع) . وقد كان يبدو أن مصدر القوة التي كانت تحدد الجنس لم يكن ذلك الجزء من الغدة الجنسية الذي يكون الخلايا الجنسية ، وإنما هو ما يعرف بالنسيج المتخلل (غدة البلوغ) . ففي إحدى الحالات حدث هذا التحول الجنسي بالفعل لرجل كان قد فقد خصيتيه بسبب التدرن . كان هذا الرجل يسلك في حياته الجنسية سلوكاً أنثوياً ، فكان مثلاً سلبياً في جنسيته المثلية ، وكان يظهر بوضوح جداً صفات جنسية أنثوية من نوع ثانوي (مثل نمو الشعر واللحية وتراكم الشحم على الثُدِيّ والأرداف) . ولما طعمت فيه خصية سليمة مأخوذة من مريض ذكر آخر ابتدأ يسلك سلوك الرجولة ويوجه طاقته الليبدية نحو النساء بطريقة سوية . وفي نفس الوقت زالت صفاته الأنثوية البدنية (ليشوتز Lipschûtz، ١٩١٩، ص ٣٥٦ – ٣٥٧) .

وليس هناك ما يبرر أن نزعم أن هذه التجارب الطريفة تضع نظرية الارتكاس على أساس جديد ، وأنه يكون من التسرع أن نتوقع أن تمدنا هذه التجارب بوسيلة عامة «لشفاء» الجنسية المثلية . وقد كان «فليس» على حق حينما أكد أن نتائج هذه التجارب لا تنفي صحة النظرية القائلة بوجود استعداد عام للثنائية الجنسية في الحيوانات العليا . بل على العكس ، إلّا يبدو لي أنه من المحتمل أن يؤدي القيام بأبحاث أخرى من هذا النوع إلى إثبات مباشر لهذا الفرض الخاص بالثنائية الجنسية .

الهدف الجنسي لدى المرتكسين :

إن الحقيقة الهامة التي يجب الانتباه إليها هي أنه لا يوجد هدف واحد بعينه يمكن أن نقول إنه موجود في جميع حالات الارتكاس . ففيما يتعلق بالرجال ، إن الجماع عن طريق الشرج بينهم لا يستغرق كل الارتكاس ؛ فكثيراً ما يكون الاستمناء هو هدفهم الوحيد ؛ وإنه صحيح أيضاً أن القيود التي تفرض على الهدف الجنسي ـ إلى درجة قصره على مجرد التفريغ الانفعالي ـ لهي أكثر شيوعاً بينهم منها بين المحبين غيريي الجنس . وفيما يتعلق بالنساء المرتكسات ، فإن الأهداف الجنسية بينهن مختلفة أيضاً . ويبدو أن هناك تفضيلاً خاصاً بينهن لملامسة الغشاء المخاطي للفم .

نتيجة :

من الواضح أننا لسنا في مركز يسمح لنا بوضع تفسير مُرْضٍ عن سبب الارتكاس بناء على المادة التي بين أيدينا في الوقت الحاضر . ومع ذلك ، فإن بحثنا قد أمدَّنا بمعلومات قد تصبح أهميتها لنا أعظم من أهمية حل تلك المشكلة . فلقد استرعى انتباهنا أننا كنا معتادين على النظر إلى العلاقة بين الغريزة الجنسية والموضوع الجنسي على أنها أكثر وثوقاً مما هي في الحقيقة . وقد بينت لنا خبرتنا بالحالات التي تعتبر شاذة أن الغريزة الجنسية في هذه الحالات إنما هي مرتبطة ارتباطاً خارجياً بالموضوع الجنسي فحسب ، وهي حقيقة كنا معرضين لخطر إغفالها نتيجة لشيوع الصورة السوية التي يبدو فيها أن الموضوع يكون جزءاً وقسماً من الغريزة . وهكذا قد نبِّهنا إلى أن نقلل من شأن الرابطة التي كنا نظن أنها موجودة بين الغريزة وبين الموضوع . ويبدو من المحتمل أن تكون الغريزة الجنسية في الأصل مستقلة عن موضوعها ؛ ثم إن منشأها لا يرجع إلى تنبيهات الجذب الصادرة عن الموضوع .

ب ـ الأشخاص غير الناضجين جنسياً
والحيوانات كموضوعات جنسية

إن الأفراد الذين تكون موضوعاتهم الجنسية من غير الجنس الملائم طبيعياً ـ أي المرتكسين ـ إنما يبدون لمن يلاحظهم كأنهم مجموعة من الأفراد الذين قد يكونون سليمين جداً من النواحي الأخرى . ومن ناحية أخرى ، إن الأفراد الذين يختارون أشخاصاً غير ناضجين جنسياً (أطفالاً) كموضوعات جنسية لهم إنما يمثلون لأول وهلة حالات انحرافات مستقلة بذاتها . وكون الأطفال هم الموضوعات الجنسية الوحيدة في هذه الحالات إنما هو أمر استثنائي فقط . وعادةً ما يقوم الأطفال بهذا الدور حينما يقوم شخص جبان أو عنين باتخاذهم بديلاً ، أو حينما لا تستطيع غريزة ملحة (لا يمكن تأجيلها) أن تحصل في ذلك الوقت على أي موضوع آخر يكون أكثر ملاءمة . ومع ذلك ، فقد استطعنا أن نعرف شيئاً عن طبيعة الغريزة الجنسية من مجرد كونها تسمح بمثل هذا التغير الكثير في موضوعاتها ، ومثل هذا الحط من قيمتها ، وهو أمر لا يظهر في حالة الجوع ، وهو أكثر تمسكاً بموضوعه ، إلا في أكثر الحالات تطرفاً . وينطبق نفس القول على الاتصال الجنسي بالحيوانات ـ وهو أمر ليس نادراً وخاصة بين سكان الريف ـ الذي يبدو أن الميل الجنسي فيه قد تخطى حدود النوع .

إنه لمما يسرّ الفرد ، من ناحية جمالية ، أن يستطيع أن ينسب هذه الانحرافات وغيرها من الانحرافات الشديدة للغريزة الجنسية إلى الجنون ، غير أن ذلك غير ممكن . فنحن نعلم من خبرتنا أن اضطرابات الغريزة الجنسية بين المجانين لا تختلف عن تلك الاضطرابات التي تحدث بين الأصحاء في جميع السلالات أو المهن . فإغواء الأطفال يحدث بكثرة بشعة بين المدرسين وبين الخدم ، وذلك لمجرد أن لديهم أحسن فرصة له .

وقد يقوم المجنون بإظهار مثل هذا الانحراف بدرجة شديدة فقط ، أو قد يصبح هذا الانحراف ، وهذا أمر ذو دلالة خاصة ، هو السلوك الوحيد ويحل محل الإشباع الجنسي كلية .

إن تلك العلاقة الملفتة للنظر التي تقوم بين التغيرات الجنسية والسلم المتدرج من الصحة إلى الجنون لتمدنا بمادة كثيرة للتفكير . وإني أميل إلى الاعتقاد بأنها قد تفسر على أساس أن دوافع الحياة الجنسية من الدوافع التي تكون ، حتى في الحالة السوية ، قليلة الخضوع لسيطرة الوظائف العقلية العليا . وعلى حسب خبرتي ، إن كل فرد يكون شاذاً من الناحية العقلية على أي نحو من الأنحاء ، سواء كان ذلك من الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية ، يكون في العادة أيضاً شاذاً في حياته الجنسية . غير أن هناك كثيراً من الأفراد الذين يكونون شاذين في حياتهم الجنسية ، ولكنهم يكونون قريبين من المتوسط في كل ناحية أخرى ، ويكونون قد مروا ، مثل غيرهم من الناس ، بعملية النموّ الثقافي الإنساني ، إلا أن الناحية الجنسية تظل النقطة الضعيفة فيهم .

ويبدو أن النتيجة العامة التي نخرج بها من جميع هذه المناقشات هي ما يلي : تتضاءل طبيعة الموضوع الجنسي وأهميته تحت كثير جداً من الظروف وعند كثير جداً من الأفراد . إن الشيء الأساسي والثابت في الغريزة الجنسية هو أمر آخر[1] .

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٠ :] إن أوضح فرق بين حياة الحب عند الأقدمين وبين حياة الحب عندنا يتلخص في هذه الحقيقة ، وهي أن الأقدمين كانوا يهتمون بالغريزة ذاتها ، بينما نحن نهتم بموضوعها . وكان الأقدمون يعظمون الغريزة ، وكانوا مستعدين أن يبجلوا من أجلها أي موضوع حتى ولو كان حقيراً ، بينما نحن نحتقر النشاط الغريزي في ذاته ، ونلتمس الأعذار له فقط بسبب جدارة الموضوع .

(٢) الانحرافات المتعلقة بالهدف الجنسي

يعتبر الهدف الجنسي الطبيعي هو اتحاد الأعضاء التناسلية في العملية التي تعرف بالجماع ، وهي التي تؤدي إلى التخلص من التوتر الجنسي وانطفاء مؤقت للغريزة الجنسية ـ وهو إشباع مماثل لإشباع الجوع . ولكننا قد نجد حتى في أكثر العمليات الجنسية سواء بعض الآثار التي لو نمت لأدّت إلى حالات من الشذوذ تعرف « بالانحرافات » ، إذ توجد بعض العلاقات المتوسطة بالموضوع الجنسي ، مثل لمسه والنظر إليه ، وهي عمليات تمهيدية للجماع وتعتبر كأنها أهداف جنسية مبدئية . وهذه العمليات ، من جهة ، تكون في ذاتها مصحوبة باللذة ، وهي ، من جهة أخرى ، تعمل على زيادة شدة التهيج الذي يجب أن يستمر حتى يتم بلوغ الهدف الجنسي النهائي . وفضلاً عن ذلك ، فإن القبلة ، وهي اتصال خاص من هذا النوع بين الغشائين المخاطيين لشفاه شخصين ، إنما تعتبر ذات قيمة جنسية كبيرة بين كثير من المجتمعات (ومن بينها أكثر المجتمعات مدنية) ، بالرغم من أن أجزاء البدن التي تتضمنها القبلة ليست جزءاً من الجهاز الجنسي ، وإنما هي تكوّن مدخل القناة الهضمية . فهنا ، إذن ، عوامل يمكن أن تمدنا بنقطة اتصال بين الانحرافات والحياة الجنسية السوية ، كما يمكن أن تمدنا أيضاً بأساس لتصنيف هذه الانحرافات . إن الانحرافات هي أنواع من النشاط الجنسي التي إما : (أ) أنها تتجاوز ، من الناحية التشريحية ، مناطق البدن المخصصة للاتحاد الجنسي ، أو (ب) إما أنها تتباطأ عند العلاقات المباشرة بالموضوع الجنسي والتي يجب أن تتجاوزها عادة بسرعة لبلوغ الهدف الجنسي النهائي .

أ – الامتدادات التشريحية

المغالاة في تقييم الموضوع الجنسي :

إن تقيم الموضوع الجنسي تقييماً نفسياً ، باعتباره هدف الغريزة الجنسية ، لا يقتصر على أعضائه التناسلية فقط إلا في النادر جداً من الحالات . وفي العادة يمتد التقيم إلى كل بدن الموضوع الجنسي ، ويميل إلى أن يتضمن كل إحساس مستمد منه . وتمتد نفس هذه المغالاة في التقيم إلى المجال النفسي : فيصبح الفرد من الناحية العقلية مفتتناً (أي تضعف قدرته على الحكم) بإنجازات الموضوع الجنسي وكمالاته العقلية ، ويخضع بسذاجة إلى أحكامه . وهكذا تصبح سذاجة الحب مصدراً هاماً للسلطة[1] ، إن لم يكن أهمها .

إن المغالاة في التقيم الجنسي أمر لا يمكن بسهولة التوفيق بينه وبين قصر الهدف الجنسي على اتحاد الأعضاء التناسلية الحقيقية ، كما أنه يساعد على توجيه النشاط المتعلق بالأجزاء الأخرى للبدن نحو أهداف جنسية[2] .

---

(١) لا يسعني في هذا الصدد إلا أن أذكر الخضوع الساذج الذي يظهره الشخص المنوَّم نحو منوِّمه . وهذا يدعوني إلى الشك في أن جوهر التنويم يكمن في تثبيت لبيدو الشخص تثبيتاً لاشعورياً بشخص المنوِّم عن طريق العناصر المازوكية للغريزة الجنسية . [إضافة ١٩١٠] وقد قام فيرنزي (١٩٠٩) بربط هذه الخاصة للإيحاء « بعقدة الوالدين » . [وصف فرويد فيما بعد علاقة الشخص المنوَّم بالمنوِّم في الفصل الثامن من كتابه « علم النفس الجماعي » (١٩٢١) .]

(التثبيت fixation هو التعلق بمرحلة سابقة من مراحل النمو الجنسي أو بموضوع حب سابق . و « المازوكية » masochism هي التلذذ الجنسي من إيلام الذات . و « عقدة الوالدين » parental complex هي « عقدة أوديب » Oedipus complex ، و « عقدة إليكترا » Electra complex) (المترجم)

(٢) [في الطبعات السابقة قبل ١٩٢٠ اختتمت هذه العبارة بعبارة أخرى هي : (إن ظهور هذه الامتدادات التشريحية المتنوعة غاية التنوع يتضمن بوضوح وجود حاجة للتغيير ، وهي =

ومن الممكن دراسة دلالة عامل المغالاة في التقيم الجنسي عند الرجال على شكل أفضل ، إذ أن حياتهم العشقية وحدها قد أمكن تناولها بالبحث . أما الحب عند النساء فلا زال في غموضٍ لا يمكن كشفه ، وذلك من ناحية بسبب أثر العوامل الحضارية المعوّقة ، ومن ناحية أخرى بسبب سرّيّتهن ونفاقهن التقليديين (1) .

الاستخدام الجنسي للغشاء المخاطي للشفتين والفم :

يعتبر استخدام الفم كعضو جنسي انحرافاً إذا اتصلت شفتا (أو لسان) أحد الأشخاص بالأعضاء التناسلية لشخص آخر ، ولكنه لا يعتبر انحرافاً إذا اتصل الغشاءان المخاطيان لشفاه الشخصين . إن هذا الاستثناء هو نقطة الاتصال بما هو سوي . إن هؤلاء الأشخاص الذين يمقتون تلك الأعمال الأخرى (التي كانت بلا شك شائعة بين الناس منذ الأوقات القديمة من التاريخ) باعتبارها انحرافات ، إنما يستسلمون

= ما وصفها هوخ بأنها : «تشوق للإثارة» . إن العبارتين الأوليين من الهامش التالي قد أضيفتا في ١٩١٥ ، وكان الهامش يبدأ قبل ذلك بهذه العبارة : (إن مزيداً من الدراسة يجعلني أستنتج أن أ. بلوخ قد بالغ في تقدير الأهمية النظرية لعامل التشوق للإثارة) . إن الهامش بأكمله والفقرة في النص أعلاه قد أعيدت صياغتهما في صورتهما الحالية في ١٩٢٠ :] ويجب أن نشير أيضاً إلى أن المغالاة في التقيم الجنسي لا ينشأ في حالة كل آلية (ميكانيزم) لاختيار الموضوع . وسنعرف فيما بعد تفسيراً آخر وأكثر مباشرة للدور الجنسي الذي تقوم به أجزاء البدن الأخرى . وقد قال هوخ وبلوخ بعامل «التشوق للإثارة» كتفسير لامتداد الميل الجنسي نحو أجزاء من البدن غير الأعضاء التناسلية ، ولكنه لا يبدو لي أنه يستحق مثل هذه الأهمية . إن المسالك المختلفة التي يمر بها الليبيدو مرتبطة بعضها ببعض منذ البداية مثل الأنابيب المتصلة فيما بينها ، ومن الواجب علينا أن نضع في اعتبارنا ظاهرة التدفق في مسالك جانبية .

(١) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] في بعض الحالات النموذجية لا تقوم النساء بإظهار أية مغالاة في التقيم الجنسي للرجال ، ولكن يندر ألا يقمن بإظهاره نحو أولادهن .

لشعور واضح من الاشمئزاز الذي يقيهم من قبول مثل هذه الأهداف الجنسية . وكثيراً ما تكون حدود مثل هذا الاشمئزاز تقليدية بحتة : فالرجل الذي يقبّل شفتي فتاة جميلة بشغف ، ربما يشمئز من فكرة استخدام فرشاة أسنانها ، بالرغم من أنه لا توجد أدلة لافتراض أن تجويف فمه ، الذي لا يشمئز منه ، أكثر نظافة من تجويف فم الفتاة . إن انتباهنا ليتجه هنا إلى عامل الاشمئزاز الذي يتعارض مع المغالاة في التقييم الليبيدي للموضوع الجنسي ، ولكنه يمكن أن يخضع بدوره لليبيدو . ويبدو أن الاشمئزاز هو أحد القوى التي أدت إلى تحديد الهدف الجنسي . وكقاعدة ، فإن هذه القوى لا تمتد إلى الأعضاء التناسلية ذاتها . غير أنه لا شك في أن الأعضاء التناسلية للجنس المقابل يمكنها أن تصبح ذاتها موضوعاً للاشمئزاز ، وإن مثل هذا الاتجاه هو أحد خصائص جميع الهستيريين[١] ، وعلى الأخص النساء الهستيريات . وتستمتع الغريزة الجنسية أثناء قوتها بالتغلب على هذا الاشمئزاز (انظر فيما بعد)[٢] .

الاستخدام الجنسي لفتحة الشرج :

وفيما يتعلق بالشرج ، فإنه لأكثر وضوحاً أن الاشمئزاز هو الذي يصف هذا الهدف الجنسي بالانحراف . ومع ذلك ، فإنني أرجو ألا أُتهم بالتحيز حينما أؤكد أن الأشخاص الذين يحاولون تفسير هذا الاشمئزاز بقولهم إن هذا العضو يؤدي وظيفة التبرز ـ ويتصل بالبراز ـ وهو أمر يثير الاشمئزاز في حد ذاته ـ ليسوا أكثر معقولية من الفتيات الهستيريات اللائي يفسرن اشمئزازهن من العضو التناسلي الذكري

---

(١) (الهستيريا hysteria عُصَاب يتميز بتحول الصراع النفسي إلى صورة اضطرابات بدنية وعقلية دون أن تكون هناك علل عضوية يمكن أن تسبب هذه الاضطرابات .) (المترجم)

(٢) (انظر ص ٦٩ - ٧٠) (المترجم)

بقولهن أنه يؤدي وظيفة تفريغ البول .

إن قيام الغشاء المخاطي للشرج بدور جنسي ليس مقصوراً فقط على الاتصال الجنسي بين الرجال : إن الميل نحوه ليس أبداً خاصة للشعور المرتكس . بل على العكس ، يبدو أن **اللواط** مع ذكر ينشأ بالمماثلة لفعل مشابه يجري مع امرأة ؛ بينما أن الاستمناء المتبادل هو الهدف الجنسي الذي غالباً ما يوجد في حالات الاتصال الجنسي بين المرتكسين .

أهمية مناطق بدنية أخري :

إن امتداد الاهتمام الجنسي إلى مناطق بدنية أخرى ، بكل صوره المتنوعة ، لا يمدنا بشيء جديد من حيث المبدأ ؛ وهو لا يضيف شيئاً إلى معلوماتنا عن الغريزة الجنسية التي تقوم فقط على هذا النحو بالإفصاح عن عزمها على الحصول على الموضوع الجنسي من أي اتجاه ممكن . غير أن هذه الامتدادات التشريحية تبين لنا أنه يوجد ، بجانب المغالاة في التقييم الجنسي ، عامل ثان غير معروف لدى الرأي العام . ويبدو أن بعض المناطق البدنية المعينة ، مثل الغشاء المخاطي في الفم والشرج ، التي تظهر باستمرار في مثل هذه الممارسات ، إنما تطالب بضرورة اعتبارها ومعاملتها كأنها أعضاء تناسلية . وسنعرف فيما بعد أن هذه المطالبة يمكن أن تجد في تاريخ نمو الغريزة الجنسية ما يبررها ، وأنها تتحقق في أعراض بعض الحالات المرضية .

بدائل للموضوع الجنسي غير ملائمة ـ الفتيشية[١] :

توجد بعض الحالات الملفتة للنظر جداً على وجه خاص ـ وهي

---

(١) [Fetishism . الفتيش fetish هو التميمة أو الطلسم أو أي شيء يعتقد أن له قوة سحرية =

الحالات التي يستبدل فيها بالموضوع الجنسي السوي موضوع آخر يرتبط به بعض الارتباط ، ولكنه غير ملائم على الإطلاق ليكون الهدف الجنسي السوي . ولا شك أنه كان من الأفضل ، من وجهة نظر التصنيف ، أن نذكر هذه المجموعة الطريفة جداً من انحرافات الغريزة الجنسية ضمن الانحرافات المتعلقة بالموضوع الجنسي . ولكننا أجّلنا الإشارة إليها حتى نلم بعامل المغالاة في التقيم الجنسي الذي تعتمد عليه هذه الظواهر ، من حيث أنها تتعلق بالتخلي عن الهدف الجنسي . .

إن الذي يستبدل بالموضوع الجنسي هو جزء ما من البدن (مثل القدم أو الشعر) يكون بصفة عامة غير ملائم لأغراض جنسية ، أو شيء جمادي يكون مرتبطاً ارتباطاً واضحاً بالشخص الذي يحل محله أو بناحيته الجنسية على وجه خاص (مثل قطعة من الرداء أو الملابس الداخلية) . إن مثل هذه الأشياء البديلة تشبه بحق الفتيشات التي يعتقد المتوحشون أن آلهتهم مجسَّدة فيها .

إن الانتقال إلى هذه الحالات من الفتيشية التي يتم فيها التخلي التام عن الهدف الجنسي سواء كان سوياً أو منحرفاً ، إنما يحدث في حالات أخرى يكون من المطلوب من الموضوع الجنسي فيها أن يستوفي أحد الشروط الفتيشية ـ مثل الحصول على لون خاص للشعر ، أو بعض الملابس الخاصة ، أو بعض العيوب البدنية أيضاً ـ حتى يمكن بلوغ الهدف

= تقي حامله من الأخطار وتقضي له الحاجات . وكان الناس البدائيون يعبدون بعض الأشياء المادية لاعتقادهم بحلول روح الآلهة فيها . وكانوا يعتقدون أيضاً أنهم إذا حصلوا على جزء من هذه المادة المعبودة (وتسمى عادة الفتيش) فإنهم يستطيعون استخدام ما فيها من قوة إلهية أو سحرية لتحقيق أغراضهم ولوقاية أنفسهم من الأخطار .

وقد استخدم فرويد لفظ «الفتيش» ليعبر به عن الانحراف الجنسي الذي يتميز بحدوث التهيج الجنسي من رؤية جزء من بدن الشخص المحبوب ، أو رؤية شيء آخر يتعلق به كملابسه مثلاً .] (المترجم)

الجنسي . ولا توجد حالة أخرى من حالات تغير الغريزة الجنسية التي تقرب من الحالات المرضية يمكن أن تثير اهتمامنا مثل هذه الحالة ، من حيث غرابة الظواهر التي تنشأ عنها . ويبدو أن درجة معينة من الضعف في الدافع نحو الهدف الجنسي السوي (ضعف في أداء الجهاز الجنسي) شرط سابق ضروري في كل حالة[1]. وتتضح نقطة الالتقاء بالحالات السوية في المغالاة ـ النفسية في أساسها ـ في تقييم الموضوع الجنسي ، تلك المغالاة التي تمتد حتماً إلى كل شيء يرتبط به . وعلى ذلك ، فإن هناك درجة معينة من الفتيشية موجودة في الحب السوي ، وعلى الأخص في تلك المراحل من الحب التي يبدو فيها أن الهدف الجنسي السوي لا يمكن بلوغه أو الذي أعيق تحقيقه :

« جئني بمنديل من صدرها
أو بربطة الساق التي ضغطت عليها ركبتها[2] » .

وتصبح الحالة مَرَضية فقط عندما يتجاوز الاشتياق للفتيش الحد الذي يكون فيه مجرد شرط ضروري مرتبط بالموضوع الجنسي ، ويأخذ بالفعل يحل محل الهدف السوي ؛ وكذلك عندما ينفصل الفتيش عن فرد معين ويصبح الموضوع الجنسي الوحيد . تلك هي ، حقاً ، الشروط العامة لانتقال تغيرات الغريزة الجنسية إلى مجال الانحرافات المرضية .

إن بينيه Binet (١٨٨٨) كان أول من قال (وقد أيدت قوله فيما بعد أدلة كثيرة) إن اختيار الفتيش يحدث نتيجة لتأثير انطباع جنسي معين يقع عادة في المرحلة المبكرة من الطفولة . (من الممكن مقارنة ذلك

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] قد يمثل هذا الضعف الشرط الجبلي . وقد وجد التحليل النفسي أن هذه الظاهرة يمكن أن تحدث أيضاً بطريقة عرضية نتيجة لحدوث ما يعيق النشاط الجنسي في وقت مبكر بسبب الخوف ، مما يحول الفرد بعيداً عن الهدف الجنسي السوي ، ويشجعه على البحث عن بديل له .

(٢) [جوتة Goethe ، فاوست Faust ، الجزء الأول ، منظر ٧ .]

بما جاء في المثل عن استمرار الحب الأول : « يعود الناس دائماً إلى حبهم الأول ») . إن هذا الاشتقاق يظهر بوضوح على وجه خاص في الحالات التي يوجد فيها فقط شرط فتيشي مرتبط بالموضوع الجنسي . وسنعود مرة أخرى إلى أهمية الانطباعات الجنسية المبكرة في موضع آخر(١) .

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] أثارت بحوث التحليل النفسي التي تنفذ إلى الأعماق نقداً صائباً ضد رأي بينيه . فجميع الملاحظات التي تتعلق بهذا الموضوع سجلت أول التقاء بالفتيش حيث كان يثير بالفعل رغبة جنسية بدون وجود أي شيء في الظروف المصاحبة يمكن أن يفسر ذلك . وفضلاً عن ذلك ، فإن جميع هذه الانطباعات الجنسية « المبكرة » تحدث بعد سن الخامسة أو السادسة ، بينما يشك التحليل النفسي في إمكان حدوث تثبيتات مرضية جديدة في مثل هذا الوقت المتأخر . إن التفسير الصحيح هو أنه توجد وراء هذا التذكر الأول لظهور الفتيش مرحلة منسية ومغمورة من النمو الجنسي . إن الفتيش يمثل هذه المرحلة « كذكرى حاجبة » screen-memory ، وهو لذلك بقية من هذه المرحلة وراسب منها . إن اتجاه هذه المرحلة الطفلية المبكرة نحو الفتيشية ، وكذلك اختيار الفتيش ذاته أمران تحددهما الجبلة .

(« الذكرى الحاجبة » هي ذكرى فكرة معينة ، واستخدام هذه الفكرة كستار يخفي أفكاراً أخرى مرتبطة بها ويمنعها من الظهور في الذاكرة .

وأود أن أشير في هذا الصدد إلى أن الدراسات السيكولوجية الحديثة في الإشراط تؤيد رأي بينيه . فنشوء الفتيش يمكن أن يفسر على أساس الارتباط الشرطي بين المحبوب وبين الأشياء المرتبطة به كملابسه أو أجزاء بدنه ، بحيث تصبح لهذه الأشياء خاصة التنبيه الجنسي الذي كان يصدر في الأصل عن المحبوب . وبناء على دلك ، فإن نقد فرويد لبينيه لا يستند على أساس علمي . فقول فرويد : « .. فجميع الملاحظات التي تتعلق بهذا الموضوع قد سجلت أول التقاء بالفتيش حيث كان يثير بالفعل رغبة جنسية بدون وجود أي شيء في الظروف المصاحبة يمكن أن يفسر ذلك » إنما يشير إلى ظهور الفتيش بعد تكوين الارتباط الشرطي نتيجةً لخبرات سابقة ، ولا يمكن أن يؤخذ ذلك دليلاً على إنكار أو نفي حدوث الارتباط الشرطي في مراحل سابقة .

على أن هذا النوع من الارتباط الشرطي الذي أشرت إليه ليس وحده كافياً لتفسير ظاهرة الفتيش ، إذ لا بد أيضاً أن نفترض حدوث نوع آخر من الارتباط الشرطي خاصاً بالأعضاء التناسلية للمحبوب كان من نتيجته حدوث تنفير أو اشمئزاز أو خوف منها .)

(المترجم)

وفي حالات أخرى يتم استبدال الفتيش بالموضوع عن طريق ارتباط فكري رمزي لا يكونُ الفرد عادة شاعراً به . وليس من الممكن دائماً أن نحدد طبيعة هذه الارتباطات بدقة (فمثلاً ، القدم رمز جنسي قديم وموجود أيضاً في الأساطير[١] ، ولا شك أن الدور الذي يقوم به الفرو كفتيش يرجع إلى ارتباط ما بشعر العانة) . إن مثل هذه الرمزية لا تكون دائماً غير مرتبطة بالخبرات الجنسية أثناء الطفولة[٢] .

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٠ :] إن الحذاءأو « الشبشب » أيضاً رمزان للأعضاء التناسلية للمرأة .

(٢) [هامش أضيف ١٩١٠ :] قام التحليل النفسي بملء إحدى الثغرات الباقية في فهمنا للفتيشية ، إذ بين ، فيما يتعلق باختيار الفتيش ، أهمية اللذة المستمدة من شم البراز ، والتي اختفت نتيجة للكبت . فإن الأقدام والشعر أشياء ذات رائحة قوية قد ارتفعت إلى درجة الفتيش بعد أن أصبح الإحساس الشمي مكدراً ، وبعد أن تم التخلي عنه . وتبعاً لذلك ، فإن الأقدام القذرة ذات الرائحة الكريهة فقط هي التي تصبح موضوعات جنسية في الانحراف الذي يقابل فتيشية القدم . وهناك عامل آخر يساعد على توضيح التفضيل الفتيشي للقدم ، وهو يوجد في النظريات الجنسية عند الأطفال (انظر فيما بعد) : يمثل القدم القضيب لدى المرأة التي تشعر بحسرة على افتقاده . [إضافة ١٩١٥ :] ولقد كان من الممكن أن نبين في كثير من حالات فتيشية القدم أن غريزة حب النظر scopophilic instinctالتي تريد أن تصل إلى موضوعها(وهو الأعضاء التناسلية في الأصل) من أدنى قد أعيقت عن بلوغ غرضها بسبب النهي والكبت ، ولهذا السبب ارتبطت غريزة حب النظر بفتيش في صورة قدم أو حذاء ، إذ أن الأعضاء التناسلية الأنثوية كانت تتخيل كأنها أعضاء تناسلية ذكرية (تبعاً لتوقع الأطفال) . [أشار فرويد إلى أهمية كبت لذة الشم في رسالتين إلى فليس بتاريخ ١١ يناير و ١٤ فبراير من عام ١٨٩٧ (Freud, 1905a الرسالتان ٥٥ و ٥٧) . وقد عاد إلى الموضوع في ختام تحليله لـ « الرجل الفأر » (Freud, 1905d) ، كما ناقشه باستفاضة في هامشين طويلين في الفصل الرابع من كتاب « الحضارة ومنغصاتها (1930a) . ثم بُحث موضوع الفتيشية أيضاً في مقال فرويد عن هذا الموضوع (1927e) ؛ ثم بُحث كذلك فيما بعد في مقتطفات نشرت بعد وفاته عن « انفصام الأنا » (1940e) ، وكذلك في ختام الفصل الثامن من كتاب « معالم التحليل النفسي » (1940a) .]

ب ـ تثبيتات الأهداف الجنسية التمهيدية

ظهور أهداف جديدة :

إن كل عامل خارجي أو داخلي يعوق أو يؤجل بلوغ الهدف الجنسي السوي (مثل العنة ، أو ارتفاع ثمن الموضوع الجنسي ، أو الخطر الذي ينشأ عن الفعل الجنسي) سيؤدي حتماً إلى تقوية الميل نحو التوقف عند العمليات التمهيدية ، ونحو تحويلها إلى أهداف جنسية جديدة يمكن أن تحل محل الأهداف الجنسية السوية . إن الفحص الدقيق يبين دائماً أنه حتى تلك الأهداف الجديدة التي تبدو أكثر غرابة قد كانت موجودة بالتلميح في العملية الجنسية السوية .

اللمس والنظر :

إن مقداراً معيناً من اللمس أمر ضروري (في جميع الحالات بين البشر) قبل بلوغ الهدف الجنسي السوي . وكل فرد يعلم ما هو مقدار اللذة ، من ناحية ، وما هو مقدار تدفق الإثارة الناشئة ، من ناحية أخرى ، عن الإحساسات اللمسية لبشرة الموضوع الجنسي . ولذلك فإن التوقف عند مرحلة اللمس لا يمكن أن يعد انحرافاً ، إذا كان الفعل الجنسي سيتجاوزها فيما بعد .

ونفس الأمر صحيح بالنسبة للنظر ـ وهو نشاط مستمد في أساسه من اللمس . إن التأثيرات البصرية هي أكثر الطرق التي تستخدم لإثارة التهيج اللبيدي . وحقاً ، إن الاختيار الطبيعي يراعي سهولة هذا الطريق ـ إذا كان من المسموح به أن يستخدم مثل هذا التعبير الغائي [1]ـ عندما

---

(١) [الكلمات بين هاتين الفصلتين أضيفت في ١٩١٥ . راجع الهامش رقم ١ ص ١١٢ .]

يشجع ترقي الجمال في الموضوع الجنسي . إن إخفاء البدن بصورة متزايدة ، وهو أمر يصاحب المدنية ، إنما يعمل على إبقاء حب الاستطلاع الجنسي في حالة تيقظ . ويعمل حب الاستطلاع على تكملة الموضوع الجنسي بكشف أعضائه المخفية . ومن الممكن تحويل («إعلاء[١]») حب الاستطلاع إلى الفن ، إذا كان من الممكن انتقال الاهتمام من الأعضاء التناسلية إلى شكل البدن بأكمله[٢] . ومن الأمور العادية عند معظم الأفراد الأسوياء أن يتوقفوا إلى حد ما عند الهدف الجنسي المتوسط وهو النظر المشوب بصبغة جنسية . وحقاً إن ذلك يمكنهم من توجيه جزء من طاقتهم اللبيدية إلى أهداف فنية عليا . ومن جهة أخرى ، فإن حب النظر هذا يصبح انحرافاً (أ) إذا اقتصر فقط على الأعضاء التناسلية أو (ب) إذا ارتبط بالتغلب على الاشمئزاز (كما في حالة « النَظّارين[٣] » الذين ينظرون إلى وظيفة التبرز) ، أو (جـ) إذا حل محل الهدف الجنسي

---

(١) (الإعلاء sublimation هو تحويل الطاقة النفسية المتعلقة بالدوافع الغريزية عن أهدافها الأصلية وتوجيهها إلى بعض أنواع النشاط الذي يكون مقبولاً من المجتمع كالألعاب الرياضية والآداب والعلوم .) (المترجم)

(٢) [يبدو أن هذه هي أول مرة نشر فيها لفرويد استخدامه للفظ « إعلاء » بالرغم من أنه ورد من قبل في ٢ مايو ١٨٩٧ في رسالة إلى فليس (رسالة رقم ٦١ : Freud, 1905a) . وظهر هذا اللفظ أيضاً في « تاريخ حالة دورا » (1905e) الذي نشر بعد الكتاب الحالي مع أن مخطوطته قد أعدت في ١٩٠١ . وسوف يناقش فرويد هذا المفهوم فيما بعد في ص ٩٩ . هامش أضيف ١٩١٥ :] لا شك عندي في أن مفهوم « جميل » مستمد في أساسه من التهيج الجنسي ، وأنه كان يعني في الأصل « ما يثير جنسياً » [هناك إشارة في الأصل إلى أن الكلمة الألمانية "Reiz" تستخدم في كل من معنى اللفظ الفني « منبه » وفي اللغة الدارجة كمرادف للكلمتين الانجليزيتين « فتنة charm » أو « جاذبية attraction .] وهذا مرتبط بهذه الحقيقة وهي أننا لا نعتبر أبداً الأعضاء التناسلية ذاتها « جميلة » في الحقيقة ، مع أنها هي التي تحدث أشد إثارة جنسية .

(٣) (النظار voyeur هو الفرد الذي يجد لذة جنسية في النظر إلى مناطق شبقية من بدن شخص آخر وعلى الأخص الأعضاء التناسلية .) (المترجم)

السوي بدلاً من أن يكون ممهداً له . وهذا الأمر الأخير صحيح على وجه خاص في حالة «العارضين[1]» الذين ، إذا كان لي أن أثق في نتائج تحليلات كثيرة ، يقومون بعرض أعضائهم التناسلية لكي يصلوا إلى رؤية مقابلة للأعضاء التناسلية للشخص الآخر[2].

إننا نشاهد خاصة هامة جداً في الانحرافات التي تتجه نحو النظر إلى الغير أو نحو أن يكون الفرد موضع نظر الغير ، وستكون هذه الخاصة موضع اهتمامنا الزائد في الانحراف الذي سنبحثه في الخطوة التالية : ففي هذه الانحرافات يتخذ الهدف الجنسي صورتين : صورة **إيجابية** ، وصورة سلبية .

إن القوة التي تقاوم حب النظر ، ولكنها قد تهزم أمامه (بطريقة مماثلة لما سبق أن رأيناه في حالة الاشمئزاز) هي الخزي .

السادية والمازوكية[3] :

أطلق كرافت ـ إبينج اسمي « السادية » و « المازوكية » على الصورتين الإيجابية والسلبية على التوالي لأكثر الانحرافات شيوعاً وأهمها ـ الرغبة في إيلام الموضوع الجنسي وعكسها . وقد فضل بعض الكتّاب الآخرين

---

(١) (العارض exhibitionist هو الفرد الذي يجد لذة جنسية من عرض جزء شبقي من بدنه وعلى الأخص أعضائه التناسلية ؛ وهو يقوم بعملية العرض بطريقة قهرية في العادة .] (المترجم)

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] تكشف هذه الانحرافات أثناء التحليل ـ وفي الحقيقة معظم الانحرافات الأخرى أيضاً ـ عدداً كبيراً من الدوافع والأسباب إلى درجة تدعو إلى الدهشة . فالدافع القهري إلى العــرض ، مثلاً ، يعتمد أيضاً إلى درجة كبيرة على عقدة الخصاء . إنه وسيلة للتأكيد دائماً على كمال عضو الفرد التناسلي (الذكري) ، كما أنه يستعيد إشباعه الطفلي من عدم وجود قضيب في أعضاء المرأة التناسلية .

(٣) (السادية sadism هي التلذذ من إيلام الغير وتعذيبه . والمازوكية masochism هي التلذذ من إيلام الذات .) (المترجم)

[مثل شرنك ـ نوتزنج Shrenck-Notzing ١٨٩٩)] استخدام « شهوة الألم[1] » ، وهو اصطلاح أكثر تحديداً . إن هذا الاصطلاح يؤكد اللذة في الألم والقسوة ، بينما يؤكد الاصطلاحان اللذان اختارهما كرافت إبينــج اللذة في أية صورة للـذل أو الخضوع .

أما فيما يتعلق بشهوة الألم الإيجابية ـ السادية ـ فإنه من السهل اكتشاف جذورها في السوي . فالجنس عند معظم الرجال يتضمن عنصراً من **العدوان** ـ الرغبة في الإخضاع . ويبدو أن الدلالة البيولوجية لهذا العنصر العدواني يرجع إلى الحاجة إلى التغلب على مقاومة الموضوع الجنسي بوسيلة أخرى غير التودد . فالسادية ، إذن ، تقابل جزءاً عدوانياً من الغريزة الجنسية ، وقد أصبح هذا الجزء مستقلاً ومتضخماً ، وقام ، عن طريق النقل[2] ، باغتصاب مركز القيادة[3] .

يتذبذب مفهوم السادية ، في الكلام العادي ، بين الحالات التي تتميز فقط باتجاه إيجابي أو قاس نحو الموضوع الجنسي من جهة ، وبين الحالات التي يتوقف فيها الإشباع كلية على إذلال الموضوع أو إساءة معاملته . وهذه الحالة المتطرفة الأخيرة فقط ، على وجه الدقة ، هي التي تستحق أن توصف بالانحراف .

---

(١) (algolagnia. وتتضمن شهوة الألم كلاً من السادية والمازوكية . فالسادية هي الصورة الايجابية من شهوة الألم . والمازوكية هي الصورة السلبية لها .) (المترجم)

(٢) (النقل displacement حيلة عقلية دفاعية تقوم بنقل الانفعالات من المعاني أو الموضوعات التي كانت متصلة بها في الأصل إلى معان أو موضوعات أخرى توصف عادة بأنها بديلة ، لأنها حلت محل المعاني أو الموضوعات الأصلية . ويحدث النقل نتيجة للكبت ، وهو يهدف إلى منع المعاني الأصلية غير المقبولة من النفاذ إلى الشعور .) (المترجم)

(٣) [في طبعتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ ظهرت العبارتان التاليتان في النص عند هذه النقطة : « يمكن الاستدلال على أحد جذور المازوكية على الأقل بدقة مماثلة . فهي تنشأ عن المبالغة في التقييم الجنسي كنتيجة ضرورية لاختيار الموضوع الجنسي . » وقد حذفت هاتان العبارتان منذ ١٩١٥ فصاعداً ، وأدرجت الفقرتان التاليتان محلهما .]

وبالمثل يتضمن لفظ المازوكية أي اتجاه سلبي نحو الحياة الجنسية والموضوع الجنسي . ويبدو أن الحالة المتطرفة لذلك هي الحالة التي يتوقف فيها الإشباع على التألم البدني أو العقلي الذي يتم على يدي الموضوع الجنسي . ويبدو أن المازوكية ، من حيث هي انحراف ، أبعد من الهدف الجنسي السوي من نظيرتها . وقد يشك لأول وهلة فيما إذا كان من الممكن أن تحدث المازوكية كظاهرة أولية ، أو على العكس ، فيما إذا لم تكن تنشأ دائماً عن تحول السادية[1] . ومن الممكن أن نبين في كثير من الحالات أن المازوكية ليست إلا امتداداً للسادية المرتدة نحو ذات الفرد نفسه التي أصبحت بالتالي تحلّ محل الموضوع الجنسي . ويبين التحليل الإكلينيكي للحالات المتطرفة للانحراف المازوكي أن عدداً كبيراً من العوامل (مثل عقدة الخصاء[2] والشعور بالذنب) قد تآلفت لتقوية الاتجاه الجنسي السلبي الأصلي وتثبيته .

والألم الذي يقهر في مثل هذه الحالات ، ينضم بالتالي إلى الاشمئزاز والخزي باعتباره قوة تعارض الليبيدو وتقاومه[3] .

وتحتل السادية والمازوكية مكانة خاصة بين الانحرافات ، لأن التقابل بين الإيجابية والسلبية فيهما من الخصائص العامة للحياة الجنسية .

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] لقد تغير رأيي في المازوكية تغيراً كبيراً نتيجة لتفكيري فيما بعد الذي يستند على فروض معينة تتعلق بتركيب الجهاز النفسي وأنواع الغرائز التي تعمل فيه . وقد اضطررت إلى أن أميز مازوكية أولية أو **شبقية** نشأت عنها فيما بعد صورتان هما المازوكية **الأنثوية** والمازوكية **الأخلاقية** . وتتحول السادية التي لا تجد عملاً في الحياة الواقعية نحو ذات الفرد نفسه ، وبذلك تكوّن مازوكية **ثانوية** تنضاف إلى المازوكية الأولية (قارن فرويد ، ١٩٢٤) .

(٢) (عقدة الخصاء castration complex هي حالة القلق الذي يصاب به الطفل أثناء المرحلة الأوديبية نتيجة لتهديده بالخصاء للعبه في قضيبه ، ولتماديه في التقرب من والدته .)

(٣) [وردت هذه الفقرة القصيرة في الطبعة الأولى (١٩٠٥) ، أما الفقرتان الأخيرتان ، وكذلك الفقرة التالية لهما فقد أضيفت فقط في ١٩١٥] .

ويبين تاريخ الحضارة الإنسانية بدون أدنى شك أنه توجد علاقة وثيقة بين القسوة والغريزة الجنسية ، ولكن لم تبذل أية محاولة لتفسير هذه العلاقة ، فيما عدا تأكيد العامل العدواني في الليبيدو . وتبعاً لبعض المفكرين ، إن هذا العنصر العدواني للغريزة الجنسية هو في الحقيقة أثر باق لرغبات في أكل لحم البشر ـ أي أنه إسهام مستمد من جهاز تحقيق السيطرة الذي يعنى بإشباع الحاجات الغريزية العظيمة الأخرى والتي هي أقدم الغرائز من ناحية نشوء الفرد(١) . وقد زعِم أيضاً أن كل ألم يحتوي في ذاته على إمكانية الشعور باللذة . إن كل ما يمكن أن يقال هو أنه لم يوضع بعد تفسير مُرْضٍ لهذا الانحراف ، وأنه يبدو أنه من المحتمل أن كثيراً من الدوافع النفسية تتجمع فيه لتكوِّن نتيجة واحدة(٢) .

إن أهم خاصة ملفتة للنظر في هذا الانحراف هي أن صورتيه الإيجابية والسلبية توجدان معاً في العادة عند الفرد الواحد . فالفرد الذي يشعر باللذة من إيلام فرد آخر أثناء العلاقة الجنسية ، يكون أيضاً قادراً على التلذذ بالألم الذي قد يشعر به هو ذاته من العلاقات الجنسية . فالسادي يكون دائماً مازوكياً في نفس الوقت ، بالرغم من أن إحدى الصورتين الإيجابية أو السلبية للانحراف قد تكون أكثر نمواً عنده ، وقد تمثل نشاطه الجنسي السائد(٣) .

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] قارن ملاحظاتي التي سترد فيما بعد بخصوص مراحل النمو الجنسي السابقة للمرحلة التناسلية ، وهي الملاحظات التي تؤيد هذا الرأي .

(يشير فرويد هنا إلى ما سيجيء فيما بعد في الرسالة الثانية خاصاً بمراحل النمو الجنسي عند الأطفال .) (المترجم)

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] إن البحث المذكور سابقاً [في هامش ١ ، ص ٧٢] قد قادني إلى أن أحدد لزوج الضدين المؤلف من السادية والمازوكية ، مكاناً خاصاً ، يعتمد في أساسه على أصل الغرائز ، وأن أضعهما خارج فئة الانحرافات الأخرى .

(٣) بدلاً من أذكر كثير من الأدلة على هذا الرأي سأكتفي باقتباس فقرة من هافيلوك إليس (١٩١٣، ص ١١٩) : «إن بحث تاريخ حالات السادية والمازوكية ، حتى تلك الحالات =

وإذن ، فنحن نجد أن بعض الدوافع الانحرافية المعينة توجد عادة في أزواج متضادة . وإن لهذا الأمر ، إذا ما ضُمَّ إلى المادة التي سنذكرها فيما بعد ، أهمية نظرية كبيرة[1]. وفضلاً عن ذلك ، فإن من الحقائق التي تدعو إلى التفكير أن وجود هذين الضدين ، وهما السادية والمازوكية ، لا يمكن أن ينسب إلى عنصر العدوان فحسب . وإننا لنميل إلى ربط وجود هذين الضدين معاً بالتضاد الموجود بين الذكورة والأنوثة اللتين تجتمعان معاً في الثنائية الجنسية ـ وهو تضاد كثيراً ما يستبدل به في التحليل النفسي التضـاد بين الإيجابية والسلبية[2].

(٣) الانحرافات بصفة عامة

التغير والمرض :

من الطبيعي أن يميل رجال الطب الذين كانوا أول من درس الانحرافات في حالات واضحة جداً وتحت ظروف خاصة ، إلى اعتبارها ، مثل الارتكاس ، علامات على الانحلال أو المرض . ومع ذلك ، فإن الاستغناء عن هذا الرأي في هذه الحالة أسهل منه في حالة الارتكاس . ولقد بينت خبرتنا اليومية أن معظم هذه الامتدادات ، أو

= التي ذكرها كرافت ـ إيبنج (كما سبق أن أشار إلى ذلك كولين سكوت Colin Scott وفيري Feré) ، يبين دائماً وجود آثار لكلتا المجموعتين من الظواهر في الفرد الواحد » .

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] قارن مناقشتي « للتناقض الوجداني » ambivalence فيما بعد . (سترد هذه المناقشة في الرسالة الثانية .) (المترجم)

(٢) [لم ترد العبارة الأخيرة في طبعتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ . وفي طبعة ١٩١٥ أضيفت العبارة التالية : « وهو تضاد يرجع في التحليل النفسي إلى التضاد بين الإيجابية والسلبية » . وفي طبعة ١٩٢٤ استبدلت بهذه العبارة الأخيرة الكلمات الواردة الآن في النص .]

أقلها شدة على أية حال ، عبارة عن أجزاء يندر أن تغيب عن الحياة الجنسية للأفراد الأصحاء ، وأنهم يحكمون عليها حكماً لا يختلف عن حكمهم على الأحداث الأخرى الخاصة . فإذا ساعدت الظروف على حدوث مثل هذه الانحرافات ، فإن الأفراد الأسوياء أيضاً يستطيعون أن يستبدلوا انحرافاً من هذا النوع بالهدف الجنسي السوي لمدة طويلة ، أو يستطيعون أن يبقوا على أحدهما بجانب الآخر . ويبدو أنه لا يوجد فرد سوي لا يستطيع أن يضيف شيئاً يمكن أن يسمى انحرافاً إلى الهدف الجنسي السوي ، وإن عموم هذه النتيجة أمر كاف في ذاته ليبين أنه ليس من الملائم استخدام كلمة انحراف في معرض الذم . إننا نلاقي في مجال الحياة الجنسية صعوبات عجيبة وغير قابلة للحل بمجرد أن نحاول أن نضع حداً فاصلاً يميز بين مجرد التغيرات التي تدخل في مجال التغيرات الفسيولوجية وبين الأعراض المرضية .

ومع ذلك ، فإن كيفية الهدف الجنسي الجديد في بعض هذه الانحرافات يكون من نوع يتطلب منا أن نقوم بفحصه فحصاً خاصاً . فبعض هذه الانحرافات تكون بعيدة جداً عن السوي في مضمونها بحيث إننا لا نستطيع أن نتجنب اعتبارها « مرضية » . ويحدث ذلك خاصة في الحالات (كما في حالات لحس البراز أو الاتصال الجنسي بجثث الموتى) التي تذهب فيها الغريزة الجنسية إلى حد بعيد مذهل في التغلب بنجاح على مقاومة الخزي ، أو الاشمئزاز ، أو الخوف ، أو الألم . ولكن حتى في مثل هذه الحالات لا يجب أن نتسرع في افتراض أن الأفراد الذين يتصرفون بهذه الطريقة يكونون حتماً مجانين أو مصابين بأنواع أخرى من الشذوذ الخطير . ونحن لا نستطيع ، هنا أيضاً ، أن نغفل هذه الحقيقة وهي أن الأفراد الذين يكون سلوكهم سوياً في النواحي الأخرى يستطيعون ، تحت سيطرة أكثر الغرائز تمرداً ، أن يضعوا أنفسهم في مجموعة المرضى في مجال الحياة الجنسية فقط . ومن جهة أخرى ،

من الممكن أن نبين دائماً أن للشذوذ الواضح في العلاقات الأخرى في الحياة أساساً في السلوك الجنسي الشاذ .

إن الخاصة المرضية في الانحراف لا ترجع في معظم الحالات إلى **مضمون** الهدف الجنسي الجديد ، وإنما ترجع إلى علاقته بالهدف الجنسي السوي . فإذا كان الانحراف يقوم بإبعاد الهدف الجنسي والموضوع الجنسي السويين كلية ويحل محلهما في **جميع** الظروف ، بدلاً من الظهور إلى **جانبهما** فحسب ، وعندما تكون الظروف فقط غير مساعدة **لهما** ومساعدة **له** ـ وبعبارة أخرى ، إذا كان للانحراف خاصة الشمول والتثبيت ـ فإننا نكون عادة محقين في اعتبار الانحراف عرضاً مَرَضياً .

العامل النفسي في الانحرافات :

لعله من الواجب ، فيما يتعلق فقط بأشد الانحرافات بشاعة ، أن نعتبر أن العامل النفسي يقوم بدوره الأكبر في تحول الغريزة الجنسية . فمن المستحيل أن ننكر أنه في هذه الحالات قد حدث قدر من العمل النفسي الذي ، بالرغم من نتيجته المخيفة ، يكون معادلاً لتصور الغريزة الجنسية في صورة مثالية . ولعل قدرة الحب المطلقة لم تتحقق من قبل بطريقة قوية كما تحققت في مثل انحرافاته هذه . فإن أسمى الأشياء وأدناها في مجال الجنس يكونان دائماً قريبين جداً أحدهما من الآخر ؛ « من الجنة ، عبر العالم ، إلى جهنم[1] » .

---

(١) [جوته ، **فاوست** ، مقدمة في المسرح . في رسالة إلى فليس بتاريخ ٣ يناير ١٨٩٧ (الرسالة ٥٤، Freud 1950a) اقترح فرويد استخدام هذا الاقتباس كشعار لفصل عن « الجنس » في مجلد يفكر في تأليفه . وقد كتبت هذه الرسالة في وقت كان يوجه انتباهه نحو الانحرافات إن أول إشارة إلى الانحرافات في رسائله إلى فليس وردت بتاريخ يناير ١٨٩٦ (مسودة ١٢) .]

نتيجتان :

بينت لنا دراستنا للانحرافات أن على الغريزة الجنسية أن تكافح ضد قوى نفسية معيَّنة تعمل كمقاومات ، وأن الخزي والاشمئزاز هما أبرز هذه القوى . ومن الممكن أن نفترض أن هذه القوى تقوم بتقييد تلك الغريزة في داخل نطاق الحدود التي تعتبر سوية ، وإذا نمت هذه القوى في الفرد قبل أن تبلغ الغريزة الجنسية كامل قوتها ، فإنها بلا شك ستوجه سير نموها[1] .

ولقد وجدنا ، من جهة أخرى ، أن بعض الانحرافات التي درسناها تصبح فقط معقولة حينما نفترض تلاقي عدة قوى دافعية . وإذا كانت مثل هذه الانحرافات تسمح بالتحليل ، أي إذا كان من الممكن تفكيك أجزائها ، فهي إذن لا بد أن تكون ذات طبيعة مركبة . ويوحي ذلك بأن الغريزة الجنسية ذاتها قد لا تكون أمراً بسيطاً ، وإنما هي مركبة من أجزاء ، وإن هذه الأجزاء قد انفصلت مرة أخرى في الانحرافات . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الملاحظات الإكلينيكية لهذه الاتجاهات الشاذة قد وجهت انتباهنا إلى اندماجات لا تظهر في السلوك المتسق للأفراد الأسوياء[2] .

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] ومن جهة أخرى ، إن هذه القوى التي تعمل كأنها سدود أمام النمو الجنسي ـ الاشمئزاز ، الخزي ، والأخلاق ـ يجب أن تعتبر أيضاً كأنها رواسب تاريخية لأنواع الكفّ الخارجية التي خضعت لها الغريزة الجنسية أثناء النشوء النفسي للنوع البشري . ونستطيع أن نلاحظ الطريقة التي تظهر فيها هذه القوى في اللحظة الملائمة ، أثناء نمو الأفراد ، كأنما تحدث بطريقة تلقائية ، عندما تصدر إشارة من التربية والسلطة الخارجية .

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] وفيما يتعلق بمنشأ الانحرافات فإني أود أن أضيف كلمة مستبقة ما سيأتي فيما بعد . توجد بعض الأسباب التي تبرر أن نفترض أن البدايات الفاشلة للنمو الجنسي السوي تحدث قبل تثبيت الانحرافات ، كما هو الأمر تماماً في حالة الفتيشية ؛ وقد استطاع البحث التحليلي أن يبين في حالات قليلة أن الانحرافات عبارة عن =

(٤) الغريزة الجنسية عند العُصَابيين

التحليل النفسي :

إن معرفتنا بالغريزة الجنسية عند بعض الأفراد الذين يقتربون على الأقل من الأفراد الأسوياء ، يمكن أن تضاف إليها زيادة هامة من مصدر يمكن أن نصل إليه فقط عن طريق واحد خاص . فهناك طريقة واحدة فقط للحصول على معلومات شاملة وغير مضلِّلة عن الحياة الجنسية للأفراد الذين يعرفون « بالعُصَابيين النفسيين » ـ الذين يعانون الهستيريا ، والعصاب الوسواسي[١] ، وما يسمى خطأً بالنوراستينيا[٢] ، وكذلك أيضاً ، بلا شك ، الجنون المبكر[٣] ، والبارانويا[٤] . فمن الواجب وضعهم

= رواسب تخلفت عن النمو نحو عقدة أوديب ، وأنه بعد كبت هذه العقدة تأخذ أجزاء الغريزة الجنسية التي تكون أقوى في استعداد الفرد في الظهور مرة أخرى .

(١) (العصاب الوسواسي obsessional neurosis هو العصاب الذي تتلخص أعراضه في تسلط الوساوس على ذهن المريض ، وإتيانه لبعض الأفعال والحركات غير الإرادية .) (المترجم)

(٢) (النوراستينيا neurasthenia عصاب يتميز على الأخص بالشعور بالتعب والإعياء البدني والعقلي دون أن يقوم المريض بأي عمل بدني أو عقلي يمكن أن يسبب هذا الإعياء . وتظهر في هذا العصاب أيضاً أعراض أخرى كثيرة مثل الصداع وآلام الظهر والإحساس بالضغط حول العنق والأكتاف ، وسرعة التهيج والغضب .) (المترجم)

(٣) (الجنون المبكر dementia Praecox ذهان ـ أي مرض عقلي ـ من أوضح أعراضه الانسحاب من الحياة الواقعية والاستغراق في عالم الخيال ، وظهور الهلوسة وهذيانات العظمة أو الاضطهاد .) (المترجم)

(٤) [قبل ١٩١٥ كانت الكلمات «البارانويا على الأرجح» تحل محل الكلمات الثماني الأخيرة من هذه العبارة]

(البارانويا paranoia ذهان تتسلط فيه على المريض بعض الهذيانات . وللبارانويا عدة أنواع نذكر منها :

١ ـ البارانويا الاضطهادية وفيها يتوهم المريض أن الناس يضطهدونه

٢ ـ بارانويا العظمة وفيها يتوهم المريض أنه شخصية عظيمة .

٣ ـ بارانويا الغيرة وفيها تتسلط على المريض الشكوك في إخلاص وحب شخص آخر عزيز عليه .) (المترجم)

تحت البحث التحليلي النفسي الذي يستخدم في طريقة العلاج التي وضعها جوزيف بروير Joseph Breuer وأنا في عام ١٨٩٣، والتي كانت تعرف في ذلك الوقت « بالتفريغ (١) » .

ويجب أولاً أن أوضح ـ كما سبق أن فعلت في كتابات أخرى ـ أن خبرتي كلها تبين أن هذه الأمراض العُصَابية النفسية تقوم على قوى غريزية جنسية . ولست أعني بذلك فقط أن طاقة الغريزة الجنسية تسهم في القوى التي تبقي على المظاهر المرضية (الأعراض) ، بل إنني أعني بوضوح أن أؤكد أن هذا الإسهام هو أهم مصدر لطاقة العُصاب ، وهو المصدر الثابت الوحيد لها ، وأنه نتيجة لذلك فإن الحياة الجنسية للفرد إنما تعبر عن نفسها في هذه الأعراض ـ سواء كان ذلك بصورة مطلقة ، أو بصورة رئيسية ، أو بصورة جزئية فقط . وكما قلت في موضع آخر ، إن الإعراض هي عبارة عن النشاط الجنسي للمريض . إن الدليل على هذا التأكيد مستمد من العدد المتزايد من التحليلات النفسية التي قمت بها للهستيريين وغيرهم من العصابيين في الخمس وعشرين سنة الأخيرة(٢) ، والتي ذكرت نتائجها بالتفصيل في مؤلفات أخرى (وسوف أواظب على ذكرها(٣) .

إن التخلص من أعراض المرضى الهستيريين بوساطة التحليل النفسي

---

(١) (نشر فرويد بالاشتراك مع بروير في عام ١٨٩٥ كتاب «دراسات في الهستيريا» . وقد شرح المؤلفان في هذا الكتاب القيمة العلاجية لطريقة «التفريغ» catharsis في شفاء الهستيريا . وتتلخص هذه الطريقة في حث المريض أثناء التنويم على تذكر الحوادث والخبرات الشخصية الماضية ، وعلى التنفيس عن العواطف المكبوتة .) (المترجم)

(٢) [في ١٩٠٥ «عشر سنوات» ، وأخذ الرقم يزداد مع كل طبعة حتى ١٩٢٠ .]

(٣) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] لست أقصد تعديل التوكيد المذكور سابقاً ، وإنما أقصد بالأحرى أن أضيف إليه ، حينما أعيد صياغته على النحو التالي : تقوم الأمراض العصابية ، من ناحية ، على مطالب الغرائز الليبيدية ، ومن ناحية أخرى على مطالب الأنا التي تظهر كرد فعل لها .

يتم على افتراض أن هذه الأعراض بدائل - كأنها نُسَخ - لعدد من العمليات العقلية والأماني والرغبات المشحونة بطاقة انفعالية ، والتي قامت عملية نفسية خاصة (الكبت) بمنعها من التفريغ في نشاط نفسي مقبول من الشعور . ولذلك فإن هذه العمليات العقلية التي حجزت في حالة لاشعورية سوف تكافح لكي تعبر عن نفسها بطريقة تكون مناسبة لأهميتها الانفعالية - لكي تحقق التفريغ . وهي تجد ، في حالة الهستيريا ، مثل هذا التعبير (عن طريق عملية « التحول ») في ظواهر بدنية ، أي في أعراض هستيرية . وبإرجاع هذه الأعراض بطريقة منظمة (بالاستعانة بطريقة فنية خاصة) إلى أفكار مشحونة بطاقة انفعالية - وتصبح هذه الأفكار الآن شعورية - فإنه يكون من الممكن الحصول على أدق المعرفة عن طبيعة وأصل هذه التكوينات النفسية التي كانت من قبل لاشعورية .

نتائج التحليل النفسي :

لقد تبين بهذه الطريقة أن الأعراض تمثل بديلاً للدوافع التي تستمد قوتها من الغريزة الجنسية . وإن ما نعرفه عن طبيعة الهستيريين قبل إصابتهم بالمرض - ومن الممكن اعتبارهم نموذجاً لجميع العصابيين - وعن الظروف التي تعجل بمرضهم إنما يتفق اتفاقاً تاماً مع هذا الرأي . ويبين خُلُق الهستيريين درجة من الكبت الجنسي تزيد عن المقدار العادي ، وحدّة في المقاومة ضد الغريزة الجنسية (التي سبق أن عرفناها في صورة الخزي ، والاشمئزاز ، والأخلاق) ، وما يبدو كأنه نفور غريزي لديهم من أي تناول عقلي للمشكلات الجنسية . وينتج عن ذلك ، في بعض الحالات الواضحة بصفة خاصة ، أن يظل المرضى في جهل تام بالأمور الجنسية حتى يبلغوا مرحلة النضج الجنسي[١] .

---

(١) يقول بروير [في الفقرة الثانية من تاريخ الحالة الأولى ، بروير وفرويد ، ١٨٩٥] عن =

وتبين لنا الملاحظة العابرة أن هذه السمة التي تتميز بها الهستيريا ، كثيراً ما تختفي نتيجة وجود خاصة ثانية جِبِلّية في الهستيريا ، وهي النموّ الفائق للغريزة الجنسية . وعلى أية حال ، فإن التحليل النفسي يستطيع دائماً أن يكشف أول هذين العاملين ، وأن يوضح التناقض الغامض الذي يوجد في الهستيريا ، وذلك بالكشف عن الضدين اللذين تتميز بهما الهستيريا ـ حاجة جنسية شديدة ونفور زائد من الجنس .

إن الذي يساعد على ابتداء المرض في حالة أي فرد لديه استعداد للهستيريا هو أنه يجد نفسه في مواجهة مطالب موقف جنسي واقعي ، سواء كان ذلك نتيجة نضوجه هو ذاته أو نتيجة الظروف الخارجية في حياته . وبينما هو بين ضغط الغريزة وكراهيته للجنس ، إذا بالمرض يمده بطريقة للهرب . ولكن المرض لا يحل صراعه ، ولكنه يؤدي إلى تجنبه عن طريق تحويل رغباته اللبيدية إلى أعراض[١] . والاستثناء من ذلك هو استثناء **ظاهري** فقط ، وذلك عندما يمرض هستيري ـ وليكن رجلاً ـ نتيجة انفعال تافه ، أو نتيجة صراع لا يدور حول أية رغبة جنسية . ويستطيع التحليل النفسي دائماً أن يبين في مثل هذه الحالات أن الجزء الجنسي من هذا الصراع ، وهو الذي منع العمليات العقلية من الوصول إلى غايتها السوية ، هو الذي جعل المرض ممكناً .

العصاب والانحراف :

لا شك أن جزءاً كبيراً من المعارضة التي وجهت ضد آرائي هذه إنما يرجع إلى هذه الحقيقة وهي أن الجنس الذي أرجعت إليه الأعراض

= المريضة التي اتبع معها لأول مرة طريقة التفريغ : «إن عامل الجنس لم يكن نامياً عندها بصورة تدعو إلى الدهشة» .

(١) [فصل فرويد هذا المفهوم في مقاله عن الأنماط المختلفة لبداية العصاب (1912c).]

العصابية النفسية كان يعتبر مطابقاً للغريزة الجنسية السوية . غير أن ما يعلمنا التحليل النفسي يذهب إلى أبعد من ذلك . إنه يبين أن هذه الأعراض لا تنشأ فقط على حساب ما يسمى بالغريزة الجنسية **السوية** ـ وعلى أية حال فليس الأمر كذلك بصورة مطلقة أو بصفة رئيسية ؛ وإنما قد تعبر الأعراض أيضاً (عن طريق التحول) عن غرائز قد توصف بأنها **منحرفة** بأوسع معنى لهذه الكلمة ، إذا أمكن التعبير عنها مباشرة في الخيال وفي الفعل بدون أن تُبعد عن الشعور . فالأعراض ، إذن ، تنشأ بطريقة جزئية ، بسبب الحياة الجنسية **الشاذة** ؛ وإن **الأمراض العصابية ، إن جاز التعبير ، هي الناحية السلبية للانحرافات**[1] .

وتظهر الغريزة الجنسية لدى العصابيين النفسيين جميع الانحرافات التي درسناها باعتبارها تغيرات تطرأ على الحياة الجنسية السوية ، ومظاهر للحياة الجنسية الشاذة .

أ ـ تبين الحياة العقلية اللاشعورية لدى جميع العصابيين ـ بدون استثناء ـ دوافع مرتكسة ، وتثبيتاً للبيدو لديهم عند أفراد من نفس جنسهم . ومن المستحيل أن نعطي أي تقدير صحيح لأهمية هذا العامل في تحديد الصورة التي تتخذها أعراض المرض ، بدون أن ندخل في مناقشة عميقة . وإني أستطيع فقط أن أؤكد أنه يوجد دائماً ميل لاشعوري

---

(١) [عبر فرويد عن هذه الفكرة بهذه الكلمات بالذات في رسالته إلى فليس بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٩٧ (رسالة ٥٧ ، Freud, 1950a) . غير أن هذه الفكرة قد أشير إليها من قبل ضمناً في رسالتين بتاريخ ٦ من ديسمبر ١٨٩٦ ، و ١١ من يناير ١٨٩٧ (الرسالتان رقم ٥٢ ، ٥٥) ووردت هذه الفكرة أيضاً في تاريخ حياة دورا (1905e, S. E., 7, 50) .] إن المحتويات التي تتضمنها كل من الخيالات الشعورية للمنحرفين (التي يمكن تحويلها في ظروف مناسبة إلى سلوك ظاهر) ، والمخاوف الهذائية للمصابين بالبارانويا (التي تسقط على أفراد آخرين في صورة عدائية) ، والخيالات اللاشعورية للهستيريين (التي يكشف التحليل النفسي وجودها وراء أعراضهم) ـ كل هذه إنما يتفق بعضها مع بعض تمام الاتفاق حتى في تفاصيلها .

نحو الارتكاس ، وأن لهذا الميل أهمية خاصة في إلقاء بعض الضوء على الهستيريا بين الرجال [١] .

ب ـ من الممكن أن نعثر في لاشعور العصابيين النفسيين على ميول لكل نوع من أنواع الامتدادات التشريحية للنشاط الجنسي ، وأن نبين أن هذه الميول عوامل في تكوين الأعراض . ومن الميول التي نشاهدها تحدث بكثرة خاصة تلك الميول التي يقوم فيها الغشاء المخاطي للفم والشرج بدور الأعضاء التناسلية .

جـ ـ من العوامل التي تقوم بدور بارز بصفة خاصة في تكوين الأعراض في الأمراض العصابية النفسية تلك الغرائز الجزئية [٢] التي تظهر في الأغلب كأزواج من الأضداد ، والتي عرفناها من قبل باعتبار أنها تقدم أهدافاً جنسية جديدة ـ غريزة حب النظر ، والعَرْض ، والصورة الإيجابية والسلبية لغريزة القسوة . إن الإسهام الذي تقوم به الغريزة الأخيرة أمر أساسي لفهم خاصة **الألم** في هذه الأعراض ، وأنها غالباً ما تسود جزءاً من السلوك الاجتماعي للمريض بصورة منتظمة . وعن طريق هذه العلاقة بين الليبدو والقسوة يتم أيضاً تحوّل الحب إلى كراهية ، وتحوّل دوافع المحبة إلى دوافع عدوانية ، وهو خاصة يتميز بها عدد كبير من حالات العصاب ، وكذلك البارانويا على وجه عام ، فيما يبدو .

---

(١) كثيراً ما تكون الأمراض العصابية النفسية أيضاً مرتبطة بارتكاس **ظاهر** . وفي مثل هذه الحالات يكون التيار الجنسي الغيري قد قمع قمعاً تاماً . وإنه لمن الإنصاف أن أقول إن فليس البرليني W. Fliess of Berlin كان أول من وجه انتباهي إلى ضرورة صفة الشمول في الميل نحو الارتكاس لدى العصابيين النفسيين ، بعد أن كنت قد ناقشت وجوده في بعض الحالات الفردية . [إضافة ١٩٢٠ :] وإن هذه الحقيقة التي لم تقدر تقديراً كافياً ، لا بد أن يكون لها تأثير حاسم في أية نظرية للجنسية المثلية .

(٢) [اصطلاح «الغريزة الجزئية» يرد هنا لأول مرة في أعمال فرويد المنشورة ، وإن كان المفهوم قد سبق تقديمه في ص ٧٧ .]

إن اهتمامنا بهذه النتائج ليزداد زيادة كبيرة نتيجة لبعض الحقائق الخاصة المعينة [1].

(أ) كلما وجدنا في اللاشعور غريزة من هذا النوع يمكن أن تقترن بغريزة مضادة لها ، فإن هذه الغريزة الثانية توجد عادة في حالة نشاط أيضاً . وعلى ذلك ، فكل انحراف إيجابي يكون مصاحباً لمقابله السلبي : إن كل فرد يكون في لاشعوره « عارضاً » يكون أيضاً في نفس الوقت نَظَّاراً ؛ وإن كل فرد يعاني من نتائج الدوافع السادية المكبوتة لا بد أن يكون لديه سبب آخر لأعراضه يصدر عن ميوله المازوكية . إن الاتفاق التام الذي يتضح هنا مع ما سبق أن وجدناه في الانحرافات « الإيجابية » المقابلة لأمر ملفت للانتباه إلى درجة قصوى ، بالرغم من أن أحد الميلين المضادين أو الآخر هو الذي يقوم بالدور الرئيسي في الأعراض الحقيقية .

(ب) ليس من الأمور العادية أن نجد غريزة منحرفة واحدة فقط نامية في أية حالة خاصة من حالات الأمراض العصابية النفسية . إننا نجد عادة عدداً كبيراً من هذه الغرائز المنحرفة ، كما نجد عادة آثاراً منها جميعاً . غير أن درجة نمو كل غريزة معينة مستقل عن نمو الغرائز الأخرى . وهنا أيضاً تمدنا دراسة الانحرافات « الإيجابية » بالصورة المقابلة مقابلة تامة .

(٥) الغرائز الجزئية والمناطق الشبقية [2]

إذا جمعنا معاً ما تعلمناه من دراستنا للانحرافات الإيجابية والسلبية ،

(١) [في الطبعات السابقة قبل ١٩٢٠ عدّد فرويد ثلاثاً من مثل « هذه الحقائق الخاصة » . أولاها ، وقد حذفت فيما بعد كانت كما يلي : « لا يوجد شيء في ثنايا تيارات التفكير اللاشعوري الذي وجدناه في الأمراض العصابية ما يقابل الميل إلى الفتيشية ــ وهو أمر يلقي ضوءاً على الخاصة النفسية لهذا الانحراف المفهوم خير الفهم . »]

(٢) [يبدو أن هذا هو أول ظهور لمصطلح « المناطق الشبقية » في عمل منشور . وقد سبق أن =

فإنه يبدو من المعقول أن نرجعها إلى عدد من « الغرائز الجزئية » التي ليست ذات طبيعة أولية ، ولكنها قابلة لمزيد من التحليل [1]. ونقصد بـ « الغريزة » ، بصفة مؤقتة ، الممثل النفسي لمصدر التنبيه المنبعث من داخل البدن والدائم التدفق ، وذلك في مقابل « المنبه » الذي يتكون من الإثارات المفردة الآتية من الخارج . إن مفهوم الغريزة ، إذن ، من أحد المفاهيم التي تقع على الحدود بين العقلي والبدني . ويبدو أن أبسط وأوضح فرض فيما يتعلق بطبيعة الغرائز هو أنه ليست للغريزة في ذاتها كيفية ، بل يجب أن نعتبرها فقط ، فيما يتعلق بالحياة العقلية ، كمقياس لما يطالب به العقل من العمل . إن ما يميز الغرائز بعضها عن بعض ، ويمدها بكيفيات نوعية إنما هو علاقتها بمصادرها البدنية وبأهدافها . إن مصدر الغريزة هو عملية تهيج تحدث في عضو ما ، وإن الهدف المباشر للغريزة يكمن في إزالة هذا المنبه العضوي [2].

= استخدمه فرويد في رسالة إلى فليس بتاريخ ٦ ديسمبر ١٨٩٦ (الرسالة رقم ٥٢ ، Freud 1950a)] . وقد ورد أيضاً في فقرة بالقسم الأول من تاريخ حالة دورا (1950e) المفروض أنه كتب في ١٩٠١ : ومن الواضح أنه صيغ على مثال مصطلح « منطقة هستيرية » الذي كان شائع الاستخدام من قبل .]

(١) [أضيفت العبارات ابتداء من هذه النقطة حتى نهاية الفقرة في ١٩١٥ . وفي الطبعتين الأولين (١٩٠٥ و١٩١٠) ظهرت العبارات التالية بدلاً منها : « نستطيع أن نميز فيها [الغرائز الجزئية] (فضلاً عن « غريزة » ليست في ذاتها جنسية (مثل : البشرة ، أو الغشاء المخاطي ، أو أحد الأعضاء الحسية) . إن عضواً من هذا النوع سيوصف في هذا الصدد بأنه « منطقة شبقية » - من حيث أنه العضو الذي تضفي إثارته على الغريزة طابعها الجنسي . » إن تاريخ الصيغة المعدّلة يرجع إلى الفترة التي كتب فيها فرويد مقاله في « الغرائز وتقلباتها » (1915c) ، حيث فحص الموضوع كله فحصاً مستفيضاً .]

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] إن نظرية الغرائز هي أهم جزء في نظرية التحليل النفسي ، ولكنها في نفس الوقت أقل أجزائها كمالاً . وقد قمت بإسهامات جديدة في نظرية الغرائز في مؤلفيّ التاليين : **ما وراء مبدأ اللذة** (١٩٢٠) و**الأنا والهو** (١٩٢٣) . =

ويوجد فرض آخر مؤقت لا يمكن إغفاله في نظرية الغرائز . ويذهب هذا الفرض إلى أنه ينبعث من الأعضاء البدنية نوعان من التنبيه على أساس اختلافات ذات طبيعة كيميائية . ونحن نصف أحد هذين النوعين من التنبيه بأنه جنسي بصفة خاصة ، كما نقول عن العضو الخاص به إنه « المنطقة الشبقية » للغريزة الجنسية الجزئية التي تنبعث عنه[١] .

إن الدور الذي تقوم به المناطق الشبقية يكون واضحاً وضوحاً مباشراً في حالة الانحرافات التي تضفي على فتحتي الفم والشرج معنى جنسياً . فهاتان الفتحتان تسلكان من جميع الوجوه كأنهما جزء من الجهاز الجنسي . وفي الهستيريا يصبح هذان الجزءان من البدن والمناطق المجاورة من الغشاء المخاطي مركز إحساسات جديدة وتغيرات في الإثارة العصبية ـ وفي الواقع ، مركز عمليات يمكن مقارنتها بالانتصاب[٢] ـ تماماً على نحو ما يحدث للأعضاء التناسلية الفعلية أثناء التهيجات الخاصة بالعمليات الجنسية السوية .

إن معنى المناطق الشبقية من حيث هي أجهزة تابعة للأعضاء التناسلية وبدائل لها يظهر أوضح ما يكون في الهستيريا من بين جميع الأمراض العصابية النفسية . ولكن هذا لا يتضمن أن هذا المعنى أقل في الصور الأخرى للمرض . إنما هو فقط أقل وضوحاً في الأمراض الأخرى ، وذلك لأنه في حالة هذه الأمراض (العصاب الوسواسي والبارانويا)

= (الكتاب الأول ترجمه إلى العربية اسحق رمزي ، القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٥٢ . والكتاب الثاني ترجمه إلى العربية محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الرابعة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢ .) (المترجم)

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] ليس من السهل أن نقوم في هذا المكان بتبرير هذه الفروض المستمدة من دراسة فئة خاصة من المرض العصابي . ولكني ، من جهة أخرى ، إذا أغفلت كل إشارة إليها ، فإنه سيكون من المستحيل أن نقول أي شيء جوهري عن الغرائز .

(٢) [أضيفت العبارة بين الفاصلتين في ١٩٢٠ .]

تنشأ الأعراض في مناطق من الجهاز النفسي بعيدة جداً عن المراكز الخاصة بالضبط البدني . وإن الأمر الملفت للانتباه في العصاب الوسواسي هو معنى تلك الدوافع التي تخلق أهدافاً جنسية جديدة ، والتي تبدو مستقلة عن المناطق الشبقية . ومع ذلك ، ففي حالة حب النظر والعرْض ، تقابل العين منطقة شبقية ؛ بينما في حالة تلك الأجزاء من الغريزة الجنسية التي تتضمن الألم والقسوة تقوم البشرة بنفس الدور ـ البشرة التي قد تميزت في أجزاء معينة من البدن إلى أعضاء حسية أو تغيرت إلى غشاء مخاطي ، وهي لذلك المنطقة الشبقية من المرتبة الأولى[1] .

(٦) أسباب الكثرة الظاهرية للانحرافات الجنسية في الأمراض العصابية النفسية

ربما أدت المناقشة السابقة إلى إساءة فهم الناحية الجنسية عند العصابيين النفسيين . فربما أعطت انطباعاً بأن العصابيين ـ بسبب استعدادهم ـ يقتربون جداً من المنحرفين في سلوكهم الجنسي ، وأنهم يبتعدون أيضاً بنفس النسبة عن الأسوياء . وقد يكون حقاً أن الاستعداد الجِبِلّي لهؤلاء

(١) اننا نتذكر في هذه النقطة تقسيم مول Moll للغريزة الجنسية إلى عريزة « التلامس » contrectation وعريزة « خمود الانتفاخ » detumescence ويمثل التلامس حاجة لملامسة البشرة . [ويصف مول (١٨٩٨) غريزة خمود الانتفاخ بأنها دافع إلى تصريف توتر الأعضاء الجنسية تصريفاً تشنجياً ، ويصف غريزة التلامس بأنها دافع إلى الاتصال بشخص آخر . وكان يعتقد أن الدافع الأخير يظهر بعد الأول أثناء نمو الفرد (انظر ما سوف يأتي في ص ١٠١ هامش ٢) ـ وقد ظهرت الجملة الإضافية التالية في ختام هذا الهامش في ١٩٠٥ و ١٩١٠ ، ولكنها حذفت فيما بعد : « كان ستروهماير Strohmayer مصيباً جداً في استنتاجه ، من حالة كانت تحت ملاحظته ، أن التأنيب الوسواسي للذات يصدر عن دوافع سادية مكبوتة » .]

المرضى (فيما عدا الدرجة المبالغ فيها من الكبت الجنسي لديهم، والشدة الزائدة لغريزتهم الجنسية) يتضمن ميلاً غير عادي للانحراف، بأوسع ما لهذه الكلمة من معنى. ومع ذلك، فقد تبين من بحث حالات خفيفة نسبياً أن هذا الفرض الأخير ليس ضرورياً على الإطلاق، أو أنه يجب على الأقل، قبل أن نصدر حكماً على هذه الحالات المرضية، أن نراعي عاملاً آخر يرجح الاتجاه الآخر. إن معظم العصابيين النفسيين يمرضون فقط بعد سن البلوغ نتيجة لمطالب الحياة الجنسية السوية منهم. (يوجه الكبت على الأخص ضد هذه الأخيرة). وإلا حدث هذا النوع من المرض بعد ذلك عندما يفشل الليبدو في الحصول على الإشباع بطريقة سوية. ويسلك الليبدو في كلتا هاتين الحالتين كأنه جدول ماء قد سدَّ مجراه الرئيسي. إنه يقوم بملء القنوات الجانبية التي ظلت حتى الآن فارغة. وعلى ذلك، فإن ما يبدو أنه الميل القوي (بالرغم من أنه في الواقع ميل سلبي) للعصابيين النفسيين نحو الانحراف قد يكون محدداً بطريقة جانبية، ويجب أن يدعم، في كل حالة، بطريقة جانبية. والحقيقة هي أنه من الضروري أن نعتبر الكبت الجنسي عاملاً داخلياً إلى جانب تلك العوامل الخارجية كتقييد الحرية، وصعوبة الحصول على موضوع جنسي سوي، وأخطار العملية الجنسية السوية، الخ.. وهي العوامل التي تؤدي إلى تكوين الانحرافات في الأفراد الذين قد يظلون أسوياء لولا تعرضهم لها.

وقد تسلك الحالات المختلفة للعصاب، في هذا الصدد، مسالك مختلفة: فقد يكون العامل المتغلب في إحدى الحالات هو القوة الفطرية للميل نحو الانحراف، وقد يكون في حالة أخرى هو زيادة هذا الميل عن طريق جانبي بسبب اضطرار الليبدو إلى الابتعاد عن الهدف الجنسي والموضوع الجنسي السويين. وإنه لمن الخطأ أن نتصوَّر ما هو في الحقيقة علاقة تعاونية كأنه معارضة. ويؤدي العصاب دائماً إلى أعظم نتائجه

حينما يعمل كل من الجِبِلّة والخبرة في نفس الاتّجاه . وحينما تكون الجبلة متغلبة فإنها قد لا تتطلب مساعدة الخبرات الواقعية ، بينما قد تؤدي صدمة قوية في الحياة الواقعية إلى تكوين العصاب حتى في الجبلة العادية . (إن هذا الرأي في الأهمية النسبية لما هو فطري ولما هو عبارة عن خبرة عرضية في تعليل المرض ، إنما ينطبق أيضاً في ميادين أخرى) .

ومع ذلك ، فإننا إذا فضلنا أن نفترض أن وجود ميل إلى الانحراف بصورة مفرطة على وجه خاص هو أحد خصائص الجبلات العصابية ، فإننا نأمل أن نتمكن من تمييز عدد كبير من مثل هذه الجبلات تبعاً للغلبة الفطرية لإحدى المناطق الشبقية أو لإحدى الغرائز الجزئية . أما فيما يتعلق بهذا السؤال وهو هل توجد علاقة خاصة بين الاستعداد المنحرف وبين شكل المرض الخاص الذي يُختار ، فهو لم يبحث بعد مثل كثير من الموضوعات الأخرى في هذا الميدان .

(٧) إشارة إلى الخُلُق الطفلي للجنس

إن شرحنا للدور الذي تقوم به الدوافع المنحرفة في تكوين أعراض الأمراض العصابية النفسية قد أدى إلى زيادة واضحة جداً في عدد الأفراد الذين يمكن اعتبارهم منحرفين . وليس ذلك فقط لأن العصابيين يكونون مجموعة كبيرة من الأفراد ، وإنما يجب أيضاً أن نراعي أنه توجد سلسلة متصلة ممتدة بين الأمراض العصابية بجميع أنواعها وبين السواء . وعلى كل حال ، فقد كان موبيوس Moebius على حق حينما قال إننا جميعاً هستيريون إلى حد ما . وعلى ذلك ، فإن انتشار الانحرافات بشكل واسع النطاق يضطرنا إلى افتراض أن الاستعداد للانحرافات ليس في ذاته أمراً نادر الوجود ، وإنما هو بالضرورة جزء من الجبلة التي تعتبر عادة سوية .

وهناك خلاف ، كما رأينا من قبل ، فيما إذا كانت الانحرافات ترجع إلى محدّدات فطرية ، أو أنها ترجع إلى خبرات عرضية ، كما افترض بينيه بالنسبة للفتيشية[1] . إن النتيجة التي تتضح لنا الآن هي أنه يوجد في الحقيقة شيء فطري يكمن وراء الانحرافات ، ولكنه شيء فطري عند **كل فرد** ، ولو أنه ، من حيث هو استعداد ، قد يختلف في شدته وقد يزداد نتيجة للمؤثرات الصادرة من الحياة الواقعية . إن ما نعنيه هنا هو الجذور الجبلية الفطرية للغريزة الجنسية . وقد تنمو هذه الجذور ، في مجموعة من الحالات (الانحرافات) ، حتى تصبح المسالك الفعلية للنشاط الجنسي ؛ وقد تخضع ، في حالات أخرى ، إلى قمع غير كاف (كبت) ، وبذلك تصبح قادرة على أن تجذب إليها ، بطريقة غير مباشرة ، جزءاً كبيراً من الطاقة الجنسية في صورة أعراض ؛ أما في الحالات التي تكون أكثر ملاءمة ، وهي التي تقع بين هاتين المجموعتين المتطرفتين ، فقد تنبت هذه الجذور ما يعرف بالحياة الجنسية السوية ، عن طريق الاستعانة ببعض القيود الفعالة وبعض الأنواع الأخرى من التعديل .

ولكننا نود أن نضيف شيئاً إلى ما سبق . إن هذه الجِبلّة التي افترضنا أنها تحتوي على بذور جميع الانحرافات إنما يمكن إثباتها فقط عند **الأطفال** ، بالرغم من أن جميع الغرائز يمكن أن تظهر فقط عند الأطفال في درجات معتدلة من الشدة . وهكذا تبرز أمامنا قاعدة تشير إلى أن جنس العصابيين قد بقي في حالة طفلية ، أو أنه قد رد إلى هذه الحالة الطفلية . ولذلك يتجه اهتمامنا إلى الحياة الجنسية عند الأطفال ، وإننا سنبدأ الآن في تتبع الدور الذي تقوم به المؤثرات التي تتحكم في نشوء الجنس عند الطفل حتى ينتهي إلى الانحراف أو العصاب أو الحياة الجنسية السوية .

---

(١) (انظر ص ٦٥ - ٦٧ .) (المترجم)

الرسالة الثانية

الجنس عند الأطفال

الجنس عند الأطفال

إهمال عامل الطفولة

من الآراء الشائعة عن الغريزة الجنسية أنها غير موجودة في الطفولة ، وأنها تظهر فقط في فترة الحياة التي تعرف بالبلوغ . وليس ذلك مجرد خطأ بسيط ، ولكنه خطأ أدى إلى نتائج خطيرة ، إذ أن جهلنا الحالي بالشروط الأساسية للحياة الجنسية إنما يرجع أساساً إلى هذه الفكرة . ومن المحتمل أن تؤدي الدراسة الدقيقة للمظاهر الجنسية في الطفولة إلى الكشف عن الخصائص الأساسية للغريزة الجنسية ، وقد توضح لنا سير نموها ، وطريقة تكوينها من مصادر مختلفة .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الكتّاب الذين عنوا بشرح خصائص واستجابات الراشد قد اهتموا بالفترة السابقة في حياة أسلاف الفرد اهتماماً أكبر من اهتمامهم بالفترة السابقة الأخرى التي تقع في حياة الفرد ذاته ـ أي أنهم نسبوا إلى الوراثة أثراً أكبر من أثر فترة الطفولة . وفي الحقيقة ، إنه من الممكن أن نفترض أن أثر هذه الفترة الأخيرة أسهل للفهم ، وأنه يستحق أن يبحث قبل أثر الوراثة[1]. حقاً ، إننا نجد أحياناً في الأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع بعض الملاحظات عن النشاط الجنسي المبكر عند الأطفال الصغار ـ عن حالات الانتصاب ، والاستمناء ، وحتى بعض أنواع النشاط الذي يشبه الجماع . ولكن هذه

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] كما أنه ليس من الممكن أن نقدر الدور الذي تقوم به الوراثة تقديراً صحيحاً قبل أن نقدر قيمة الدور الذي تقوم به الطفولة .

الحالات كانت تذكر دائماً باعتبارها حوادث استثنائية ، أو حالات شاذة ، أو حالات مروعة من الفجور المبكر . وعلى حسب معلوماتي ، لم يدرك أي مؤلف منهم بوضوح وجود الغريزة الجنسية في الطفولة في صورة منتظمة ؛ كما أن الكتابات الكثيرة التي كتبت عن نمو الأطفال قد أغفلت عادة الفصل الخاص « بالنمو الجنسي[1] » .

---

(١) لقد بدا لي هذا التوكيد الوارد في النص جريئاً جداً إلى درجة دعتني إلى فحص صدقه بإعادة النظر في هذه الأبحاث مرة أخرى . وإن نتيجة هذه المراجعة هي أنني سمحت لتعبيري أن يبقى بدون تغيير . إن البحث العلمي لكل من الظواهر البدنية والعقلية للجنس أثناء الطفولة ما زال في مراحله الأولى . ويقول أحد المؤلفين ، وهو بل Bell (١٩٠٢ ، ص ٣٢٧) : « إني لا أعرف عالماً قد قام بتحليل دقيق للانفعال كما يشاهد لدى المراهق . » إن المظاهر الجنسية البدنية ابتداء من الفترة السابقة للبلوغ هي التي جذبت الانتباه فقط لعلاقتها بظواهر الانحلال ، وباعتبارها علامات على الانحلال . ولا يوجد في جميع البحوث التي قرأتها عن سيكولوجية هذه المرحلة من الحياة فصل واحد عن الحياة الشبقية عند الأطفال ؛ وينطبق ذلك على المؤلفات المعروفة جيداً لبريير Preyer (١٨٨٢) ، وبالدوين Baldwin (١٨٩٨) ، وبيريه Pérez (١٨٩٤) ، وسترومبيل Strümpell (١٨٩٠) ، وجروس Groos (١٩٠٤) ، وهيللر Heller (١٩٠٤) ، وسلي Sully (١٨٩٥) ، وغيرهم . ونستطيع أن نقف على أوضح صورة لحقيقة الأمور في هذا الميدان الآن من مجلة « أخطاء الأطفال » Die Kinderfehler ابتداء من عام ١٨٩٦ فصاعداً . ومع ذلك ، فإننا نعتقد أن وجود الحب أثناء الطفولة لا يحتاج إلى اكتشاف . ويذهب بيريه (١٨٩٤ ، ص ٢٧٢ وما بعدها) إلى تأييد وجوده . ويذكر جروس (١٨٩٩ ، ٣٢٦) أن من الحقائق المعروفة على وجه عام أن « بعض الأطفال يمكن أن يشعروا بالدوافع الجنسية في سن مبكرة جداً ، وأنهم يشعرون بدافع إلى الاتصال بالجنس المقابل . » وإن أول حالة لظهور « الحب الجنسي » ذكرها بل (١٩٠٢ ، ص ٣٣٠) تتعلق بطفل في منتصف السنة الثالثة من عمره . قارن أيضاً في هذه النقطة هافلوك إليس (١٩١٣ ، ملحق ب) .
[إضافة ١٩١٠ :] لم تعد هناك حاجة للتمسك بهذا الحكم على الأبحاث الخاصة بالجنس عند الأطفال بعد ظهور المؤلف الشامل لستانلي هول Stanley Hall (١٩٠٤) . ولا يستلزم المؤلف الحديث لمول Moll (١٩٠٩) مثل هذا التعديل . ومن جهة أخرى ، انظر بلولر Bleuler (١٩٠٨) . [إضافة ١٩١٥ :] ثم ظهر بعد ذلك كتاب لهج ـ هلموث Hug-Hellmuth (١٩١٣) يهتم اهتماماً تاماً بالعامل الجنسي الذي كان مهملاً .

فقدان الذاكرة الطفلي [١]

إني أرى أنه من الواجب أن نبحث عن سبب هذا الإهمال الغريب ، من ناحية ، في اعتبارات اللياقة التي يراعيها هؤلاء المؤلفون كنتيجة لتربيتهم الخاصة ؛ ومن ناحية أخرى ، في ظاهرة نفسية قد استعصت على التفسير حتى الآن . إن ما أفكر فيه هو فقدان الذاكرة الغريب الذي يخفي الفترات المبكرة من الطفولة حتى سن السادسة أو الثامنة عند معظم الناس ، ولكن ليس عند الناس جميعاً . ولم يخطر لنا قبل الآن أن نشعر بأية دهشة بصدد فقدان الذاكرة هذا ، بالرغم من أنه كانت لدينا أسباب قوية لذلك . وذلك لأننا نعلم من الأفراد الآخرين أننا أثناء هذه السنوات ، التي لا نحتفظ منها في ذاكرتنا فيما بعد إلا قليلاً من الذكريات غير المفهومة والمتناثرة ، قد استجبنا بحيوية لبعض الانطباعات ، وأننا كنا قادرين على التعبير عن الألم والسرور بطريقة إنسانية ، وأننا أظهرنا أدلة على الحب والغيرة وبعض المشاعر الوجدانية العاطفية الأخرى التي تأثرنا بها تأثيراً قوياً في ذلك الوقت ، وأننا قمنا أيضاً بإبداء بعض الملاحظات التي اعتبرها الراشدون دليلاً قوياً على حصولنا على الاستبصار وعلى بوادر القدرة على الحكم . ولكن حينما تتقدم بنا السن لا تكون لدينا معرفة عن ذلك كله . لماذا تتأخر ذاكرتنا كثيراً عن أنواع النشاط العقلي الأخرى ؟ إن لدينا ، على العكس ، سبباً وجيهاً يدعونا إلى الاعتقاد بأنه لا توجد فترة نكون فيها أقدر على استقبال الانطباعات واستعادتها غير فترة سنوات الطفولة بالذات [٢] .

---

(١) infantile amnesia

(٢) لقد حاولت أن أحل إحدى المشكلات المتعلقة بالذكريات المبكرة للطفولة في مقال لي عن «الذكريات الحاجبة» Screen Memories (١٨٩٩). [إضافة ١٩٢٤ :] انظر أيضاً الفصل الرابع من كتابي : **علم النفس المرضي في الحياة اليومية** (1915d) .

ومن ناحية أخرى يجب أن نفترض ، أو يمكن أن نقنع أنفسنا بالفحص السيكولوجي للأفراد الآخرين ، أن هذه الانطباعات ذاتها التي نسيناها قد تركت مع ذلك أعمق الآثار في عقولنا ، وأنها أثرت تأثيراً فعالاً في نمونا التالي كله . ولذلك ، فلا يمكن أن يكون الأمر هنا عبارة عن محو حقيقي لانطباعات الطفولة ، وإنما هو بالأحرى فقدان ذاكرة شبيه بفقدان الذاكرة الذي يظهره العصابيون بالنسبة للأحداث التي تقع فيما بعد ، وإن أساسه هو مجرد إبعاد هذه الانطباعات عن الشعور ، أي كبتها . ولكن ما هي القوى التي يصدر عنها هذا الكبت لانطباعات الطفولة ؟ إن من يستطيع حل هذا اللغز يكون قد فسَّر أيضاً ، فيما أرى ، فقدان الذاكرة **الهستيري** .

وعلى أية حال ، فلا يجب أن نغفل ملاحظة أن وجود فقدان الذاكرة الطفلي يمدنا بنقطة جديدة للمقارنة بين الحالات العقلية لدى الأطفال والحالات العقلية لدى العصابيين النفسيين . وقد سبق أن مررنا من قبل بنقطة أخرى للمقارنة في القاعدة التي توصلنا إليها [١] وهي أن الجنس عند العصابيين النفسيين قد بقي في مرحلة طفلية ، أو أنه رُدَّ إليها . أفليس من الممكن أن يكون فقدان الذاكرة الطفلي أيضاً مرتبطاً ، في نهاية الأمر ، بالدوافع الجنسية أثناء الطفولة ؟

وفضلاً عن ذلك ، فإن العلاقة بين فقدان الذاكرة الطفلي وفقدان الذاكرة الهستيري أكثر من مجرد لعب بالألفاظ . إن فقدان الذاكرة الهستيري الذي يحدث بأمر الكبت يمكن أن يفسر فقط على أساس أنه توجد عند الفرد بالفعل ذخيرة من الذكريات التي أبعدت عن تصرف الشعور ، والتي تعمل الآن على أن تضم إليها ، عن طريق التداعي ،

---

(١) أنظر ص ٩٠) (المترجم)

المادة التي تتعهد قوى الكبت بإقصائها عن الشعور[1] . ومن الممكن أن يقال إنه لولا فقدان الذاكرة الطفلي لما كان هناك فقدان الذاكرة الهستيري .

إني أعتقد ، إذن ، أن فقدان الذاكرة الطفلي الذي يحول طفولة كل فرد إلى شيء شبيه بمرحلة تقع قبل التاريخ ، والذي يخفي عنه مرحلة بدايات حياته الجنسية ، إنما هو مسؤول عن هذه الحقيقة وهي أنه لا تنسب إلى الطفولة ، على وجه عام ، أية أهمية في نمو الحياة الجنسية . إن الثغرات التي تكونت في معرفتنا بسبب ذلك لا يمكن أن يقوم ملاحظ واحد بملئها . ولقد قمت من قبل منذ عام ١٨٩٦ [2] بتوكيد أهمية سنوات الطفولة في تكوين بعض الظواهر الهامة المتعلقة بالحياة الجنسية ، ولم أكف منذ ذلك الوقت عن توكيد الدور الذي يقوم به عامل الطفولة في الجنس .

مرحلة الكمون[3] الجنسي في الطفولة وتوقفاتها

إن الكثرة الملفتة للنظر للأبحاث المتعلقة بما يوصف بأنه دوافع جنسية غير منتظمة وشاذة في الطفولة ، والكشف لدى العصابيين عن

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] لا يمكن أن تفهم آلية (ميكانيزم) الكبت إلا إذا راعينا كلاً من هاتين العمليتين المتلازمتين . ومن الممكن مقارنتهما بطريقة نقل السياح إلى قمة الهرم الأكبر بالجيزة بدفعهم من ناحية وجذبهم من الناحية الأخرى . [قارن مقال فرويد عن «الكبت» (1915d).]

(٢) [أي الفقرة الأخيرة من القسم الأول من مقاله عن «أسباب الهستيريا» (1896c).]

(٣) يرى فرويد أن نمو الحياة الجنسية يمر بعدة مراحل . المرحلة الأولى هي المرحلة الفمية oral phase ، وهي تتميز بحصول الطفل على اللذة من منطقة الفم . والمرحلة الثانية هي المرحلة الشرجية anal phase ، وهي تبدأ حوالي نهاية العام الأول . وتتميز هذه المرحلة بحصول الطفل على اللذة عن طريق وظيفة التبرز ، كما تظهر فيها بوضوح ميول الطفل

ذكريات الطفولة التي ظلت حتى الآن لاشعورية يسمحان لنا بأن نعطي الصورة التقريبية التالية للأحداث الجنسية لتلك الفترة[1] .

ويبدو ، بلا شك ، أن بذور الدوافع الجنسية موجودة بالفعل في الطفل الحديث الولادة ، وأن هذه البذور تستمر في النمو لفترة ، ولكنها تتعرض بعد ذلك العملية قمع مستمرة ؛ ويتوقف هذا القمع بدوره بسبب التقدم الدوري في النمو الجنسي ، أو قد يعطل بسبب بعض خصائص الفرد . ولسنا نعرف شيئاً مؤكداً بخصوص انتظام أو دورية هذا السير المذبذب لعملية النمو . ويبدو ، مع ذلك ، أن حياة الأطفال الجنسية تتخذ عادة شكلاً يمكن ملاحظته حوالي سن الثالثة أو الرابعة[2] .

= العدوانية . والمرحلة الثالثة هي المرحلة القضيبية phallic phase وتبدأ في السنة الثانية أو الثالثة ، وهي تتميز ببدء اهتمام الطفل بعضو الذكر التناسلي . وفي هذه المرحلة تبلغ الحياة الجنسية عند الطفل ذروتها ، وفيها تقع المرحلة الأوديبية ، إذ يأخذ الطفل يشعر بالميل الجنسي نحو أمه ويكره أباه . وينتهي الأمر بالوالدين إلى تهديد الطفل بالخصاء . ويؤدي ذلك إلى قيام الطفل بكبت عقدة أوديب ، ويمهد دلك لحلول المرحلة الرابعة وهي مرحلة الكمون latency period ، وتبدأ عادة حوالي السنة الخامسة أو السادسة ، وتستمر حتى البلوغ . وفي مرحلة الكمون يهدأ النشاط الجنسي عند الطفل ، وتأخذ طاقته الجنسية تنصرف نحو كثير من أنواع النشاط غير الجنسي كالألعاب الرياضية والعلوم والفنون والآداب (انظر «معالم التحليل النفسي» لفرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ص ٥٥ – ٦٢) (المترجم)

(١) إننا نستطيع أن نستخدم المصدر الثاني من هذين المصدرين للبيانات ما دمنا محقين في توقعنا أن السنوات الأولى من حياة الأطفال الذي سيصبحون فيما بعد عصابيين لا يحتمل أن تختلف في هذا الصدد اختلافاً أساسياً عن السنوات الأولى من حياة الأطفال الذين سيصبحون راشدين أسوياء ، [إضافة ١٩١٥ :] إلا من حيث شدة الظواهر ووضوحها .

(٢) ربما توجد مشابهة تشريحية لما أعتقد أنه السبيل الذي يسلكه نمو الوظيفة الجنسية عند الطفل في اكتشاف باير Bayer (١٩٠٢) الخاص بأن الأعضاء الجنسية الداخلية (أي الرحم) تكون عادة أكبر في الأطفال المولودين حديثاً عنها في الأطفال الكبار . وليست لنا أيضاً فكرة واضحة عن هذا الاغتلاف involution الذي يحدث عقب الولادة (والذي =

أنواع الكف الجنسي :

وفي أثناء هذه المرحلة من الكمون الكلي أو الجزئي فقط تتكون القوى العقلية التي ستقوم فيما بعد بتعطيل الغريزة الجنسية ، والتي ستحدّ تدفقه كما تفعل السدود ـ الاشمئزاز ، ومشاعر الخزي ، ومطالب المُثُل الجمالية والأخلاقية . ويبدو لنا من الأطفال المتمدينين أن بناء هذه السدود جاء نتيجة التربية ، ولا شك أن للتربية أثراً كبيراً في ذلك . غير أن هذا النمو ، في الواقع ، أمر محدد وثابت من الناحية العضوية عن

= يبين هالبان Halban أنه ينطبق أيضاً على الأجزاء الأخرى من الجهاز التناسلي) ، وتبعاً لهالبان (١٩٠٤) إن عملية الاغتلاف تنتهي بعد أسابيع قليلة من الحياة بعد الولادة . [إضافة ١٩٢٠ :] إن الباحثين الذين يعتبرون الجزء المتخلل لعدة الجنس هو العضو الذي يحدد الجنس قد ساقتهم أبحاثهم التشريحية إلى الكلام عن الجنس عند الأطفال وعن مرحلة كمون جنسي . وسأذكر فيما يلي عبارات من كتاب ليبشوتز Lipschütz(١٩١٩، ص ١٦٨) الذي أشرت إليه في ص ٥٥ : «إننا نكون أكثر أمانة للحقائق إذا قلنا أن نضج الخصائص الجنسية الذي يتم أثناء البلوغ يرجع فقط إلى السرعة الكبيرة في عمليات ابتدأت في وقت مبكر جداً ـ وهي ترجع في رأيي إلى وقت الحياة في داخل الرحم» . «إن ما وصفناه حتى الآن في صورة مختصرة كأنه البلوغ قد يكون فقط مرحلة رئيسية ثانية للبلوغ تبتدئ حوالي منتصف العقد الثاني من الحياة .. ومن الممكن أن نصف الطفولة ، ابتداء من الميلاد حتى ابتداء هذه المرحلة الرئيسية الثانية ، بأنها «المرحلة المتوسطة للبلوغ» (ص ١٧٠) . وقد نبه فيرنزي Ferenczy(١٩٢٠) إلى هذا التطابق بين النتائج التشريحية والملاحظة السيكولوجية في عرضه لكتاب ليبشوتز . والحقيقة الوحيدة التي تشوه هذا الاتفاق هي أن «القمة الأولى» في سير نمو العضو الجنسي تحدث أثناء المرحلة المبكرة من الحياة داخل الرحم ، بينما يجب أن ينسب الازدهار الأول للحياة الجنسية عند الطفل إلى السنتين الثالثة والرابعة من الحياة . ولسنا في حاجة طبعاً إلى أن نتوقع أن النمو التشريحي والنمو السيكولوجي يجب أن يكونا متصاحبين تصاحباً تاماً . إن الأبحاث المذكورة قد أجريت على الغدد الجنسية للإنسان . وبما أنه لا توجد عند الحيوانات مرحلة كمون بالمعنى السيكولوجي ، فإنه يكون من الطريف جداً أن نعرف ما إذا كانت النتائج التشريحية التي دفعت هؤلاء المؤلفين إلى افتراض حدوث قمتين في النمو الجنسي يمكن إثباتها أيضاً في الحيوانات العليا .

طريق الوراثة ، ومن الممكن أن يحدث أحياناً بدون أية مساعدة على الإطلاق من التربية . ولن تتجاوز التربية حدود دائرتها الصحيحة إذا اقتصرت على اتباع الخطوط المحددة من قبل من الناحية العضوية ، وعلى إظهارها بصورة أكثر وضوحاً وعمقاً على نحو ما .

تكوين رد الفعل [1] والإعلاء :

ما هي العوامل التي تؤدي إلى نشوء هذه الأبنية الهامة جداً لنمو الفرد المتمدين السوي ؟ لعل هذه الأبنية تنشأ على حساب الدوافع الجنسية الطفلية ذاتها . وهكذا ، فإن نشاط هذه الدوافع لا يتوقف حتى في أثناء مرحلة الكمون هذه ، غير أن طاقتها تتحول عن استخدامها الجنسي تحولاً كلياً أو جزئياً وتتجه نحو أهداف أخرى . ويبدو أن مؤرخي المدنية متفقون في الافتراض القائل بأن تحول الدوافع الجنسية عن الأهداف الجنسية واتجاهها نحو أهداف جديدة ـ وهي عملية تستحق أن يطلق عليها اسم « الإعلاء » ـ قد ساهم بعناصر قوية في جميع نواحي الإنجاز الثقافي . وبناء على ذلك ، فإنا نضيف أن العملية ذاتها تقوم بدور في نمو الفرد ، وأنها تبتدئ في مرحلة الكمون الجنسي أثناء الطفولة [2] .

ومن الممكن أن نحاول تكوين فكرة ما عن آلية [3] عملية الإعلاء هذه . ويبدو ، من ناحية ، أنه لا يمكن استخدام الدوافع الجنسية أثناء هذه السنوات من الطفولة ، إذ أن الوظائف التناسلية قد أجلت ـ وهي

---

(١) تكوين رد الفعل reaction formation اصطلاح يطلق على نشوء بعض الاتجاهات والميول الشعورية التي تكون مضادة لبعض الدوافع والميول اللاشعورية غير المقبولة . مثال ذلك الشعور بالحب الذي يكون رد فعل للبغض اللاشعوري . ويعتبر تكوين رد الفعل من الحيل العقلية الدفاعية التي يلجأ إليها العقل للوقاية من الدوافع اللاشعورية غير المقبولة (المترجم)

(٢) أذكر مرة أخرى أنني استعرت اصطلاح « مرحلة الكمون الجنسي » من فليس Fliess

(٣) Mechanism

حقيقة تكوّن السمة الرئيسية لمرحلة الكمون . ومن ناحية أخرى ، إن هذه الدوافع تبدو في ذاتها منحرفة ـ أي أنها تنبعث من مناطق شبقية ، وتستمد نشاطها من غرائز يمكن فقط ، من وجهة نظر اتجاه نمو الفرد ، أن تثير مشاعر وجدانية مكدرة . وبناء على ذلك ، فهي تثير قوى عقلية مضادة (دوافع رد فعلية) ، تقوم ببناء السدود العقلية التي سبق أن أشرت إليها ـ الاشمئزاز ، والخزي والأخلاق ـ لكي تقمع هذا الكدر قمعاً تاماً [١] .

توقفات مرحلة الكمون :

لا يجب أن نخدع أنفسنا بسبب الطبيعة الافتراضية وعدم الوضوح الكافي لمعرفتنا بعمليات مرحلة الكمون الطفلية أو مرحلة التأجيل ، ولكننا سوف نكون على أرض أصلب حينما نشير ألى أن مثل هذا الاستخدام للجنس عند الأطفال إنما يمثل صورة مثالية تربوية قد يختلف عنها النمو الفردي عادة في نقطة ما ، وكثيراً ما يختلف عنها اختلافاً كبيراً . فقد تظهر من وقت إلى آخر بعض المظاهر الجنسية المتناثرة التي أفلتت من الإعلاء ، أو قد يستمر بعض النشاط الجنسي طوال فترة الكمون كلها حتى تظهر الغريزة الجنسية بشدة أكبر عند البلوغ . وحينما يقوم المربون بتوجيه أي انتباه إلى الجنس عند الأطفال فإنهم يسلكون تماماً كأنهم

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] في الحالة التي أناقشها الآن ، يحدث إعلاء القوى الغريزية الجنسية على سبيل تكوين رد الفعل . ولكن يمكن ، على وجه عام ، أن نميز بين كل من مفهوم الإعلاء ومفهوم تكوين رد الفعل باعتبارهما عمليتين مختلفتين . ويمكن أن يحدث الإعلاء أيضاً بوساطة آليات (ميكانيزمات) أخرى أبسط . توجد مناقشات نظرية أخرى للإعلاء في القسم الثالث من مقال فرويد عن النرجسية (1914c) ، وفي مواضع متعددة من كتاب **الأنا والهو** (1923b ، الفصول ٣ ، ٤ ، ٥) .

يشاركوننا آراءنا من حيث تكوين القوى الدفاعية الخُلُقية على حساب الجنس ، وكأنهم يعرفون ان النشاط الجنسي يجعل الطفل غير قابل للتربية : ذلك لأنهم يوصمون كل مظهر جنسي عند الأطفال بأنه «رذيلة» بدون أن يكون في استطاعتهم فعل شيء لمقاومته . وعلى العكس من ذلك ، فإن لدينا كل الأسباب لتوجيه انتباهنا إلى هذه الظواهر التي تخشاها التربية إلى درجة كبيرة ، إذ أننا نتوقع أنها ستساعدنا على اكتشاف الشكل الأصلي للغرائز الجنسية .

المظاهر الجنسية الطفلية

مص الإبهام :

لأسباب ستتضح فيما بعد ، سأتناول مص الإبهام (أو المص الشهواني) كمثال للمظاهر الجنسية أثناء الطفولة . (قام طبيب الأطفال الهنغاري ليندنر Lindner ، ١٨٧٩ ، بدراسة ممتازة لهذا الموضوع) .

ويظهر مص الإبهام في المرحلة الأولى من الطفولة وقد يستمر حتى النضج ، أو قد يستمر طوال الحياة كلها . وهو يتكون من التكرار الإيقاعي للملامسة التي تحدث عن المص بالفم (أو الشفتين) . ومن الواضح أن الغرض من هذه العملية ليس هو تناول الغذاء . وقد يتخذ جزء من الشفة ذاتها ، أو اللسان ، أو أي جزء آخر من البشرة يكون قريباً من التناول ـ حتى إصبع القدم الأكبر ـ كموضوع لعملية المص . وقد تظهر في هذا الصدد غريزة مسك ، وقد تعبر عن نفسها في صورة جذب إيقاعي لحلمتي الأذنين في وقت واحد ، أو مسك جزء ما من شخص آخر (وعادة الأذن) لنفس هذا الغرض . ويتضمن المص الشهواني استغراقاً تاماً للانتباه ، وهو يؤدي إما إلى النوم أو إما إلى رد فعل حركي

شبيه بهزة الجِماع[١]. وكثيراً ما يصاحب المص الشهواني بحك جزء حساس من البدن مثل النهد أو الأعضاء التناسلية الخارجية . وينتقل كثير من الأطفال من المص إلى الإستمناء عن هذا الطريق .

لقد أدرك ليندنر[٢] نفسه بوضوح الطبيعة الجنسية لهذا النشاط وأكده بدون تحفظ . ويعتبر مص الإبهام في الغالب في مدارس الأطفال ضمن الأنواع الأخرى من « الشقاوة » الجنسية للأطفال . وقد رفض هذه الفكرة كثير من أطباء الأطفال والمتخصّصين في الأعصاب رفضاً باتاً ، غير أن ذلك بلا شك راجع جزئياً إلى الخلط بين «جنسي» و «تناسلي» . إن معارضتهم تثير سؤالاً صعباً وهو سؤال لا يمكن إغفاله : ما هي الخاصة العامة التي تمكننا من إدراك المظاهر الجنسية عند الأطفال ؟ إن تسلسل الظواهر التي بصَّرنا به البحث التحليلي النفسي يبرر لنا ، في رأيي ، اعتبار مص الإبهام مظهراً جنسياً ، ويبرر اختياره موضوعاً لدراستنا للسمات الأساسية للنشاط الجنسي الطفلي[٣] .

---

(١) وهكذا نجد في هذه المرحلة المبكرة أن الإشباع الجنسي أحسن منوم ، وهو أمر صحيح طوال الحياة كلها . إن معظم حالات الأرق العصبي يمكن إرجاعها إلى عدم الإشباع الجنسي . ومن المعروف جيداً أن المربيات المجردات من الضمير يدفعن الأطفال البكائين *إلى النوم بتدليك أعضائهم التناسلية* .

(٢) [أضيفت هذه الفقرة في ١٩١٥ ، وكانت تظهر محلها الفقرة التالية في طبعتي ١٩٠٥ ، و١٩١٠ فقط : «لم يشعر أي ملاحظ بأي شك في الطبيعة الجنسية لهذا النشاط . ومع ذلك ، فان أحسن النظريات التي صاغها الراشدون فيما يتعلق بهذا المثال عن سلوك الأطفال الجنسي ، إنما تدعنا في حيرة . نأمل تحليل مول Moll [١٨٩٨] للغريزة الجنسية إلى غريزة خمود الانتفاخ وغريزة التلامس * . إن أول هذين العاملين لا يهمنا في مثالنا الحالي ، والعامل الثاني يمكن فقط أن يدرك بصعوبة ، حيث أنه ، تبعاً لمول ، يظهر متأخراً عن غريزة خمود الانتفاخ ويكون موجهاً نحو أناس آخرين». ـ في ١٩١٠ ألحق الهامش التالي بالعبارة الأولى من الفقرة المحذوفة : «باستثناء مول (١٩٠٩) .»]

* (انظر ص ٨٧ هامش ١) (المترجم)

(٣) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] نشر دكتور جالانت Galant في عام ١٩١٩ تحت عنوان =

الشبقية الذاتية[1] :

إن من الواجب علينا أن نقوم بفحص هذا المثال فحصاً دقيقاً . ويجب أن نؤكد أن أوضح سمة لهذا النشاط الجنسي هي أن الغريزة لا تتجه نحو أفراد آخرين ، ولكنها تحصل على الإشباع من بدن الفرد ذاته . إنه نشاط « شبقي ـ ذاتي » ، إذا استخدمنا ذلك الاصطلاح الذي كان اختياره موفقاً ، والذي قدّمه هافيلوك إليس (١٩١٠)[2] .

وفضلاً عن ذلك ، فإنه من الواضح أن سلوك الطفل الذي ينغمس في مص إبهامه إنما يحدده البحث عن لذة ما كان قد خبرها من قبل ، وأنه يتذكرها الآن . وهو يعمل على الحصول على هذه المتعة ، في أبسط الحالات ، بمص جزء ما من البشرة أو الغشاء المخاطي بطريقة إيقاعية . ومن السهل أيضاً أن نخمن الظروف التي حصل فيها الطفل على خبراته الأولى باللذة التي يجاهد الآن في سبيل تجديدها . ولا بد أن يكون نشاط

= «مص الإصبع» اعتراف فتاة شابة لم تتخل عن هذا النشاط الجنسي الطفلي . وكانت هذه الفتاة تمثل الإشباع الذي تحصل عليه من المص كأنه شيء مشابه تماماً للإشباع الجنسي ، وخاصة إذا جاء هذا الإشباع الجنسي من قبلة محب : «ليست جميع القبل متساوية لمص الإصبع ـ لا ، لا ، على الإطلاق ! من المستحيل وصف الشعور الوجداني الجميل الذي يسري في جميع بدنك عندما تمص ؛ إنك تكون بعيداً تماماً عن هذا العالم . إنك تكون راضياً رضاء تاماً ، وسعيداً للغاية . إنه شعور رائع ؛ إنك تريد فقط الهدوء ـ الهدوء الذي لا يقطعه شيء . إنه شيء جميل جداً لا يمكن وصفه : إنك لا تشعر بألم ولا بحزن ، وآه ! إنك تنتقل إلى عالم آخر» .

(١) auto-erotism

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] حقاً إن هافيلوك إليس يستخدم كلمة «شبقي ذاتي» auto-erotic بمعنى مختلف بعض الشيء ، ليصف التنبيه الذي لا يصدر عن الخارج ، وإنما ينبعث من الداخل . ويرى التحليل النفسي أن النقطة الأساسية ليست هي مصدر التنبيه ، وإنما هي علاقته بموضوع ما . [في جميع الطبعات قبل ١٩٢٠ ورد هذا الهامش كما يلي : «غير أن هافيلوك إليس قد أفسد معنى المصطلح الذي ابتكره بوضعه الهستيريا بأكملها وجميع مظاهر الاستمناء ضمن ظواهر الشبقية الذاتية .»]

الطفل الأول والأكثر حيوية ، وهو مص ثدي أمه أو أشياء أخرى بديلة له ، هو الذي عرفه بهذه اللذة . وفي رأينا أن شفتي الطفل تسلكان كأنهما منطقة شبقية[١] ، وإن التنبيه الصادر من تدفق اللبن الدافئ هو بلا شك السبب في الإحساس اللذيذ . وإن إشباع المنطقة الشبقية مرتبط في أول الأمر بإشباع الحاجة إلى التغذية . ويرتبط النشاط الجنسي في أول الأمر بالوظائف التي تخدم غرض حفظ الذات ، وهي لا تصبح مستقلة عنها إلا فيما بعد[٢] . إن كل من شاهد رضيعاً يتراجع عن الثدي في حالة شبع وينام متورد الخدين وعلى وجهه ابتسامة الاغتباط لا يمكن أن تفوته ملاحظة أن هذه الصورة تستمر كنموذج أولي للتعبير عن الإشباع الجنسي في مستقبل الحياة . والآن تصبح الحاجة إلى إعادة الإشباع الجنسي منفصلة عن الحاجة إلى التغذية ـ ويصبح هذا الانفصال أمراً محتماً عندما تظهر الأسنان ، وعندما لم يعد تناول الطعام يتم فقط بالمص ، وإنما يتم أيضاً بالمضغ . ولا يلجأ الطفل إلى استخدام بدن خارجي في عملية المص ، ولكنه يفضل جزءاً من بشرته هو ذاته لأنه أكثر ملاءمة ، ولأنه يجعله مستقلاً عن العالم الخارجي الذي لم يصبح بعد قادراً على السيطرة عليه ، ولأنه بهذه الطريقة يزود نفسه بمنطقة شبقية ثانية ، ولو أنها من نوع أدنى . إن دونية هذه المنطقة الثانية أحد الأسباب التي تجعله فيما بعد يسعى إلى الحصول على الجزء الذي يقابلها ـ الشفتين ـ عند شخص آخر . (ويبدو كأنه يقول : « من المؤسف أنني لا أستطيع أن أقبل نفسي ») .

ولا يقوم كل طفل بالمص بهذه الطريقة . ومن الممكن أن نفترض أن الأهمية الشبقية للمنطقة الشفوية عند الأطفال الذين يفعلون ذلك

---

(١) erotogenic zone

(٢) [أضيفت هذه العبارة في ١٩١٥ . راجع القسم الثاني من مقال فرويد عن النرجسية (1914c) .]

تكون شديدة لأسباب جِبِلّية . فإذا استمرت هذه الأهمية ، فإن هؤلاء الأطفال أنفسهم سيصبحون حينما يشبون أبيقوريين[1] في تقبيلهم ، وسيكونون ميالين إلى التقبيل المنحرف ؛ أو سيكون لديهم ، إذا كانوا ذكوراً ، دافع قوي لشرب الخمر وللتدخين . أما إذا تدخل الكبت فإنهم سيشعرون بالاشمئزاز من الطعام ، وسيظهرون أعراض القيء الهستيري . ويمتد الكبت إلى غريزة التغذية بسبب الغرض المزدوج الذي تخدمه المنطقة الشفوية . إن كثيراً[2] من مريضاتي اللاتي كن يعانين من اضطرابات في الأكل ، ومن الاختناق الهستيري ، وانقباض الحلق والقيء ، كن متعلقات بمص إبهامهن تعلقاً شديداً أثناء طفولتهن .

إن دراستنا لمص الإبهام أو للمص الشهواني قد أمدتنا بالخصائص الرئيسية الثلاث لمظهر الجنس عند الأطفال . فهو متصل في نشأته بإحدى الوظائف البدنية الحيوية[3] ؛ وليس له بعد موضوع جنسي ، ولذلك فهو شبقي ذاتي ؛ وإن هدفه الجنسي خاضع لسيطرة منطقة شبقية . ونحن نتوقع أننا سنجد هذه الخصائص منطبقة أيضاً على معظم نواحي النشاط الأخرى للغرائز الجنسية الطفلية .

الهدف الجنسي للسلوك الجنسي الطفلي

خصائص المناطق الشبقية :

يوضح لنا مثال مص الإبهام أيضاً أموراً أخرى كثيرة تتعلق بطبيعة

---

(١) [نسبة إلى أبيقور الفيلسوف اليوناني . ويطلق وصف «أبيقوري» على الشخص الذي يهتم كثيراً بأكله وشرابه .] (المترجم)

(٢) [وردت «كل» محل «كثيراً» في الطبعة الأولى فقط .]

(٣) [أضيفت هذه العبارة في ١٩١٥ ؛ وفي الطبعات السابقة وردت : «الخاصتان الرئيسيتان» بدلاً من : «الخصائص الرئيسية الثلاث» .]

المنطقة الشبقية . إنها جزء من البشرة أو الغشاء المخاطي تثير فيه منبهات من نوع معين شعوراً بلذة ذات كيفية خاصة . وليس هناك شك في أن المنبهات التي تحدث اللذة تخضع لشروط خاصة ، ولكننا لا نعرف ما هي هذه الشروط . ولا بد أن يكون للخاصة الإيقاعية دور في هذه الشروط ، وأن المشابهة بينها وبين الدغدغة واضحة جداً . وليس من الواضح ما إذا كان من الواجب أن نصف خاصة الشعور اللذيذ الذي يثيره المنبه بأنها خاصة « نوعية » ـ أي كيفية « نوعية » يكمن فيها العامل الجنسي على وجه الدقة . ولا زال علم النفس في جهل فيما يتعلق بموضوع اللذة والكَدَر ، ولذلك فإن أكثر الفروض حذراً هي التي تفضل أكثر من غيرها . وقد نتعرض فيما بعد لبعض الأسباب التي يبدو أنها تؤيد الفكرة القائلة بأن للشعور اللذيذ بالفعل كيفية نوعية .

وقد ترتبط خاصة الشبقية ببعض أجزاء البدن بطريقة واضحة جداً . وتوجد مناطق شبقية مهيأة من قبل ، كما تبين من مثال المص . غير أن هذا المثال ذاته يبين أيضاً أن أي جزء آخر من البشرة أو الغشاء المخاطي يمكن أن يقوم بوظائف منطقة شبقية ، وأنه يجب لذلك أن يكون حاصلاً على بعض الاستعداد لهذا الاتجاه . وإذن ، فالدور الذي تؤديه كيفية المنبه في تكوين الشعور اللذيذ أكبر من الدور الذي تؤديه طبيعة منطقة البدن المعينة . إن الطفل الذي يعكف على المص الشهواني يقوم باستطلاع بدنه ويختار جزءاً منه ليمصه ـ وسيكون هذا الجزء مفضلاً عنده فيما بعد بحكم العادة . وإذا حدث أنه أختار إحدى المناطق المهيأة لذلك (مثل حلمات الثُدِيّ أو الأعضاء التناسلية) فإنها بلا شك ستبقى على هذا التفضيل . ويوجد أيضاً في أعراض الهستيريا ميل إلى النقل مماثل لذلك تماماً . ففي هذا العصاب يتناول الكبت معظم المناطق التناسلية الفعلية ، وتقوم هذه المناطق بنقل قابليتها للتنبيه إلى مناطق شبقية أخرى (التي تكون عادة مهملة في حياة الراشد) ، ولكنها تأخذ حينئذ في السلوك

كالأعضاء التناسلية تماماً . ولكن فضلاً عن ذلك ، فإن أي جزء آخر من البدن يمكن أن يكتسب نفس هذه القابلية للتنبيه الموجودة في الأعضاء التناسلية ، ويستطيع أن يصبح منطقة شبقية ، كما يحدث تماماً في حالة المص . إن المناطق الشبقية والمناطق الهستيرية تظهر نفس الخصائص[1] .

الهدف الجنسي الطفلي :

إن الهدف الجنسي للغريزة الطفلية هو الحصول على الإشباع عن طريق تنبيه ملائم للمنطقة الشبقية التي اختيرت بطريقة أو بأخرى . ولا بد أن يكون هذا الإشباع قد مرت به خبرة من قبل حتى يخلّف وراءه حاجة إلى تكراره . وإننا نتوقع أن « الطبيعة » قد اتخذت الاحتياطات اللازمة حتى لا تترك هذه الخبرة بالإشباع إلى الصدفة[2] . وقد سبق أن عرفنا ما هي الحيلة التي تحقق هذا الغرض في حالة المنطقة الشفوية : إنها علاقة التصاحب التي تربط هذا الجزء من البدن بتناول الطعام . وسنقابل فيما بعد بعض الحيل الأخرى المشابهة كمصادر للسلوك الجنسي . وتظهر الحاجة إلى تكرار الإشباع عن طريقين : عن طريق شعور خاص بالتوتر تكون له في الغالب خاصة الكَدَر ، وعن طريق الإحساس بأُكال أو بتنبيه مشروط مركزياً ، ثم يسقط على المنطقة الشبقية الخارجية . وإذن ، فمن الممكن أن نصيغ الهدف الجنسي بطريقة أخرى : إنه عبارة عن

---

(۱) [هامش أضيف ١٩١٥ :] لقد ساقني مزيد من التفكير ومراعاة بعض الملاحظات الأخرى إلى أن أنسب كيفية الشبقية إلى جميع أجزاء البدن وإلى جميع الأعضاء الداخلية . قارن أيضاً في هذا الصدد ما سيقال فيما بعد عن النرجسية .
(سيجيء ذلك فيما بعد في الرسالة الثالثة ، ص ١٥٣ - ١٥٥) (المترجم) .

(۲) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] ليس من الممكن أن يتجنب الفرد في المناقشات البيولوجية الطريقة الغائية في التفكير ، حتى ولو أدرك الفرد أنه غير آمن من الخطأ في أي مثال معين . [راجع هامش ١ ص ١١٢]

الاستعاضة عن إحساس التنبيه الساقط على المنطقة الشبقية بمنبه خارجي يزيل ذلك الإحساس عن طريق إحداث شعور بالإشباع . ويتكون هذا المنبه الخارجي عادة من نوع ما من التناول اليدوي الشبيه بالمص .

وإن إمكان إثارة الحاجة أيضاً من السطح الخارجي للبدن عن طريق حدوث تعديل حقيقي في المنطقة الشبقية يتفق مع معلوماتنا الفسيولوجية اتفاقاً تاماً . ويبدو ذلك لنا أمراً غريباً نوعاً ما ، وذلك فقط لأنه يبدو أنه من الضروري ، لكي نزيل منبهاً ما ، أن نقدم منبهاً آخر إلى نفس المنطقة .

المظاهر الجنسية للاستمناء[1]

مما يدعو إلى كثير من الاطمئنان أن نجد أنه لا يوجد هناك شيء آخر إلا النذر اليسير مما نحتاج إلى أن نعرفه عن النشاط الجنسي للأطفال بعد أن فهمنا طبيعة الغريزة المنبعثة من منطقة واحدة من المناطق الشبقية . إن أوضح الفروق التي تميز منطقة معينة عن أخرى إنما تتعلق بطبيعة الحيل الضرورية لإشباع الغريزة . وتتكون هذه الحيلة من المص في حالة المنطقة الشفوية ، ويجب أن يستعاض عن المص بأفعال عضلية أخرى تبعاً لمكان وطبيعة المناطق الأخرى .

نشاط المنطقة الشرجية :

إن المنطقة الشرجية ، مثل المنطقة الشفوية ، مهيأة تمام التهيؤ بحكم

(١) قارن الأبحاث الكثيرة جداً عن موضوع الاستمناء ، والتي هي في الغالب ، مع ذلك ، غامضة فيما يتعلق بالقضايا الرئيسية . قارن على سبيل المثال رولدر Rohleder (١٩٨٨) . [إضافة في ١٩١٥ :] . أنظر أيضاً «التقرير عن مناقشات جمعية التحليل النفسي» بفيينا حول الموضوع» (مناقشة ، ١٩١٢) - [وبخاصة إسهام فرويد فيها] .

موضعها لكي تعمل بمثابة وسط قد يرتبط الجنس عن طريقه بالوظائف البدنية الأخرى . ويجب أن نفترض أن المعنى الشبقي لهذا الجزء من البدن عظيم جداً منذ البداية . ونحن نعلم من التحليل النفسي ، في شيء من الدهشة ، التحوّلات التي تحدث عادة للتهيجات الجنسية الصادرة من هذه المنطقة ، وعن احتفاظ هذه المنطقة في الغالب بمقدار كبير من القابلية للتنبيه التناسلي طوال فترة الحياة[1] . إن الاضطرابات المعوية الشائعة جداً بين الأطفال تجعل هذه المنطقة معرضة للتهيجات الشديدة ، وإن النزلات المعوية في هذه الفترة الرقيقة من العمر تجعل الأطفال « عصبيين » ، كما يقول الناس . ويكون لهذه النزلات المعوية في المرض العصابي الذي ينشأ فيما بعد أثر فعال في الأعراض التي يظهر بها العصاب ، وهي تضع تحت تصرفه جميع أنواع الاضطرابات المعوية . فإذا وضعنا في اعتبارنا المعنى الشبقي لمخرج القناة المعوية ، ذلك المعنى الذي يستمر في جميع الحالات في صورة معدلة ، فإننا لن نكون ميالين إلى التقليل من شأن البواسير التي اعتاد الطب القديم أن ينسب إليها أهمية كبيرة في تفسير الحالات العصابية .

إن الأطفال الذين يستخدمون قابلية المنطقة الشرجية للتنبيه الشبقي إنما يكشفون عن أنفسهم باستبقائهم للبراز حتى يؤدي تراكمه إلى تقلصات عضلية شديدة ، وحتى يستطيع أن يحدث أثناء مروره بالشرج تنبيهاً شديداً للغشاء المخاطي . ولا شك أن ذلك لا يسبب فقط إحساسات مؤلمة ، بل إنه يسبب أيضاً إحساسات لذيذة جداً . ومن أوضح العلامات على غرابة الطبع أو على العصبية التي ستظهر فيما بعد إنما تشاهد حينما يرفض الطفل الرضيع بعناد أن يفرغ أمعاءه عندما يوضع على « القصرية »

---

(1) [الهامش أضيف ١٩١٠ :] قارن مقالتي عن «الخُلُق والشبقية الشرجية» (1908b) . [إضافة ١٩٢٠ :] و «عن تحوّلات الغريزة كما يتمثل ذلك في الشبقية الشرجية» 1917c .

ـ أي حينما تريد مربيته منه أن يفعل ذلك ـ وحينما يحجم عن أداء هذه الوظيفة حتى يشاء هو ذاته القيام بها . وهو لا يهتم بطبيعة الحال بتلويث فراشه ، وإنما هو يهتم فقط بألا تفلت منه اللذة الإضافية المتعلقة بعملية التبرز . وقد أظهر المربون ، مرة أخرى ، أنهم محقون حينما يصفون الأطفال الذين يحجمون عن أداء هذه العملية بأنهم « رذلاء » .

وتسلك محتويات الأمعاء ، التي تكون بمثابة كتلة منبهة لجزء من الغشاء المخاطي الحساس جنسياً ، كأنها طليعة لعضو آخر قد قدر له أن ينشط بعد مرحلة الطفولة . غير أن لهذه المحتويات معاني أخرى هامة بالنسبة للطفل الرضيع . فهو يعاملها بشكل واضح كأنها جزء من بدنه ، وأنها تمثل له « هبته » الأولى : فهو يستطيع بإخراجها أن يعبر عن طاعته لبيئته ، كما أنه يعبر عن عدم طاعته باستبقائها . ومن حيث أنها « هبة » فإنها ستكتسب فيما بعد معنى « طفل » ـ إذ تبعاً لإحدى النظريات الجنسية لدى الأطفال ، يُكْتَسَب الأطفال عن طريق الأكل ويولدون عن طريق الأمعاء[1] .

إن الاحتفاظ بكتلة البراز ، وهو عملية يقوم بها الطفل بطريقة إرادية في أول الأمر لكي يستعين بها ، إن جاز التعبير ، كمنبه استمنائي لمنطقة الشرج أو لكي يستخدمها في علاقته بالأفراد الذين يقومون برعايته ، إنما هو أيضاً أحد أسباب الإمساك الشائع جداً بين العصابيين . وفضلاً عن ذلك ، فإن كل معنى المنطقة الشرجية ينعكس في هذه الحقيقة وهي أنه لا تخلو عملية التبرز عند معظم العصابيين من ممارسات وطقوس خاصة ، وغير ذلك مما يقومون به في سرية تامة[2] .

---

(١) [انظر فيما بعد ص ١٢٣] .

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] قد وضح لنا لو أندرياس ـ سالومي Lou Andreas-Salomé (١٩١٦) ، في مقاله الذي أمدنا بفهم عميق لمعنى الشبقية الشرجية ، كيف أن لتاريخ =

إن حدوث التنبيه الاستمنائي للمنطقة الشرجية بالاصبع ، والذي يثيره إحساس الأُكال المنبعث من مصدر مركزي أو سطحي ، ليس من الأمور النادرة بين الأطفال الكبار .

نشاط المناطق التناسلية :

توجد بين المناطق الشبقية التي تكوّن جزءاً من بدن الطفل منطقة لا تقوم على وجه التأكيد بالدور الأول ، وهي لا تستطيع أن تكون ناقلة للدوافع الجنسية المبكرة ، غير أنه قد قُدِّر لها أن تقوم بأشياء عظيمة في المستقبل . وهذه المنطقة متصلة عند كل من الأطفال الذكور والإناث بعملية التبوّل (في حشفة القضيب والبظر) . وهي تكون في حشفة القضيب محفوظة في جراب من الغشاء المخاطي بحيث تكون سريعة التأثر بالتنبيه الذي تحدثه فيها الإفرازات التي قد تسبب البداية المبكرة للإثارة الجنسية . إن النشاط الجنسي لهذه المنطقة الشبقية التي تكون جزءاً من الأعضاء التناسلية الفعلية هو البداية لما سيصبح فيما بعد الحياة الجنسية « السوية » . إن الموضع التشريحي لهذه المنطقة ، وتدفق الإفرازات عليها ، وعمليات الغسل والحك التي تتعرض لها أثناء تنظيف الطفل ، وكذلك التنبيه

= أول تحريم يتعرض له الطفل ـ التحريم من الحصول على اللذة من النشاط الشرجي ومنتجاته ـ أثراً حاسماً في سير نموه بأكمله . ولا بد أن ذلك كان أول مناسبة يكوّن فيها الطفل فكرة عن بيئة معادية لدوافعه الغريزية ، ويتعلم فيها أن يستقل بكيانه عن هذه البيئة الغريبة ، ويقوم فيها بأول « كبت » للإمكانات التي لديه للحصول على اللذة . وابتداء من ذلك الوقت ، يصبح ما هو « شرجي » رمزاً لأي شيء يجب أن يرفض ويبعد من الحياة . إن التمييز الحاسم بين العمليات الشرجية والتناسلية ، وهو ما سيؤكد فيما بعد ، إنما تناقضه المشابهات والعلاقات التشريحية والوظيفية الوثيقة التي تبقى بينها . فالجهاز التناسلي يبقى مجاوراً للشرج ، وهو بالفعل [على حد قول لو أندرياس ـ سالومي] « قد استعار مكانه منه في حالة النساء . »

العَرَضي (مثل تحركات الديدان المعوية في حالة النبات) يجعل من المحتم أن يحس الأطفال حتى في مرحلة الطفولة المبكرة جداً بالشعور اللذيذ الذي يستطيع هذا الجزء من البدن أن يحدثه ، ولا بدّ أن هذا الشعور اللذيذ سيبعث الحاجة إلى تكراره . فإذا نظرنا إلى كل هذه المجموعة من الحيل ، ووضعنا في اعتبارنا أن كلاً من القذارة والمحاولات التي تبذل للنظافة إنما تحدث نفس التأثير ، فإننا لا نستطيع أن نتجنب هذه النتيجة وهي أن الأسس التي تقوم عليها أولوية هذه المنطقة الشبقية في المستقبل على النشاط الجنسي إنما تتوطد نتيجة للاستمناء الطفلي المبكر الذي لا يفلت منه فرد واحد [1] . ويتكون الفعل الذي يتخلص من التنبيه ويؤدي إلى الإشباع من حركة حك باليد أو من إحداث ضغط (بلا شك على نمط الفعل المنعكس المتكون من قبل) إما باليد وإما بضم الفخذين . إن هذه الطريقة الأخيرة هي أكثر الطرق شيوعاً بين البنات . وتفضيل الأولاد لليد يدل على الإسهام الهام الذي قدّر لغريزة السيطرة أن تقدمه للنشاط الجسي الذكري [2] .

وأقول الآن ، زيادة في التوضيح [3] ، إنه يجب أن نميز بين ثلاث

---

(١) [في طبعتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ ورد الجزء الأخير من هذه الجملة كما يلي : «من الصعب إغفال عاية الطبيعة من ترسيخ الأولوية المستقبلية التي تمارسها هذه المنطقة الشبقية على النشاط الجنسي عن طريق الاستمناء الطفلي المبكر ، الذي يندر أن يفلت منه فرد واحد» . إن الطبيعة الغائية لهذه المناقشة التي تؤيد شمول الاستمناء الطفلي قد تعرض لنقد حاد وجهه رودولف رايتر Rudolf Reitler أثناء مناقشة هذا الموضوع في جمعية فيينا للتحليل النفسي في ١٩١٢ (مناقشة ، ١٩١٢ ، ص ٩٢) . وقد اعترف فرويد ـ في إسهامه في هذه المناقشة ـ بأن التعبير الذي استخدمه غير موفق ، وتعهد بتغييره في طبعات تالية . وبناء على ذلك ، فإن الجملة الحالية المعدلة قد استبدلت بها في ١٩١٥ . راجع ص ٦٨ ، ١٠٧ و١٨٩ .

(٢) [هامش أضيف ١٩١٥ :] إن الطرق غير المألوفة التي تتبع في الاستمناء في السنوات الأخيرة ، يبدو أنها تشير إلى تأثير تحريم الاستمناء الذي أمكن التغلب عليه .

(٣) [أضيفت هذه الفقرة في ١٩١٥ . وفي طبعة ذلك العام أضيف أيضاً عنوان الفقرة التالية ، =

مراحل للاستمناء الطفلي . ترجع أُولى هذه المراحل إلى الطفولة المبكرة ، وترجع المرحلة الثانية إلى ازدهار النشاط الجنسي لفترة قصيرة حوالى السنة الرابعة ، والمرحلة الثالثة هي فقط التي تقابل استمناء البلوغ ، وهو في الغالب النوع الوحيد الذي يؤخذ في الاعتبار .

المرحلة الثانية للاستمناء الطفلي :

يبدو أن استمناء الطفولة المبكرة يختفي بعد فترة قصيرة ، ولكنه قد يستمر بدون انقطاع حتى البلوغ ، ويكون ذلك أول انحراف عظيم عن سير النمو المقرر للأشخاص المتحضرين . وفي وقت ما من الطفولة عقب الطفولة المبكرة ، وفي العادة قبل السنة الرابعة ، تأخذ الغريزة الجنسية التي تنتمي إلى المنطقة التناسلية في الاستيقاظ عادة ، وتستمر مرة أخرى لفترة ما حتى تقمع مرة أخرى ، أو قد تستمر بدون توقف . وقد تتخذ هذه المرحلة الثانية للنشاط الجنسي الطفلي صوراً مختلفة متنوعة يمكن تحديدها فقط بالتحليل الدقيق للحالات الفردية . غير أن جميع تفاصيلها تترك أعمق الانطباعات (اللاشعورية) في ذاكرة الفرد ، وتحدد نمو خُلُقه إذا كان له أن يبقى سليماً ، كما أنها تحدد أعراض عصابه إذا

= وكذلك أضيفت في جملته الثانية العبارة التالية بين قوسين : «قبل سن الرابعة عادة» . وفضلاً عن ذلك ، فإن الكلمات : «فترة قصيرة» في الجملة الأولى من نفس الفقرة قد حلت محل الكلمات : «في بداية مرحلة الكمون» التي ظهرت في ١٩٠٥ ، ١٩١٠ . وأخيراً ، ففي هاتين الطبعتين الأوليين ابتدأت الفقرة التالية بكلمات : «وفي أثناء سنوات الطفولة (لم يعد بعد من الممكن التعميم فيما يتعلق بالجدول الزمني) تعود الإثارة الجنسية للطفولة المبكرة ..» . ومن الواضح أن الدافع إلى كل هذه التغييرات التي تمت في ١٩١٥ كان للتمييز بدرجة أدق بين المرحلتين الأولى والثانية من النشاط الجنسي الطفلي ، ولتحديد تاريخ أدق للمرحلة الثانية ــ «حوالى السنة الرابعة» .]

ما مرض عقب البلوغ[1] . ونحن نجد في الحالة الأخيرة أن هذه الفترة الجنسية قد نسيت ، وأن الذكريات الشعورية التي تدل عليها قد نقلت . (لقد سبق أن أشرت إلى أنني أميل أيضاً إلى ربط فقدان الذاكرة الطفلي السويّ إلى هذا النشاط الجنسي الطفلي) . ويمكننا البحث التحليلي النفسي من إرجاع الأشياء التي نسيت إلى الشعور ، وهو بذلك يتخلص من الإجبار الذي يصدر عن المادة النفسية اللاشعورية .

عودة الاستمناء الطفلي المبكر :

تعود التهيجات الجنسية الخاصة بمرحلة الرضاعة المبكرة أثناء سنوات الطفولة التي أتكلم عنها الآن ، سواء كانت هذه التهيجات عبارة عن تنبيه يتكون من دغدغة محدّدة مركزياً ويهدف إلى الإشباع عن طريق الاستمناء ، أو كانت عبارة عن عملية من طبيعة الاحتلام الذي يحقق الإشباع ، مثل الاحتلام الذي يحدث في سنوات الرشد ، دون مساعدة أي فعل يقوم به الفرد . إن الحالة الأخيرة هي التي توجد بكثرة بين البنات في النصف الثاني من الطفولة ؛ وليست أسبابها مفهومة فهماً تاماً ، ويبدو أنها ترجع ، في الأغلب ، ولكن ليس دائماً ، إلى مرحلة مبكرة من الاستمناء **الإيجابي** . وأعراض هذه المظاهر الجنسية قليلة ؛ وهي تظهر في الغالب عن طريق الجهاز **البولي** الذي ينوب عن الجهاز الجنسي الذي لم يتم نموه بعد ، والذي يعمل الجهاز البولي كأنه وصيّ عليه . إن معظم

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] إن كون الإحساس بالذنب الذي يشعر به العصابيون ، كما لاحظ بلولر Bleuler (١٩١٣) حديثاً ، مرتبطاً دائماً بتذكر بعض النشاط الاستمنائي الذي يقع عادة أثناء البلوغ ، إنما هو مشكلة ما زالت في حاجة إلى تفسير تحليلي شامل . [إضافة ١٩٢٠ :] إن أعم وأهم عامل في الموضوع هو بلا شك أن الاستمناء يمثل الوسيلة التنفيذية للغريزة الجنسية الطفلية بأكملها ، وهو لذلك يستطيع أن يستولي على الإحساس بالذنب المتصل بها .

ما يسمى باضطرابات المثانة في هذه الفترة إنما هو اضطرابات جنسية : فالبُـوَال الليلي ، إذا لم يكن يمثل نوبة صرع ، فهو يقابل الاحتلام .

وتتوقف عودة ظهور النشاط الجنسي على أسباب داخلية وظروف طارئة خارجية يمكن أن نعرف كلاًّ منها في حالات المرض العصابي من الشكل الذي تتخذه أعراضها ، ويمكن أن نكتشفها على وجه محقق بوساطة البحث التحليلي النفسي . وسأتكلم قريباً فيما بعد عن الأسباب الداخلية ، أما الظروف الخارجية العَرَضية في هذه الفترة فلها أهمية عظيمة ودائمة . فنحن نجد أولاً آثار الإغواء الذي يجعل من الطفل في وقت مبكر موضوعاً جنسياً ، ويعلمه في ظروف شديدة الانفعال كيف يحصل على المتعة من منطقته التناسلية ، وهي متعة يجد الطفل نفسه بعدها مضطراً عادة إلى تكرارها مرة بعد أخرى عن طريق الاستمناء . وقد يصدر مثل هذا التأثير عن أفراد راشدين أو عن أطفال آخرين . إنني لا أستطيع أن أسلم بأنني في المقال الذي كتبته عام ١٨٩٦ عن « أسباب الهستيريا » قد تغاليت في تقدير تكرار أو أهمية هذا التأثير ، بالرغم من أنني لم أكن أعرف في ذلك الوقت أن الأفراد الذين يستمرون أسوياء ربما مروا بالخبرات ذاتها أثناء طفولتهم ، وبالرغم من أنني بناء على ذلك قد تغاليت في تقدير أهمية الإغواء بالمقارنة بعوامل الجبلة الجنسية والنمو[1] .

---

(١) [انظر مناقشة فرويد التفصيلية في هذا الموضوع في مقاله الثاني عن الجنس في الأمراض العصابية (1906a; S. E.,7, 274).] نشر هافيلوك إليس (١٩١٣ ، ملحق ب) كثيراً من سير الحياة التي كتبها أفراد كانوا في الأغلب أسوياء في شبابهم ، ووصفوا فيها الدوافع الجنسية الأولى أثناء طفولتهم والظروف التي أثارتها . ونقطة الضعف في هذه التقارير هي ، طبعاً ، أنها تغفل الفترة السابقة لتاريخ الحياة الجنسية لهؤلاء الأفراد ، وهي الفترة التي يحجبها فقدان الذاكرة الطفلي ، والتي يمكن أن تستعاد فقط بوساطة التحليل النفسي في حالة الفرد الذي يصاب بعصاب . ومع ذلك ، فإن هذه التقارير قيمة في أكثر من ناحية ، ومثل بعض التقارير المماثلة قد جعلتني أقوم بتعديل في فروضي الخاصة بالأسباب ، وهي الفروض التي أشرت إليها في النص .

ومن الواضح أنه ليس من اللازم حدوث الإغواء لكي تستثار الحياة الجنسية للطفل ، فإن هذه الإثارة يمكن أن تحدث أيضاً بطريقة تلقائية عن أسباب داخلية .

الاستعداد المنحرف المتعدد الأشكال :

من الحقائق التي لها دلالة أن الأطفال يمكنهم أن يصبحوا منحرفين على أشكال متعددة تحت تأثير الإغواء ، كما يمكنهم أن ينساقوا إلى جميع الأنواع الممكنة للشذوذ الجنسي . ويبين ذلك أنه يوجد في استعدادهم تهيؤ فطري لها . وهي ، لهذا السبب ، تلاقي مقاومة قليلة لأن السدود العقلية التي تنشأ ضد الإفراط الجنسي ـ الخزي ، والاشمئزاز ، والأخلاق ـ لم تكن قد تكونت بعد على الإطلاق ، أو أنها لا زالت فقط في سبيل التكوين تبعاً لسن الطفل . ويتصرف الأطفال في هذا الصدد بنفس الطريقة التي تتصرف بها امرأة متوسطة غير مثقفة يستمر عندها نفس الاستعداد المنحرف المتعدد الأشكال . فهي قد تظل سوية من الناحية الجنسية تحت الظروف العادية ، ولكنها إذا وقعت تحت سيطرة فاسق حاذق فإنها ستستطيب جميع الانحرافات ، وأنها ستحتفظ بها كجزء من نشاطها الجنسي الخاص . وتستغل البغايا نفس هذا الاستعداد المتعدد الأشكال ، أي الاستعداد الطفلي ، لأغراض مهنتهن . وإذا نظرنا إلى العدد الضخم من النساء البغايا أو النساء اللاتي يجب أن نفترض أنهن مستعدات للبغاء دون أن يمارسنه فعلاً ، فإنه يصبح من المستحيل ألا ندرك أن نفس هذا الاستعداد للانحرافات من جميع الأنواع إنما هو خاصة إنسانية عامة وأساسية .

الغرائز الجزئية :

وفضلاً عن ذلك ، فإن آثار الإغواء لا تساعد على كشف التاريخ

المبكر للغريزة الجنسية ؛ بل إنها بالأحرى تؤدي إلى غموض نظرتنا إليه ، لأنها تقدم للأطفال في هذه السن السابقة للأوان موضوعاً جنسياً لا تكون الغريزة الجنسية الطفلية في حاجة إليه في بادئ الأمر . وعلى أية حال ، فيجب أن نسلم بأن الحياة الجنسية الطفلية ، بالرغم من سيطرة المناطق الشبقية عليها سيطرة فائقة ، فإنها تكشف عن أجزاء تقوم منذ البداية باتخاذ الأشخاص الآخرين كموضوعات جنسية . وتلك هي غرائز حب النظر ، والعَرْض ، والقسوة ، التي تبدو على نحو ما مستقلة عن المناطق الشبقية ؛ وهذه الغرائز لا تدخل في علاقات وثيقة مع الحياة التناسلية[1] إلا فيما بعد ، غير أنها تلاحظ قبل ذلك أثناء الطفولة كدوافع مستقلة ، متميزة في أول الأمر عن النشاط الجنسي الشبقي . إن الأطفال الصغار لا يشعرون أصلاً بالخزي ، وهم يظهرون في بعض الأوقات أثناء السنوات المبكرة من حياتهم متعة واضحة من عرض أبدانهم مع الاهتمام الخاص بالأجزاء الجنسية . ومن المحتمل ألا يظهر الاتجاه المقابل لهذا الميل المنحرف ، وهو الاستطلاع لرؤية الأعضاء التناسلية للأشخاص الآخرين ، إلا في سنوات متأخرة من الطفولة إلى حدٍّ ما ، عندما يكون العائق الذي نشأ عن الإحساس بالخزي قد بلغ إلى درجة معينة من النمو[2] . وبتأثير الإغواء يمكن أن ينال الانحراف الخاص بحب النظر أهمية عظيمة في الحياة الجنسية للطفل . ولكن دراساتي للسنوات الأولى من حياة الأشخاص الأسوياء ، وكذلك من حياة المرضى العصابيين ،

---

(١) [«الجنسية» في طبعتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ .]

(٢) [في الطبعة الأولى (١٩٠٥) وردت هذه الجملة كما يلي : «والمقابل ... لا يأتي إلا متأخراً في الطفولة ، عندما ... » . وفي ١٩١٠ أضيفت هاتان الكلمتان «من المحتمل» ؛ وفي ١٩١٥ استبدلت بكلمة «يأتي» كلمة «يظهر» ؛ وفي ١٩٣٠ أضيفت عبارة «إلى حد ما» بعد «متأخرة» . ـ وقد ناقش فرويد موضوع العَرْض لدى الأطفال الصغار في شيء من التطويل في كتابه «تفسير الأحلام» ، الفصل الخامس ، الجزء د (أ) (Standard Ed., 4, 224).]

تضطرني إلى الوصول إلى هذه النتيجة وهي أن حب النظر يمكن أن يظهر أيضاً عند الأطفال كمظهر جنسي تلقائي . فحينما يتجه انتباه الأطفال الصغار إلى أعضائهم التناسلية ـ عن طريق الاستمناء عادة ـ فإنهم يقومون في العادة باتخاذ خطوة أخرى بدون مساعدة من الخارج ، ويبدأون في إظهار الإهتمام الشديد بالأعضاء التناسلية لزملائهم . ولما كانت مناسبات إشباع هذا النوع من الاستطلاع تحدث فقط أثناء إشباع حاجة إلى الإخراج بنوعيه ، فإن الأطفال من هذا النوع يصبحون **نَظّارين** ، ومتطلعين متلهفين إلى عمليتي التبول والتبرز . وعندما يبدأ كبت هذه الميول ، فإن الرغبة في رؤية الأعضاء التناسلية للآخرين (سواء من نفس جنسهم أو من الجنس المقابل) تستمر في صورة قهر مزعج ، يصبح في بعض حالات العصاب فيما بعد أقوى دافع لتكوين الأعراض .

وينمو جزء القسوة من الغريزة الجنسية أثناء الطفولة نمواً أكثر استقلالاً عن الأنشطة الجنسية الأخرى المتصلة بالمناطق الشبقية . وتظهر القسوة ، على وجه عام ، في طبيعة الطفل بسهولة ، نظراً لأن العائق الذي يوقف غريزة السيطرة عن إيلام الغير ـ أي القدرة على الشفقة ـ ينمو متأخراً نسبياً . إن التحليل السيكولوجي الأساسي لهذه الغريزة ، كما نعرف ، لم يتحقق بعد بطريقة مُرْضية . ومن الممكن أن نفترض أن الدافع إلى القسوة ينبعث من غريزة السيطرة ، ويظهر في فترة من الحياة الجنسية لم تكن الأعضاء التناسلية فيها قد اتخذت دورها الأخير بعد . فهي تسيطر آنذاك على مرحلة من الحياة الجنسية سنصفها فيما بعد بأنها التنظيم القبل تناسلي[1] . إن الأطفال الذين يتميزون بقسوة خاصة مع

---

(١) [ظهرت الجملتان الأخيرتان في صيغتهما الحالية في ١٩١٥ . أما في طبعتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ فقد كانتا كما يلي : «وقد نفترض أن دوافع القسوة تنبعث من مصادر هي في الواقع مستقلة عن الغريزة الجنسية ، ولكنها قد تتحد بها في مرحلة مبكرة بسبب حدوث التحام =

الحيوانات والزملاء عادةً ما يثيرون بحق الشك في وجود نشاط جنسي شديد ومبكر صادر من المناطق الشبقية . وبالرغم من أن جميع الغرائز الجنسية قد تظهر مبكرة في وقت واحد ، إلا أن النشاط الجنسي الشبقي يبدو ، مع ذلك ، أنه أولها . وإن غياب العاتق الخاص بالشفقة يؤدي إلى هذا الخطر وهو أن العلاقة بين غريزة القسوة والغرائز الشبقية التي تكونت أثناء الطفولة قد لا يمكن قطعها في مستقبل الحياة . وقد أصبح من المعروف جيداً لجميع المربين ، منذ « اعترافات » جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau أن التنبيه المؤلم لبشرة الردفين هو أحد الجذور الشبقية لغريزة القسوة السلبية (المازوكية) . وقد كانت النتيجة التي انتهوا إليها بحق هي أن العقاب البدني ، الذي كان يطبق عادة على هذا الجزء من البدن ، لا يجب أن يوقع على أي طفل تكون طاقته اللبيدية معرضة لأن تدفع إلى مسالك جانبية تحت ضغط مطالب التربية الثقافية في المستقبل[1] .

= بينهما (ارتباط مستعرض) قريباً من نقطتي منبعهما . وعلى أية حال ، فإن الملاحظة تعلمنا أن النمو الجنسي ونمو غريزة حب النظر والقسوة إنما يخضعان لتأثيرات متبادلة تحدّ من هذا الاستقلال المفترض بين هاتين المجموعتين من الغرائز .]

(١) [هامش أُضيف ١٩١٠ :] عندما نشر الرأي الذي ذكرته سابقاً عن الجنس عند الأطفال لأول مرة في عام ١٩٠٥ ، كان يعتمد في الأغلب على نتائج بحوث التحليل النفسي التي أجريت على الراشدين . لقد كان من المستحيل في ذلك الوقت استخدام الملاحظة المباشرة للأطفال استخداماً كاملاً : لقد أمدنا هذا المصدر فقط ببعض الإشارات المتفرقة وبعض المعلومات القيّمة . وقد أصبح من الممكن بعد ذلك الحصول على استبصار مباشر للسلوك الجنسي النفسي الطفلي عن طريق تحليل بعض حالات المرض العصابي أثناء السنوات المبكرة للطفولة . وإنه ليسرني أن أذكر أن الملاحظة المباشرة قد أيدت كل التأييد النتائج التي توصلنا إليها بالتحليل النفسي ـ وهو دليل جيد على إمكان الوثوق بهذا المنهج في البحث . وفضلاً عن ذلك ، فإن «تحليل خُواف طفل في الخامسة من عمره» (١٩٠٩ ب) قد علمنا شيئاً كثيراً جديداً لم يكن قد هيأنا له التحليل النفسي : فمثلاً ، إن =

أبحاث الأطفال الجنسية

غريزة المعرفة :

في حوالي نفس الوقت الذي تبلغ فيه الحياة الجنسية عند الأطفال قمتها الأولى فيما بين سن الثالثة والخامسة ، يبدأ الأطفال أيضاً في إظهار علامات على النشاط الذي قد ينسب إلى غريزة المعرفة أو البحث . ولا يمكن أن تعد هذه الغريزة ضمن العناصر الغريزية الأولية ، كما لا يمكن إدخالها تحت الجنس كلية . فإن نشاطها ، من جهة ، يماثل طريقة إعلائية للسيطرة ، بينما هو ، من جهة أخرى ، يستخدم طاقة حب النظر . وعلى أية حال ، فإن لعلاقاتها بالحياة الجنسية أهمية خاصة ، إذ أننا عرفنا من التحليل النفسي أن غريزة المعرفة عند الأطفال تنجذب إلى المشكلات الجنسية في فترة مبكرة لم تكن متوقعة وبدرجة شديدة ، ومن المحتمل أن تكون المشكلات الجنسية في الحقيقة هي التي تثيرها في أول الأمر .

= الرمزية الحسية ـ تمثيل ما هو جسي بأشياء وعلاقات غير جنسية ـ ترجع إلى السنوات الأولى لتعلم القدرة على الكلام . وقد تنبهت أيضاً للنقص الموجود في الرأي الذي ذكرته في النص الذي يذهب ، توخياً للتوضيح ، إلى وصف التمييز النظري بين مرحلة الشبقية الذاتية ومرحلة حب الموضوع كأنه أيضاً تمييز زمني . ولكن التحليلات التي ذكرتها الآن ، وكذلك النتائج التي توصل إليها بل Bell والتي ذكرتها سابقاً في ص ٩٣ ، توضح أن الأطفال فيما بين سن الثالثة والخامسة قادرون على اختيار الموضوع بوضوح جداً ، ويكون ذلك مصحوباً بانفعالات شديدة .

[استمر هذا الهامش في ١٩١٠ وحدها كما يلي : «إضافة أخرى لمعرفتنا بالحياة الجنسية الطفلية لم تذكر بعد في النص تتعلق بأبحاث الأطفال الجنسية ، وبالنظريات التي يتوصل إليها الأطفال (راجع مقالي عن الموضوع ، 1908c)، وبالآثار الهامة لهذه النظريات بالنسبة للأمراض العصابية المستقبلة ، وبنتائج هذه الأبحاث الطفلية وعلاقتها بنمو القوى العقلية لدى الأطفال .]

لغز أبي الهول :

لقد ابتدأ نشاط البحث لدى الأطفال نتيجة لاهتمامات عملية لا نظرية . إن اكتشاف الطفل لمجيء طفل جديد أو الاشتباه في ذلك ، وخوفه من أنه سيفقد الرعاية والحب نتيجة لذلك ، يهدد وجوده من أساسه ، ويجعله كثير التفكير وذكياً . ويتفق هذا التاريخ الخاص بمنشأ الغريزة مع هذه الحقيقة وهي أن أول مشكلة تتناولها ليست هي مشكلة التمييز بين الجنسين وإنما هي هذا اللغز : من أين يأتي الأطفال[١] ؟ (إن هذا اللغز هو نفس اللغز الذي قدمه أبو الهول الطيبي[٢] ، ولكن في صورة مشوهة يمكن تصحيحها بسهولة) . وعلى العكس ، إن وجود الجنسين لا يثير في أول الأمر أية صعوبات أو شكوك عند الأطفال . فمن البديهي أن ينسب الطفل الذكر إلى كل فرد آخر يعرفه عضواً تناسلياً مثل عضوه ، وهو لا يستطيع أن يوفق بين عدم وجود هذا العضو وبين الصورة التي يكونها عن هؤلاء الأفراد الآخرين .

عقدة الخصاء[٣] وحسد القضيب :

يتمسك الأولاد بهذا الاعتقاد تمسكاً شديداً ، ويدافعون عنه بعناد ضد المناقضات التي سرعان ما تنتج عن الملاحظة ، وهم يتخلون عنه فقط بعد كفاح داخلي شديد (عقدة الخصاء) . وتقوم بدائل هذا القضيب الذي يشعرون أنه غير موجود عند النساء بدور كبير في تحديد

---

(١) قام فرويد (1925j) في عمل لاحق بتصحيح هذه القضية بقوله إنها غير صحيحة بالنسبة للبنات ، كما أنها ليست دائماً صحيحة بالنسبة للأولاد .]

(٢) نسبة إلى طيبة .) (المترجم)

(٣) انظر الهامش رقم ٢ ص ٧٢ (المترجم) .

الصورة التي يتخذها كثير من الانحرافات [1].

إن افتراض حصول جميع الناس على نفس العضو التناسلي (الذكري) هو النظرية الأولى من بين كثير من النظريات الجنسية الملفتة للنظر الهامة التي يكونها الأطفال. وإنه لقليل الجدوى للطفل أن يقوم علم الحياة بتبرير تعصبه، وأن يضطر إلى الاعتراف بالبظر الأنثوي كبديل حقيقي للقضيب.

ولا تلجأ البنات الصغيرات إلى إنكار من هذا النوع حينما يرين أن الأعضاء التناسلية للأولاد تتكون بشكل مختلف عن أعضائهن التناسلية. إنهن مستعدات للاعتراف بها مباشرة، وسرعان ما يتملكهن الحسد من القضيب ـ وينتهي هذا الحسد إلى الرغبة في أن يصبحن هن أنفسهن أولاداً، وهي رغبة هامة جداً في نتائجها.

نظريات الميلاد:

يستطيع كثير من الناس أن يتذكروا بوضوح كيف أنهم كانوا يهتمون اهتماماً كبيراً أثناء فترة ما قبل البلوغ بالتساؤل عن المصدر الذي يأتي منه الأطفال. إن الإجابات التشريحية لهذا السؤال كانت في ذلك الوقت كثيرة جداً: يأتي الأطفال من الصدر، أو أنهم يقتطعون من البدن، أو أن السرة تنفتح لتدعهم يخرجون منها [2]. وفي النادر أن

---

(1) [هامش أضيف ١٩٢٠:] يوجد لدينا ما يبرر أن نتكلم عن عقدة الخصاء عند النساء أيضاً. فكل من الأطفال الذكور والإناث يكوّنون نظرية تذهب إلى أنه كان للنساء في الأصل قضيب مثل الرجال، ولكنهن فقدنه نتيجة للخصاء. وإن الاعتقاد الذي يصل إليه الرجال أخيراً وهو أنه لا يوجد عند النساء قضيب يسوقهم في الغالب إلى أن يكوّنوا إلى الأبد فكرة وضيعة عن الجنس الآخر.

(2) [هامش أضيف ١٩٢٤:] يوجد في هذه السنوات الأخيرة من الطفولة عدد وافر من النظريات الجنسية، وقد ذكرت منها في النص أمثلة قليلة فقط.

يتذكر الفرد ، في غير مواقف التحليل ، مثل هذه الأبحاث التي حدثت في السنوات المبكرة من الطفولة . فهذه الأبحاث المبكرة قد وقعت ضحية الكبت منذ ذلك الوقت ، غير أن جميع نتائجها من طبيعة متشابهة : ينجب الناس الأطفال عن طريق أكل شيء خاص (كما يحدث في القصص الخيالية) ، أو يولد الأطفال عن طريق الأمعاء على نمط التخلص من البراز . وتذكرنا هذه النظريات الطفلية بظروف توجد في المملكة الحيوانية ــ وعلى الأخص بالمخرج الذي يجتمع فيه المعي الغليظ والقنوات البولية والتناسلية [1] لدى أنماط الحيوانات الأدنى من الحيوانات الثديية .

الفكرة السادية عن الاتصال الجنسي :

إذا شاهد الأطفال في هذه السن المبكرة اتصالاً جنسياً بين الراشدين ــ ويهيئ الفرصة لذلك اعتقاد الكبار بأن الأطفال الصغار لا يستطيعون فهم أي شيء جنسي ــ فإنه لا يسعهم إلا أن يعتبروا الفعل الجنسي كنوع من سوء المعاملة أو كعملية إخضاع : أي إنهم يفهمونه بمعنى سادي . ويبين التحليل النفسي أيضاً أن انطباعاً من هذا النوع في الطفولة المبكرة يسهم إسهاماً كبيراً في تكوين الاستعداد لحدوث نقل سادي للهدف الجنسي فيما بعد . وفضلاً عن ذلك ، فإن الأطفال يهتمون كثيراً بمشكلة ما هو الاتصال الجنسي ، أو ما هو الزواج ، كما يقولون : وهم يبحثون عادة عن حل لهذا السر في بعض النشاط الشائع الذي يتعلق بوظيفة التبول أو التبرز .

---

(١) cloaca وهو مجمع ينتهي فيه المعي الغليظ والقنوات البولية والتناسلية في الطيور والأمفيبيا .) (المترجم)

الفشل النموذجي للأبحاث الجنسية الطفلية :

نستطيع أن نقول عن نظريات الأطفال الجنسية ، بصفة عامة ، إنها انعكاسات لجبلّتهم الجنسية الخاصة ، وإنه بالرغم من الأخطاء المضحكة لهذه النظريات ، إلا أنها تدل على درجة من الفهم للعمليات الجنسية أكبر مما نشهد به لمبتكري هذه النظريات . ويدرك الأطفال أيضاً التغيرات التي تحدث لأمهاتهم بسبب الحمل ، ويستطيعون أن يفسروها تفسيراً صحيحاً . وكثيراً ما تروى أسطورة اللقلق[١] لبعض السامعين الذين يتقبلونها بشك عظيم ، ولكنه شك صامت في الأغلب . وعلى أية حال ، فإن هناك عنصرين في أبحاث الأطفال الجنسية يظلان غير معروفين : دور الإخصاب الذي يقوم به المني ، ووجود الفتحة الجنسية الأنثوية ـ وهما بالذات العنصران اللذان يكونان غير ناميين في التنظيم الطفلي . وينتج عن ذلك ، إذن ، أن تصبح مجهودات أبحاث الطفل غير مجدية في العادة ، وهي تنتهي بالإنكار الذي كثيراً ما يلحق بغريزة المعرفة ضرراً مستديماً . وتجري الأبحاث الجنسية في هذه السنوات المبكرة من الطفولة في عزلة دائماً . وهي تكون الخطوة الأولى نحو تكوين اتجاه مستقل في العالم ، كما أنها تتضمن اغتراب الطفل إلى درجة كبيرة عن الأشخاص الموجودين في بيئته والذين كانوا يحظون من قبل بثقته التامة .

مراحل نمو التنظيم الجنسي[٢]

إن خصائص الحياة الجنسية التي اهتممنا بها حتى الآن هي أنها في

(١) (the stork وهو نوع من الطير .) (المترجم)

(٢) [ظهر كل هذا القسم في ١٩١٥ . ويبدو أن فرويد قام بتقديم مفهوم «التنظيم القبل تناسلي» للحياة الجنسية لأول مرة في مقاله عن «الاستعداد للعصاب الوسواسي» (1913i) الذي =

أساسها ذاتية الشبقية (أي أنها تجد موضوعها في بدن الطفل ذاته) ، وأن غرائزها الجزئية الفردية تكون على وجه عام منفصلة ومستقلة الواحدة عن الأخرى في سعيها وراء اللذة . إن النتيجة النهائية للنمو الجنسي هي ما يعرف بالحياة الجنسية السوية لدى الراشد ، والتي يكون فيها السعي وراء اللذة خاضعاً لنفوذ الوظيفة التناسلية ، والتي تكوّن فيها الغرائز الجزئية ، تحت رياسة منطقة شبقية واحدة ، تنظيماً ثابتاً متجهاً نحو هدف جنسي متصل بموضوع جنسي خارجي .

التنظيمات القبل تناسلية :

تمكننا دراسة حالات الكف واضطرابات عملية النمو هذه ، بالاستعانة بالتحليل النفسي ، من إدراك البدايات السابقة لأوانها لمثل هذا التنظيم الثابت للغرائز الجزئية والمراحل التمهيدية له ـ تلك المراحل التمهيدية التي تكوّن في ذاتها نوعاً من التنظيم الجنسي . ويمر الفرد بمراحل التنظيم هذه بهدوء في العادة ، وهي لا تكشف عن وجودها إلا بإشارات طفيفة . وهي لا تصبح نشيطة وواضحة للملاحظة السطحية إلا في الحالات المرضية فقط .

إننا سنطلق اسم « القبل تناسلي » على تنظيمات الحياة الجنسية التي لم تتول فيها المناطق التناسلية بعد دورها المسيطر . لقد قمنا حتى الآن بالتعرف على نوعين من هذه التنظيمات ، وهما يبدوان تقريباً كأنهما يرجعان إلى صور الحياة الحيوانية المبكرة .

إن أول هذين التنظيمين هو التنظيم الفمي[1]، أو كما يمكن أن

= كان يتناول فقط موضوع التنظيم السادي الشرجي . ويبدو أن فرويد قد أدرك التنظيم الفمي لأول مرة في الفقرة الحالية .]

(١) انظر هامش رقم ٣ ص ٦٧ .) (المترجم)

نسميه ، التنظيم الجنسي القبل تناسلي المتعلق بأكل لحم البشر . إن النشاط الجنسي هنا لم يفصل بعد عن تناول الطعام ، كما لم تتميز فيه بعد اتجاهات متعارضة . إن **موضوع** كل من هذين النشاطين واحد ، **فالهدف** الجنسي هو إدماج الموضوع ـ وهو النموذج الأصلي لعملية ستقوم فيما بعد ، في صورة التوحّد [1] ، بدور سيكولوجي هام . ويمكن أن نرى أثراً من هذه المرحلة المفترضة من التنظيم ـ التي يدفعنا علم الأمراض إلى ملاحظتها ـ في مص الإبهام الذي يقوم فيه النشاط الجنسي المنفصل عن النشاط الغذائي بالاستعاضة عن الموضوع الخارجي بموضوع موجود في بدن الفرد [2] .

والمرحلة القبل تناسلية الثانية هي التنظيم السادي الشرجي [3] . ونجد هنا أنه قد تكوّن بالفعل التعارض بين تيارين ، وهو التعارض الذي سيستمر في الحياة الجنسية كلها : ولكن ليس من الممكن بعد أن نصف هذين التيارين بأنهما « ذكري » أو « أنثوي » ، وإنما يمكن أن نصفهما فقط بأنهما « إيجابي » و « سلبي » . وتقوم غريزة السيطرة بتحقيق النشاط **الإيجابي** عن طريق الجهاز العضلي بالبدن ، وإن العضو الذي

---

(١) (identification التوحّد حيلة عقلية لا شعورية يتم عن طريقها اتحاد الفرد ببعض الشخصيات الأخرى اتحاداً وجدانياً ، كما يتم عن طريقها انتحال الفرد لصفات وخصائص بعض الأفراد الآخرين .) (المترجم) .

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] قارن أبراهام Abraham (١٩١٦) ، للوقوف على آثار هذه المرحلة في العصابيين الراشدين . [إضافة ١٩٢٤ :] وقد قام نفس المؤلف في كتاب آخر (١٩٢٤) ظهر فيما بعد ، بتقسيم هذه المرحلة الفمية ، وكذلك المرحلة السادية الشرجية التالية إلى قسمين يتميزان باتجاهات مختلفة نحو الموضوع .

(٣) (sadistic-anal organisation التنظيم الشرجي هو المرحلة الثانية من مراحل نمو الوظيفة الجنسية (انظر هامش رقم ٣ ص ٩٦) . والسادية هي الحصول على اللذة من إيلام الغير (انظر هامش ٣ ص ٧٠) . وتسمى المرحلة الشرجية أيضاً بالمرحلة السادية الشرجية ، لأن ميل الطفل إلى العدوان يظهر بوضوح في أثناء هذه المرحلة .) (المترجم) .

يمثل الهدف الجنسي **السلبي** ، أكثر من أي عضو آخر ، هو الغشاء المخاطي الشبقي للشرج . ولكل من هذين التيارين موضوعاته التي لا تتماثل . وتوجد إلى جانب هذين التيارين غرائز جزئية أخرى تعمل على أساس شبقي ذاتي . وإذن ، فالتناقض الجنسي والموضوع الخارجي أمران يمكن ملاحظتهما بالفعل في هذه المرحلة . ولكن التنظيم والخضوع للوظيفة التناسلية لا يزالان غير موجودين [١] .

التناقض الوجداني [٢] :

يمكن أن تستمر هذه الصورة من التنظيم الجنسي طوال الحياة ، ويمكنها أن تجذب إليها باستمرار جزءاً كبيراً من النشاط الجنسي . وإن غلبة السادية في هذا التنظيم ، وكذلك دور المخرج الذي تقوم به المنطقة الشرجية إنما يضيفان على هذا التنظيم مسحة من القِدَم غريبة في لونها . ويتميز هذا التنظيم أيضاً بأن الأزواج المتضادة من الغرائز تنمو فيه بدرجة متساوية تقريباً ، وهي حالة قد وصفها بلولر « بالتناقض الوجداني » ، وهو لفظ كان اختياره موفقاً .

إن الفرض الخاص بوجود تنظيمات قبل تناسلية للحياة الجنسية يعتمد على تحليل الأمراض العصابية ، وليس من الممكن تقدير هذا الفرض بدون معرفة هذه الأمراض . وإنا نتوقع أن يمدنا البحث التحليلي

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] يبين أبراهام (١٩٢٤) في آخر مقال ذكرناه له أن الشرج ينمو من البلاستوبور الجنيني ـ وتبدو هذه الحقيقة كأنها نمودح أصلي بيولوجي للنمو النفسي الجنسي .

(البلاستوبور blastopore (أو مسامة الجرتومة) هو الفم الأصلي أو الأولي، وهو فتحة في جرتومة الجنين ذات الطبقتين . محمد شرف ، معجم انجليزي ـ عربي في العلوم الطبية والطبيعية ، القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٢٩ ، ص ١٤٥) (المترجم)

(٢) (التناقض الوجداني ambivalence هو اتجاه الحب والبغض نحو شخص واحد .) (المترجم)

المتواصل بمعلومات أخرى كثيرة عن بناء الوظيفة الجنسية السوية ونموها .

ولكي نكمل صورة الحياة الجنسية الطفلية ، يجب أن نفترض أيضاً أن اختيار الموضوع ، وهو كما سبق أن بيّنّا يميز مرحلة النمو أثناء البلوغ ، كثيراً أو عادة ما كان موجوداً بالفعل أثناء سنوات الطفولة : أي ، تتجه جميع التيارات الجنسية نحو شخص واحد وتسعى إلى تحقيق أهدافها بالنسبة إليه . وهذا هو ، إذن ، أدنى اقتراب ممكن أثناء الطفولة من الصورة النهائية التي تتخذها الحياة الجنسية بعد البلوغ . إن الفرق الوحيد هو أن تجمع الغرائز الجزئية وخضوعها لأولوية الأعضاء التناسلية لا يتم إلا بصورة ناقصة جداً أثناء الطفولة ، أو أنه لا يتم على الإطلاق . وإذن ، فإن تكوين هذه الأولوية في خدمة التناسل هو المرحلة الأخيرة التي يمر بها تنظيم الجنس[١] .

اختيار الموضوع على مرحلتين

يمكن أن نعتبر أن من الخصائص التي تميز عملية اختيار الموضوع

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] لقد قمت فيما بعد (١٩٢٣) بتعديل هذا الرأي وذلك بإدخال مرحلة ثالثة في نمو الطفولة تأتي بعد التنظيمين القبل تناسليين . وفي هذه المرحلة التي تستحق بالفعل أن توصف بأنها تناسلية ، يظهر موضوع جنسي ، وبعض القدر من تلاقي الدوافع الجنسية على هذا الموضوع ؛ ولكن هذه المرحلة تتميز عن التنظيم النهائي للنضج الجنسي في ناحية أساسية . فهي تعرف فقط نوعاً واحداً من الأعضاء التناسلية : عضو الذكر . ولهذا السبب فقد سميت هذه المرحلة «بالمرحلة القضيبية»* من التنظيم (Freud, 1923e) . ولهذه المرحلة ، تبعاً لأبراهام (١٩٢٤) ، نموذج أصلي بيولوجي في الاستعداد التناسلي غير المتميز لدى الجنين ، وهو استعداد واحد عند كل من الجنسين .

* (انظر هامش رقم ٣ ص ٩٦ ؛ انظر أيضاً الفصل الثالث من كتاب «معالم التحليل النفسي» لفرويد ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ انظر أيضاً مقال فرويد عن «التنظيم التناسلي الطفلي للبيدو» ، مجموعة مقالات فرويد الجزء الثاني ، ص ٢٤٤ .) (المترجم)

أنها تحدث على مرحلتين ، أي على دَفْعتين . تبتدئ أولاهما بين سن الثانية[1] والخامسة ، وهي تتوقف أو تتراجع أثناء مرحلة الكمون ؛ وهي تتميز بأن أهدافها الجنسية ذات طبيعة طفلية . وتبتدئ الدفعة الثانية بابتداء البلوغ ، وهي تحدد النتيجة النهائية للحياة الجنسية .

وبالرغم من أن كون اختيار الموضوع يتم على مرحلتين لا يرجع في أساسه إلى أكثر من تأثير مرحلة الكمون ، إلا أن له أهمية عظمى بالنسبة للاضطرابات التي تحدث في تلك النتيجة النهائية . إذ أن نتائج الاختيار الطفلي للموضوع تستمر إلى المرحلة التالية . وقد تستمر هذه النتائج كما هي ، أو قد تُبعث مرة أخرى في فترة البلوغ بالذات ؛ غير أنها لا تكون قابلة للاستخدام نتيجة للكبت الذي حدث بين المرحلتين . فأهدافها الجنسية أصبحت أضعف شأناً ، وأصبحت تمثل الآن ما يمكن أن يوصف بأنه « التيار الوجداني » في الحياة الجنسية . ويستطيع البحث التحليلي النفسي وحده أن يبين أن وراء هذا الحب والإعجاب والاحترام تختفي الأشواق الجنسية القديمة الخاصة بالغرائز الجزئية الطفلية التي أصبحت الآن غير مفيدة . ويضطر اختيار الموضوع في مرحلة البلوغ إلى التخلص من موضوعات الطفولة وإلى الابتداء من جديد في صورة « تيار شهواني » . فإذا لم يتلاق هذان التياران ، فإنه ينتج عن ذلك في الغالب أن يكون من الصعب بلوغ أحد المثل العليا للحياة الجنسية ، وهو تركيز جميع الرغبات في موضوع واحد .

---

(۱) [في ۱۹۱٥ كان هذا العدد « الثالثة » ، وعدّل إلى « الثانية » في ۱۹۲۰ . راجع أيضاً ختام الهامش في ص ١٦٠ .]

مصادر السلوك الجنسي عند الأطفال

إن مجهوداتنا في تعقب مصادر الغريزة الجنسية قد بينت لنا حتى الآن أن التهيجات الجنسية تنشأ :

أ ـ باعتبارها استعادة لإشباع حدث من قبل مرتبطاً بعمليات بدنية أخرى .

ب ـ عن طريق تنبيه المناطق الشبقية تنبيهاً سطحياً ملائماً .

جـ ـ باعتبارها تعبيراً «لغرائز» معينة (مثل غريزة حب النظر ، وغريزة القسوة) وهي غرائز لم نفهم بعد مصدرها فهماً تاماً .

ويُجمع كل من البحث التحليلي النفسي الذي يرجع إلى الطفولة من خلال الحياة المتأخرة ، والملاحظة الحالية للأطفال على أن يبيّنا لنا مصادر أخرى للتهيج الجنسي تقوم بنشاطها بصفة منتظمة . وللملاحظة المباشرة للأطفال عيب وهو أنها تبحث في بيانات يمكن أن يقع الخطأ في فهمها بسهولة ؛ والتحليل النفسي عملية شاقة لأنه لا يستطيع أن يصل إلى بياناته ، وكذلك إلى نتائجه ، إلا بعد انعطافات طويلة . غير أنه من الممكن أن يصل هذان المنهجان ، بتعاونهما ، إلى درجة مرضية من اليقين في نتائجهما .

لقد اكتشفنا من قبل أثناء فحصنا للمناطق الشبقية أن هذه المناطق من البشرة لا تظهر غير شدة خاصة من نوع القابلية للتنبيه التي توجد بدرجة معينة في جميع سطح البشرة . ولذلك ، فإننا لن نندهش إذا وجدنا أنه يجب أن ننسب إلى أنواع معينة من التنبيه العام للبشرة تأثيرات شبقية واضحة جداً . ويمكن أن نذكر من بين هذه التنبيهات ، تلك التنبيهات الحارة على وجه خاص ، وإن أهمية هذه التنبيهات قد تساعدنا على فهم النتائج العلاجية للحمامات الساخنة .

الإثارات الآلية :

يجب أن نذكر أيضاً في هذه النقطة حدوث الإثارة الجنسية عن طريق هز البدن هزّاً آلياً إيقاعياً . وتؤثر المنبهات التي من هذا النوع بطرق ثلاث مختلفة : على الجهاز الحسي في الأعصاب الموجودة في الدهليز ، وعلى البشرة ، وعلى الأجزاء العميقة (مثل العضلات والمفاصل) . إن وجود هذه الإحساسات اللذيذة ـ ويجدر بنا أن نؤكد بهذه المناسبة أن مفهومي « الإثارة الجنسية » و « الإشباع » يمكن أن يستخدما إلى حد كبير بدون تمييز ، ويجب أن نحاول فيما بعد تفسير ذلك[1] ـ إن وجود هذه الإحساسات اللذيذة التي تنشأ عن أشكال الهزّ الآلي للبدن يلقى تأييداً في هذه الحقيقة وهي أن الأطفال مُغْرَمون كثيراً بالألعاب التي تتضمن حركة سلبية مثل التمرجح ، والقذف بهم في الهواء ، وهم يصرون على تكرار مثل هذه الألعاب بصفة مستمرة[2] . ومن المعروف جيداً أن الهزّ يستخدم عادة لتنويم الأطفال المتململين . وإن الهز الذي ينتج عن ركوب العربات ، والسكك الحديدية فيما بعد يؤثر تأثيراً ممتعاً جداً على الأطفال الكبار إلى درجة أن كل طفل كان يرغب ، على أية حال ، في فترة ما من حياته ، في أن يكون سائق قطار أو سائق عربة . ومن الغريب أن الأولاد يهتمون اهتماماً شديداً غير عادي بالأشياء المتعلقة بالسكك الحديدية ، وأنهم يستخدمون هذه الأشياء ، في السن الذي يكون فيه الخيال أكثر نشاطاً (قبيل البلوغ بقليل) ، كنواة لرموز جنسية على وجه خاص . ومن الواضح أن مثـل هذه العلاقة القهرية بين

---

(١) [انظر ص ١٤٧] .

(٢) يستطيع بعض من الناس أن يتذكروا أنهم كانوا يشعرون أثناء تمرجحهم بلذة جنسية مباشرة من ضغط الهواء المتحرك على أعضائهم التناسلية . [ذكر مثال خاص لذلك في هامش لفقرة في كتاب «تفسير الأحلام» (١٩٠٠ أ ، قريباً من نهاية الفصل الخامس) التي نوقش فيه هذا الموضوع بأكمله (Standard Ed., 4, 272) .]

السفر عن طريق السكة الحديدية وبين الجنس إنما تنشأ عن الطابع اللذيذ لإحساسات الحركة . وفي حالة الكبت الذي يحول كثيراً من اهتمامات الطفل إلى ضدها سيستجيب نفس الأفراد للهز والمرجحة ، حينما يصبحون مراهقين أو راشدين ، بشعور الغثيان ، وستكون رحلة القطار منهكة لقواهم إلى درجة شديدة ، أو سيكونون معرضين لنوبات القلق أثناء الرحلة ، وسيعملون على وقاية أنفسهم من تكرار الخبرة المؤلمة بإظهار الخوف من السفر بالقطار .

ويجب أن نذكر هنا مرة أخرى هذه الحقيقة التي لم تفهم بعد ، وهي أن اجتماع الخوف والرجّ الآلي يسبب العصاب الصدمي الحاد الذي يتخذ صورة الهستيريا . ومن الممكن على الأقل ، أن نفترض أن هذه التأثيرات التي تصبح مصادر للإثارة الجنسية حينما تكون قليلة الشدة ، إنما تؤدي إلى اضطراب شديد في الآلية الجنسية أو في الكيميائية الجنسية[١] إذا كانت مفرطة في شدتها .

النشاط العضلي :

نعرف جميعاً أن الأطفال يشعرون بحاجة إلى مقدار كبير من النشاط العضلي ، وأنهم يشعرون بلذة فائقة جداً من إشباع هذه الحاجة . أما كون هذه اللذة مرتبطة بالجنس ، أو أنها ذاتها تتضمن إشباعاً جنسياً ، أو هل يمكن أن تصبح سبباً للإثارة الجنسية ـ فإن كل ذلك مُعَرَّض للبحث النقدي الذي قد يوجه أيضاً بالفعل إلى الرأي الذي ذكر في الفقرات السابقة والذي يذهب إلى أن اللذة المستمدة من إحساسات الحركة السلبية ذات طبيعة جنسية ، أو قد تحدث إثارة جنسية . ومع ذلك ، ففي الواقع إن كثيراً من الناس يذكرون أنهم خبروا أول علامات

(١) [أضيفت هاتان الكلمتان في ١٩٢٤ .]

التهيج في أعضائهم التناسلية عندما كانوا يتعاركون أو يتصارعون مع زملائهم ـ وهي حالة يوجد فيها ، بالإضافة إلى الجهد العضلي العام ، مقـدار كبير من الاتصال ببشرة الخصم .

إن الميل إلى النضال البدني مع فرد واحد بعينه ، وكذلك الميل إلى الجدل اللفظي في السنوات التالية[1] ، لعلامة مقنعة على أن هذا الفرد قد وقع عليه الاختيار كموضوع . ويبدو أن أحد جذور الغريزة السادية يكمن في تشجيع الإثارة الجنسية على طريق النشاط العضلي . إن العلاقة التي تنشأ أثناء الطفولة بين العراك والإثارة الجنسية هي أحد العوامل التي تحدد الاتجاه الذي ستتخذه الغريزة الجنسية فيما بعد عند كثير من الناس[2] .

العمليات الوجدانية :

إن المصادر الأخرى للإثارة الجنسية عند الأطفال معرضة لشك أقل . فمن السهل أن نؤكد ، سواء بالملاحظة الحالية أو بالبحث اللاحق ، أن جميع العمليات الوجدانية الشديدة نسبياً والتي تتضمن أيضاً العمليات الوجدانية المروِّعة ، إنما تتداخل مع الجنس ـ وهي حقيقة قد تساعد ، بطريقة عرضية ، على شرح التأثير المَرَضي للانفعالات التي من هذا النوع . إن رهبة تلاميذ المدارس من الذهاب إلى الامتحان أو توترهم

(١) «من يحب شخصاً يميل إلى الخصام معه» .

(٢) [هامش أضيف ١٩١٠ :] إن تحليل حالات العجز عن المشي abasia العصاب وحالات خواف الأماكن الفسيحة agoraphobia يزيل كل شك يتعلق بالطبيعة الجنسية للذة الناشئة عن الحركة . إن التربية الحديثة كما نعلم ، تلجأ كثيراً إلى الألعاب لكي تحول انتباه الشباب عن النشاط الجنسي . وقد يكون أقرب إلى الصحة أن نقول إن التربية الحديثة تعتيض لدى الشباب عن اللذة الجنسية باللذة في الحركة ـ وإنها ترغم النشاط الجنسي على الرجوع إلى أحد أجزائها ذات الشبقية الذاتية .

بسبب واجب صعب يمكن أن يكون مهماً لا من حيث تأثيره على علاقات الطفل في المدرسة فحسب ، ولكن أيضاً من حيث أنه يسبب انبثاق المظاهر الجنسية . فكثيراً ما يشعر الطفل في مثل هذه الظروف بتنبيه يحثه على لمس أعضائه التناسلية ، أو قد يحدث شيء شبيه بالاحتلام بكل ما له من نتائج محيرة . إن سلوك الأطفال في المدرسة ، وهو ما يجابه المدرس بكثير من الألغاز ، إنما يستحق ، بصفة عامة ، أن نربطه بحياتهم الجنسية الآخذة في النمو . إن الإثارة الجنسية التي تنتج عن كثير من الانفعالات التي تكون في ذاتها مكدرة ، مثل شعور الخوف ، أو الرعب أو الذعر ، إنما تستمر عند كثير جداً من الناس طوال حياة الرشد . وهذا يفسر ، بلا شك ، لماذا يبحث كثير جداً من الناس عن فرص الشعور بإحساسات من هذا النوع بشرط أن تقوم بعض الظروف الملطفة بتخفيف حدة الشعور المكدر ، كأن يحدث ذلك ، مثلاً ، في عالم الخيال ، أو في كتاب ، أو على المسرح .

وإذا افترضنا أن تأثيراً شبقياً مماثلاً يرتبط كذلك بمشاعر وجدانية شديدة الإيلام ، وعلى الأخص حينما تقوم ظروف مصاحبة بتخفيف حدة الألم أو بإبعاده ، فإننا سنجد هنا أحد الجذور الرئيسية للغريزة المازوكية السادية ، التي نحن الآن في سبيل فهم تعقيداتها الكثيرة بالتدريج [١] .

العمل العقلي :

وأخيراً ، إن من الحقائق الواضحة أن تركيز الانتباه على مهمة

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] اني أشير هنا إلى ما هو معروف بالمازوكية الشبقية » .
(انظر هامش رقم ٣ ص ٧٠ وهامش رقم ١ ص ٧٢) (المترجم)

عقلية والإجهاد العقلي بصفة عامة يحدثان إثارة جنسية مصاحبة عند كثير من الشبان الصغار وكذلك الراشدين . وهذا هو ، بلا شك ، الأساس الوحيد المستساغ لعزو الاضطرابات العصبية إلى « الإفراط في العمل »[1] العقلي ، وهو عزو مشكوك فيه من نواح أخرى .

وإذا قمنا الآن بمراجعة الاقتراحات الاجتهادية التي وضعتها فيما يتعلق بمصادر الإثارة الجنسية الطفلية ، بالرغم من أنني لم أصفها وصفاً كاملاً ، ولم أصنفها تصنيفاً شاملاً ، فإننا نصل إلى النتائج التالية بدرجة من الدقة سواء كانت كبيرة أو غير كبيرة . ويبدو أن جميع الاحتياطات قد اتخذت لبدء عملية التهيج الجنسي ـ ويجب الاعتراف بأن طبيعة هذه العملية ما زالت غامضة جداً بالنسبة لنا . ويتم تحريك هذه العملية في أول الأمر في الأغلب ، وبطريقة مباشرة مباشرة تامة أو غير تامة ، بوساطة إثارات السطوح الحسية ـ البشرة وأعضاء الحس ـ كما يتم ، بطريقة أكثر مباشرة بوساطة تأثير المنبهات على مناطق معينة تعرف بالمناطق الشبقية . إن العنصر الحاسم في هذه المصادر للتهيج الجنسي هو بلا شك **كيفية** المنبهات ، بالرغم من أن عامل الشدة ، في حالة الألم ، ليس قليل الأهمية كلية . ولكن فضلاً عن هذه المصادر ، فإنه توجد في الكائن العضوي بعض الحيل التي تعمل على ظهور الإثارة الجنسية كنتيجة ملازمة لكثير من العمليات الداخلية ، عندما تتجاوز شدة هذه العمليات حدوداً كمية معينة . إن ما سميناه بالغرائز الجزئية للجنس إما يُستمد مباشرة من هذه المصادر الداخلية ، وإما أنها تتكون من عناصر من كل من هذه المصادر والمناطق الشبقية . وقد يكون من

---

(١) [نجد بعض ملاحظات فرويد الأولى في هذا الموضوع في منتصف مقاله الأول عن « الجنس وأسباب الأمراض العصابية (1898a)، ونجد بعض ملاحظاته المتأخرة في هامش بالقسم الثالث من « التحليل المنتهي وغير المنتهي » (1937 c)] .

الممكن أنه لا يقع في الكائن العضوي أمر هام جداً دون أن يسهم بنصيب في إثارة الغريزة الجنسية [١] .

ولا يبدو لي أنه من الممكن في الوقت الحالي أن نضع هذه النتائج العامة بصورة أكثر وضوحاً أو أكثر دقة . وأعتقد أنه يوجد عاملان مسؤولان عن ذلك : أولاً ، حداثة منهج البحث كله في هذا الموضوع . وثانياً ، إن طبيعة التهيج الجنسي بأكملها ليست معروفة لنا كلية . ومع ذلك فإني أميل إلى القيام بملاحظتين تبشران بآمال واسعة في المستقبل :

أ ـ تنوُّع الجبلات الجنسية :

كما إنه من الممكن ، كما رأينا من قبل ، أن نستنتج تعدّد الجبلات الجنسية الفطرية من التنوّع في نمو المناطق الشبقية ، فكذلك نستطيع الآن أن نقوم بمحاولة مماثلة بأن ندخل المصادر **غير المباشرة** للتهيج الجنسي في حسابنا . فمن الممكن أن نفترض أنه بالرغم من أن هذه المصادر تسهم في حالة كل فرد ، إلا أنها ليست بقوة واحدة في جميع الحالات ، وإننا قد نجد في اختلاف نمو المصادر الفردية للتهيج الجنسي مساعدة إضافية لتمايز الجبلات الجنسية [٢] .

ب ـ مسالك التأثيرات المتبادلة :

إذا تركنا الآن التعبير المجازي الذي لجأنا إليه كثيراً في كلامنا عن

---

(١) [ذكر فرويد هذه الفقرة في مقاله عن «المشكلة الاقتصادية في المازوكية» (1924c, Standard Ed., 19, 163) .]

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] من إحدى النتائج الضرورية لهذه الاعتبارات هي أنه يجب أن نعتبر كل فرد كأنه حاصل على شبقية فمية ، وشبقية شرجية ، وشبقية خاصة بمجرى البول ، الخ . . وإن وجود العقد النفسية التي تقابل هذه الأنواع من الشبقية لا يتضمن الحكم بوجود شذوذ أو عصاب . إن الفروق التي تفصل السوي عن الشاذ ترجع فقط إلى القوة النسبية للأجزاء الفردية للغريزة الجنسية ، وإلى طريقة استخدامها أثناء عملية النمو .

« مصادر » التهيج الجنسي ، فإننا سنشك في أن جميع المسالك الممتدة من الوظائف الأخرى إلى الجنس يجب أيضاً أن يكون من الممكن اجتيازها من الاتجاه المضاد . فمثلاً ، إذا كان اشتراك الوظيفتين في الاستيلاء على المنطقة الشفوية هو السبب في ظهور الإشباع الجنسي أثناء تناول الغذاء ، فإن هذا العامل ذاته ، إذن ، سيمكننا أيضاً من فهم لماذا يجب أن تحدث اضطرابات في عملية التغذية إذا كانت الوظائف الشبقية للمنطقة المشتركة مضطربة . وإذا علمنا أيضاً أن تركيز الانتباه قد يحدث تهيّجاً جنسياً ، فإنه يبدو من المعقول أن نفترض أنه باستخدام الطريق ذاته ، ولكن في اتجاه مضاد ، يمكن أن تؤثر حالة التهيج الجنسي في إمكان توجيه الانتباه . إن جزءاً كبيراً من أعراض الأمراض العصابية التي أرجعتها إلى اضطرابات في العمليات الجنسية ، يظهر في اضطرابات وظائف أخرى بدنية غير جنسية . وهذا الأمر الذي لم يكن حتى الآن مفهوماً ، إنما يصبح أقل مدعاة للحيرة ، إذا كان هو فقط الوجه الآخر للمؤثرات التي تحدث التهيج الجنسي[1] .

ومع ذلك ، فإن هذه المسالك ذاتها ، التي تمتد خلالها الاضطرابات الجنسية إلى الوظائف البدنية الأخرى ، تقوم حتماً بوظيفة هامة أخرى في الصحة السوية . فهي تستخدم حتماً كمسالك لجذب القوى الغريزية الجنسية إلى أهدافها غير الجنسية ، أي لإعلاء الجنس . ولكن يجب أن نختم باعتراف وهو أننا لا نعرف حتى الآن إلا قليلاً جداً من المعلومات اليقينية عن هذه المسالك ، برغم أنها موجودة على وجه التأكيد ، وربما يمكن اجتيازها من كلا الاتجاهين .

---

(١) [أبدى فرويد هذا الرأي ، فيما يتعلق باضطرابات البصر ، في مقاله عن : «رأي تحليلي نفسي في اضطرابات البصر النفسية المنشأ» (1910i), Standard Ed., 11, 215-17.) .]

الرِّسالة الثّالِثة

تحوّلاتُ البُلوغ

تحولات البلوغ

تحدث مع حلول البلوغ تغيرات يُقدَّر لها أن تعطي الحياة الجنسية الطفلية صورتها السوية النهائية . وقد كانت الغريزة الجنسية حتى الآن يغلب عليها الطابع الشبقي الذاتي ؛ أما الآن فهي تجد موضوعاً جنسياً . وقد كان نشاطها حتى الآن مستمداً من عدد من الغرائز المستقلة والمناطق الشبقية التي كانت تسعى كل واحدة منها ، مستقلة عن الأخرى ، وراء نوع معين من اللذة باعتبارها هدفها الجنسي الوحيد . أما الآن فيظهر هدف جنسي جديد ، وتتحد جميع الغرائز الجزئية للحصول عليه ، بينما تصبح المناطق الشبقية خاضعة لأولية المنطقة التناسلية[1] . ولما كان الهدف الجنسي الجديد يعطي كلاًّ من الجنسين وظائف مختلفة جداً ، فإن النمو الجنسي لكل منهما يأخذ الآن في الاختلاف عن الآخر اختلافاً كبيراً . ويكون النمو الجنسي للذكور أكثر انتظاماً وأكثر معقولية ، بينما يدخل النمو الجنسي للبنات في نوع من الانكماش . ويكون حدوث الحياة الجنسية السوية أمراً مضموناً فقط إذا تلاقى التياران المتجهان نحو الموضوع

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] تهدف الصورة التخطيطية التي ذكرتها في النص إلى توكيد الفروق . ولقد سبق أن بينت في ص ١٢٧ ، ١٢٨ مقدار اقتراب الجنس لدى الطفل من التنظيم الجنسي النهائي بسبب اختياره للموضوع [إضافة في ١٩٢٤ :] ونمو المرحلة القضيبية .

الجنسي والهدف الجنسي ، أي التيار الوجداني والتيار الشهواني . (يتضمن التيار الأول ، وهو الوجداني ، ما يتبقى من ازدهار الجنس أثناء الطفولة)[1] . إنه أشبه بحفر نفق في تل من كلا الناحيتين .

ويتكون الهدف الجنسي الجديد عند الرجال من تفريغ الإفرازات الجنسية . وليس الهدف الجنسي القديم ، وهو الحصول على اللذة ، غريباً عن الهدف الجنسي الجديد ؛ بل على العكس ، لقد ارتبطت أعلى درجة من اللذة بهذا الفعل الأخير من العملية الجنسية . وتخضع الآن الغريزة الجنسية لوظيفة التناسل ؛ فهي تصبح ، إن جاز التعبير ، إيثارية . ولكي يتم هذا التحوّل بنجاح ، يجب أن تراعى في العملية الاستعدادات الأصلية وجميع خصائص الغرائز الأخرى . وكما يحدث في أية مناسبة أخرى يجب فيها أن يقوم الكائن العضوي بحق بتأليفات وتوافقات جديدة تؤدي إلى آليات معقدة ، فإنه يكون من المحتمل هنا أيضاً أن تحدث اضطرابات مَرَضية إذا لم تنفذ هذه الترتيبات الجديدة . إن كل اضطراب مَرَضي في الحياة الجنسية يستحق أن يعتبر كأنه كفّ للنمو .

أوليَّة المناطق التناسلية واللذة التمهيدية[2]

من الممكن أن نرى بوضوح نقطة البداية والهدف النهائي للعملية التي وصفتها . ولكن الخطوات المتوسطة لا زالت غامضة من نواح كثيرة .

---

(١) [هذه الجملة كما أضيفت في ١٩٢٠ .]

(٢) [اللذة التمهيدية fore-pleasure هي اللذة التي تسبق اللذة النهائية end-pleasure التي تحدث في نهاية العملية الجنسية . وفي مراحل النمو الجنسي السابقة للمرحلة التناسلية تكون اللذة الصادرة عن المناطق الشبقية لذة نهائية . أما في المرحلة التناسلية التي تخضع فيها المناطق الشبقية لأولية المنطقة التناسلية ، تصبح اللذة الصادرة عن المناطق الشبقية لذة تمهيدية .]
(المترجم)

وسنضطر أن نترك أكثر من خطوة منها كأنها لغز لم يحل بعد .

وقد اخترت أوضح العمليات التي تحدث أثناء البلوغ على اعتبار أنها تكون جوهره : النمو الواضح للأعضاء التناسلية الخارجية . (وعلى العكس من ذلك ، تتميز مرحلة الكمون أثناء الطفولة بتوقف نسبي في نموها) . وفي هذه الأثناء يتقدم نمو الأعضاء التناسلية الداخلية تقدماً كبيراً بحيث تصبح قادرة على تفريغ الإفرازات الجنسية ، أو على تكوين كائن حي جديد ، على حسب ما تقتضيه الحالة . وهكذا أصبح على أهبة الاستعداد جهاز معقد غاية التعقيد ، وهو ينتظر اللحظة التي يدفع فيها إلى العمل .

وتقوم المنبهات بدفع هذا الجهاز إلى العمل ، وتبين لنا الملاحظة أن المنبهات يمكن أن تقع عليه من اتجاهات ثلاثة : من العالم الخارجي عن طريق إثارة المناطق الشبقية التي أصبحت معروفة لنا الآن ، ومن داخل البدن عن طرق لا زلنا في حاجة إلى استطلاعها ، ومن الحياة العقلية التي هي في ذاتها عبارة عن مخزن للانطباعات الخارجية ومركز استقبال للتنبيهات الداخلية . وتحدث جميع هذه الأنواع الثلاثة من المنبهات تأثيراً واحداً ، وهو حالة توصف بأنها « تهيج جنسي » ، وهي تعبر عن نفسها بنوعين من العلامات ، عقلية وبدنية . وتتكون العلامات العقلية من شعور غريب بحالة توتر له خاصية الإلحاح الشديد للغاية ؛ ومن بين العلامات البدنية الكثيرة نجد أولاً وفي المقام الأول مجموعة من التغيرات التي تحدث في الأعضاء التناسلية ، والتي لها معنى واضح وهو أنها عبارة عن تمهيد للفعل الجنسي ـ انتصاب عضو الذكر وتزليق المهبل .

التوتر الجنسي :

تثير خاصة التوتر المصاحبة للتهيج الجنسي مشكلة صعبة الحل ، كما أنها مهمة في مساعدتنا على فهم العمليات الجنسية . وبالرغم من

اختلاف الآراء في هذا الموضوع بين علماء النفس ، إلا أنه من الواجب أن أؤكد أن شعور التوتر يتضمن بالضرورة خاصية الكَدَر . وما يبدو لي أنه أمر حاسم هو أن شعوراً من هذا النوع يكون مصحوباً بإجبار على إحداث تغيير في الموقف السيكولوجي ، وأنه يعمل بطريقة ملحة تختلف كلية عن طبيعة الشعور باللذة . ولكننا إذا اعتبرنا توتر التهيج الجنسي شعوراً مكدراً ، فإننا سنجابه في الحال هذه الحقيقة وهي أنه أيضاً بلا شك شعور لذيذ . إن التوتر الذي تحدثه العمليات الجنسية يكون مصحوباً بلذة في كل حالة ، وحتى في التغيرات التمهيدية التي تحدث في الأعضاء التناسلية يشاهد بوضوح نوع من الشعور بالمتعة . فكيف ، إذن ، يمكن أن نوفق بين هذا التوتر المكدر وهذا الشعور باللذة ؟

إن كل ما يتعلق بمشكلة اللذة والكدر يمس نقطة من أضعف النقط في علم النفس المعاصر . وسأحاول أن أتعلم كل ما يمكن تعلمه من ظروف الحالة التي نتناولها الآن ، ولكنني سأتجنب بحث المشكلة بأكملها[1] .

دعنا نبدأ بإلقاء نظرة على الطريقة التي تتوافق بها المناطق الشبقية للتنظيم الجديد . إن على هذه المناطق الشبقية أن تقوم بدور هام في إحداث الإثارة الجنسية . ولعل العين هي المنطقة التي تكون أبعد المناطق عن الموضوع الجنسي ، ولكنها المنطقة التي تكون عرضة دائماً للتأثر ، في موقف التودد للموضوع ، بكيفية التأثير الخاصة التي نصف ما يسببها بالجمال حينما يوجد في موضوع جنسي . (ولهذا السبب ذاته توصف فضائل الموضوع الجنسي بأنها « جاذبية »)[2] . ويكون هذا التنبيه ،

(١) [هامش أضيف في ١٩٢٤ :] لقد قمت بمحاولة لحل هذه المشكلة في الجزء الأول من مقالي عن « المشكلة الاقتصادية في المازوكية » 1924c]

(٢) [انظر هامش ٢ ص ٦٩ .]

من جهة ، مصحوباً باللذة ؛ وهو يؤدي ، من جهة أخرى ، إلى زيادة التهيج الجنسي أو إلى إيجاد هذا التهيج إذا لم يكن قد وجد بعد . فإذا انتشرت الإثارة الآن إلى منطقة شبقية أخرى ـ إلى اليد مثلاً عن طريق الإحساسات اللمسية ـ فإن النتيجة تكون واحدة : فمن جهة ، شعور باللذة ، ويزداد هذا الشعور بسرعة بسبب اللذة الصادرة عن التغيرات التمهيدية[1] ، ومن جهة أخرى ، زيادة في التوتر الجنسي ، وهو سرعان ما يتحول إلى كدر واضح جداً إذا لم يصاحبه مزيد من اللذة . ولعل الأمر يكون أكثر وضوحاً بذكر مثال آخر . إذا نبه اللمس منطقة شبقية (مثل بشرة صدر المرأة) عند شخص لا يكون متهيجاً من الناحية الجنسية ، لأحدث هذا اللمس شعوراً لذيذاً . ولكن هذا الشعور اللذيذ هو في نفس الوقت أكثر الأشياء مدعاة لإثارة تهيج جنسي ، ويأخذ هذا التهيج الجنسي في المطالبة بمزيد من اللذة . إن المشكلة هي كيف يتأتى للخبرة باللذة أن تولّد الحاجة إلى لذة أكبر .

آلية اللذة التمهيدية :

إن الدور الذي تقوم به المناطق الشبقية في هذا الصدد واضح جداً . وإن ما هو صحيح بالنسبة لإحداها صحيح أيضاً بالنسبة لها جميعاً .فهي تستخدم جميعاً للحصول على مقدار معين من اللذة بأن تنبه بالطريقة الملائمة لها . ثم تؤدي هذه اللذة إلى زيادة التوتر الذي يكون بدوره مسؤولاً عن إيجاد الطاقة الحركية الضرورية لإتمام الفعل الجنسي . إن المرحلة قبل الأخيرة من هذا الفعل هي ، مرة أخرى ، حدوث التنبيه الملائم لمنطقة شبقية (المنطقة التناسلية ذاتها ، في حشفة القضيب) عن طريق الموضوع الملائم (الغشاء المخاطي للمهبل) . وتحدث الطاقة الحركية

---

(١) [في الأعضاء التناسلية .]

ـ عن طريق الفعل المنعكس هذه المرة ـ عن اللذة الصادرة عن هذه الاستثارة ، وتؤدي هذه الطاقة الحركية إلى تفريغ المواد الجنسية . وهذه اللذة الأخيرة هي الأقصى في الشدة ، وهي تختلف عن اللذة السابقة من حيث الآلية . إنها تحدث كلية عن التفريغ : فهي كلها لذة إشباع ، وبحدوثها يزول توتر الليبدو في ذلك الوقت .

إني أعتقد أن هذا التمييز بين نوع اللذة التي تنشأ عن استثارة المناطق الشبقية وبين النوع الآخر الذي ينشأ عن تفريغ المواد الجنسية يستحق أن نضعه في صورة أكثر تحديداً باستخدام اسمين مختلفين . ولعله يكون من الأوفق أن نصف اللذة الأولى بأنها « لذة تمهيدية » في مقابل « اللذة النهائية » أو لذة الإشباع المستمدة من الفعل الجنسي . إن اللذة التمهيدية ، إذن ، هي اللذة ذاتها التي كانت تصدر من قبل عن الغريزة الجنسية الطفلية ، ولكن بدرجة أقل ؛ أما اللذة النهائية فهي شيء جديد ، ولذلك يحتمل أن تكون مشروطة بالظروف التي لا تظهر إلا عند البلوغ . وتصبح قاعدة الوظيفة الجديدة للمناطق الشبقية ، إذن ، كالآتي : إنها تستخدم من أجل إمكان إحداث مقدار أكبر من لذة الإشباع عن طريق اللذة التمهيدية التي يمكن أن تستمد منها (كما كان الأمر أثناء الحياة الطفلية) .

وقد استطعت حديثاً أن ألقي الضوء على مثال آخر ـ في ناحية من الحياة العقلية مختلفة كل الاختلاف ـ من الشعور الخفيف باللذة التي تجعل من الممكن ، بمثل هذه الطريقة ، الحصول على مقدار أكبر من اللذة الناتجة ، والتي تكون لذلك بمثابة « مكافأة حافزة » . وقد استطعت في هذه المناسبة ذاتها أن أتعمق كثيراً في طبيعة اللذة[1] .

---

(١) انظر مؤلفي عن « النكت وعلاقتها باللاشعور » الذي صدر في ١٩٠٥ [قريباً من نهاية الفصل الرابع] . وتستخدم « اللذة التمهيدية » التي تستمد من فن النكتة في إطلاق لذة أكبر تستمد من التخلص من الكف الداخلي. [في مقالة تالية عن « الكتابة الإبداعية » (1908e) عزى فرويد آلية مماثلة إلى اللذة الجمالية .]

أخطار اللذة التمهيدية :

إن العلاقة بين اللذة التمهيدية والحياة الجنسية الطفلية تصبح أكثر وضوحاً بسبب الدور الذي يمكن أن تقوم به في إحداث المرض . فمن الممكن أن يتعرض بلوغ الهدف الجنسي السوي للخطر بشكل واضح بسبب الآلية التي تتضمن اللذة التمهيدية . ويظهر هذا الخطر إذا حدث في أية نقطة في العمليات الجنسية التمهيدية إن كانت اللذة التمهيدية أكبر من اللازم ، وكان عنصر التوتر أصغر من اللازم . ففي هذه الحالة يتلاشى الدافع نحو مواصلة العملية الجنسية ، ويختصر الطريق كله ، ويأخذ الفعل التمهيدي المعيّن يحل محل الهدف الجنسي السويّ . وقد بينت لنا خبرتنا أن الشرط الضروري لحدوث هذا الخطر هو قيام المنطقة الشبقية التي يعنيها الأمر أو الغريزة الجزئية المقابلة بالإسهام من قبل بمقدار غير عادي من اللذة أثناء الطفولة . فإذا تدخلت في الأمر بعد ذلك عوامل أخرى يكون من شأنها أن ترجح حدوث تثبيت ، فإنه يكون من السهل أن يظهر في السنوات التالية من الحياة نوع من القهر الذي يقاوم ضم هذه اللذة التمهيدية الخاصة إلى النظام الجديد . وتحدث على هذا النحو ، في الحقيقة ، آلية كثير من الانحرافات التي هي عبارة عن تباطؤ عند الأفعال التمهيدية للعملية الجنسية .

وقد تتهيأ ظروف أفضل لتجنب هذا الفشل في وظيفة الآلية الجنسية بسبب اللذة التمهيدية إذا حدث أيضاً أثناء الطفولة اتجاه نحو أولية الأعضاء التناسلية . وفي الحقيقة تبدو الأمور كأنها مرتبة بحيث تؤدي إلى ذلك في النصف الثاني من الطفولة (من سن الثامنة إلى البلوغ) . ففي أثناء هذه السنوات تسلك المناطق التناسلية بنفس الطريقة التي تتبعها أثناء النضج ؛ فهي تصبح مركز إحساسات الاستثارة والتغيرات التمهيدية كلما حدث شعور باللذة من إشباع المناطق الشبقية الأخرى ، بالرغم من أن هذه النتيجة لا تزال بدون غرض ـ أي أنها لا تسهم بأي شيء

نحو استمرار العملية الجنسيـة . فيوجد إذن في الطفولة ، بالإضافة إلى لذة الإشباع ، قدر معين من التوتر الجنسي ، بالرغم من أنه أقل ثباتاً وأقل كمية . ونستطيع الآن أن نفهم لماذا كنا محقين ، أثناء مناقشتنا لمصادر الحياة الجنسية ، في أن نقول عن عملية معينة إنها كانت تؤدي إلى إشباع جنسي أو إلى إثارة جنسية [١] . ومن الممكن أن نلاحظ أننا ابتدأنا في البحث بالمغالاة في التمييز بين الحياة الجنسية الطفلية والحياة الجنسية الناضجة ، وأننا نقوم الآن بوضع الأمور في نصابها . إن المظاهر الطفلية للحياة الجنسية لا تحدد الانحرافات عن الحياة الجنسية السوية فحسب ، وإنما تحدد أيضاً صورتها السوية .

مشكلة التهيج الجنسي

لا زلنا في جهل تام فيما يتعلق بمصدر وطبيعة التوتر الجنسي الذي يظهر في نفس الوقت مع اللذة عندما يحدث إشباع للمناطق الشبقية [٢] . إن التفسير الذي يبدو أكثر وضوحاً ، وهو إن هذا التوتر يصدر على نحو ما عن اللذة ذاتها ، ليس فقط تفسيراً بعيد الاحتمال جداً في ذاته ، وإنما هو أيضاً تفسير لا يمكن الدفاع عنه إذا عرفنا أنه فيما يتعلق بأعظم اللذات جميعاً ، وهي اللذة التي تصاحب تفريغ الإفرازات الجنسية ، لا يحدث

---

(١) [انظر ص ١٣١ .]

(٢) من الأمور التي لها دلالة كبيرة أن اللغة الألمانية تراعي في استخدامها لكلمة "Lust" الدور الذي تقوم به التهيجات الجنسية التمهيدية التي تحدث في نفس الوقت ، كما شرحنا سابقاً ، جزءاً من الإشباع كما تسهم بنصيب في التوتر الجنسي . ان لكلمة "Lust" معنيين ، وهي تستخدم لوصف الإحساس بالتوتر الجنسي ("Ich habe Lust" = «اني أود» ، «إني أشعر بدافع نحو») ، كما تستخدم لوصف شعور الإشباع . [انظر هامش ٣ ص ٣٨ .]

توتر ، بل على العكس ، يزول كل توتر . وعلى ذلك فمن الممكن فقط أن ترتبط اللذة والتوتر الجنسي بطريقة غير مباشرة .

الدور الذي تقوم به المواد الجنسية :

وفضلاً عن أن تفريغ المواد الجنسية هو فقط الذي يؤدي عادة إلى إنهاء التهيج الجنسي ، إلا أنه توجد نقط اتصال أخرى بين التوتر الجنسي وبين الإفرازات الجنسية . ففي حالة الرجل الذي يعيش عيشة عفيفة ، يقوم الجهاز الجنسي ، في فترات مختلفة ولكنها لا تكون غير محكومة بقواعد ، بتفريغ المواد الجنسية أثناء الليل في مصاحبة شعور لذيذ ، وفي أثناء حلم تحدث فيه هلوسة تتعلق بعملية جنسية . ومن الصعب فيما يتعلق بهذه العملية (الاحتلام) أن نتجنب هذه النتيجة وهي أن التوتر الجنسي الذي ينجح في استخدام الطريق المختصر الذي تهيؤه الهلوسة كبديل للفعل الجنسي ذاته ، إنما هو ناتج عن تراكم المني في الحويصلات التي تحتوي على الإفرازات الجنسية . وإن خبرتنا فيما يتعلق بإجهاد الآلية الجنسية لتؤيد هذه النتيجة . فإذا استنزف مخزن المني ، فإنه لا يصبح فقط من المستحيل القيام بالفعل الجنسي ، بل تنتهي أيضاً قابلية المناطق الشبقية للتنبيه ، كما أن تنبيهها بطريقة ملائمة لم يعد بعد يؤدي إلى الشعور بأية لذة . وهكذا نتعلم بطريقة عرضية أنه من الضروري وجود درجة معينة من التوتر الجنسي حتى لحدوث الإثارة في المناطق الشبقية .

ويبدو أن ذلك يؤدي إلى الفرض الذائع الانتشار ، إن لم أكن مخطئاً ، وهو الفرض الذي يذهب إلى أن تراكم المواد الجنسية يسبب التوتر الجنسي ويعمل على استمراره . ومن الممكن أن نفترض أن ضغط هذه الإفرازات على جدران الحويصلات التي تحتوي عليها يعمل كمنبه لمركز في النخاع الشوكي ، وإن المراكز العليا تدرك هذا التنبيه ، فتقوم بدورها بإظهار إحساس التوتر المألوف في الشعور . فإذا أدت إثارة المناطق

الشبقية إلى زيادة التوتر الجنسي ، فإن ذلك يمكن أن يحدث فقط على افتراض أن هذه المناطق مرتبطة بهذه المراكز بارتباطات تشريحية تكونت من قبل ، وأنها تؤدي إلى زيادة توتر الإثارة فيها ، وأنها تقوم ببدء تحريك الفعل الجنسي إذا كان التوتر الجنسي كافياً ، أما إذا كان غير كاف ، فإنها تحفِزه على إنتاج المواد الجنسية[١] .

ويرجع ضعف هذه النظرية ، التي نجد أن كرافت ـ إبينج ، مثلاً ، قد قبلها في تفسيره للعمليات الجنسية ، إلى أنها مع كونها قد وضعت لتفسير النشاط الجنسي للذكور الراشدين ، إلا أنها لا تفسر ثلاث مجموعات من الحالات التي كان يجب أن تكون قادرة على تفسيرها أيضاً . وهذه الحالات هي الحالات المشاهدة بين الأطفال ، وبين الإناث ، وبين الذكور المخصيين . فإننا لا نستطيع أن نتكلم في أية حالة من هذه الحالات الثلاث عن تراكم الإفرازات الجنسية بنفس المعنى الذي ينطبق على الذكور ، وهذا يجعل من الصعب تطبيق النظرية تطبيقاً عاماً . ومع ذلك ، فمن الممكن أن نسلم في الحال بأنه من الممكن أن نجد بعض الوسائل لجعل هذه النظرية تنطبق أيضاً على هذه الحالات . وعلى أية حال ، فمن الواجب أن نكون حذرين من تحميل عامل تراكم الإفرازات الجنسية عبئاً أكبر مما يستطيع أن يتحمل .

أهمية الأعضاء الجنسية الداخلية :

يبدو أن الملاحظات التي أجريت على الذكور المخصيين تبين أن التهيج الجنسي يمكن أن يحدث مستقلاً إلى درجة كبيرة عن إنتاج المواد الجنسية . فقد يحدث أحياناً أن تفشل عملية الإخصاء في الحد من

---

(١) [لقد ناقش فرويد هذا الفرض من قبل في القسم الثالث من مقالته الأولى عن عصاب القلق (1895b) .]

الليبدو ، بالرغم من أن هذا الحد هو النتيجة العادية ، وهو الدافع إلى إجراء العملية . وفضلاً عن ذلك ، فإنه من المعروف منذ فترة طويلة أن الأمراض التي تقضي على إنتاج الخلايا الجنسية الذكرية لا تضعف من ليبدو المريض وقدرته[1] ؛ بالرغم من أنه قد أصبح الآن عقيماً . فليس هناك ، إذن ، ما يدعو إلى الدهشة كما تصوّر ريجر Rieger [١٩٠٠] ، إذا وجدنا أنه ليس لفقد الغدد الجنسية الذكرية عند راشد ما أي أثر على سلوكه العقلي[2] . وحقاً إنه إذا جرى االإخصاء في سن مبكرة قبل البلوغ ، فإنه يقرب في نتائجه من إزالة الصفات الجنسية ؛ ولكنه من الممكن أيضاً أن يحدث هنا ، بالإضافة إلى فقدان الغدد الجنسية بالفعل ، كفّ (مرتبط بهذا الفقدان) في نمو عوامل أخرى .

النظرية الكيميائية :

إن التجارب التي قامت بإزالة الغدد الجنسية (الخصيتين والمبيضين) من الحيوانات ، وبتطعيم غدد جنسية لحيوانات من الجنس المقابل[3] في بعض الحيوانات الفقرية ، قد ألقت أخيراً بعض الضوء على مصدر التهيج الجنسي ، وقللت أيضاً في نفس الوقت من أهمية احتمال تراكم الإفرازات الجنسية الخلوية . فلقد أصبح من الممكن أن نحوّل بالتجريب

---

(١) [أضيفت هذه الجملة في ١٩٢٠ .]

(٢) [تأتي الجملة التالية في هذا الموضع في الطبعات السابقة لطبعة ١٩٢٠ التي فيها حذفت : «لأن الغدد الجنسية لا تكوّن الجنس ، وإن الملاحظات التي أجريت على الذكور المخصيين إنما تؤيد فحسب ما سبق أن بينه منذ أمد بعيد استئصال المبيضين ـ أي أنه من المستحيل إزالة الخصائص الجنسية باستئصال الغدد الجنسية» . وقبل ١٩٢٠ أيضاً ، ابتدأ النصف الثاني من الجملة التالية كما يلي : «لكن يبدو أن المهم هنا ليس هو الفقدان الفعلي للغدد الجنسية ، وإنما هو كف ...» .]

(٣) قارن أبحاث ليبشوتز (١٩١٩) التي أشرنا إليها في ص ٥٥ .

(إ. سيتناخ E. Steinach) ذكراً إلى أنثى ، وأن نحوّل بالعكس أنثى إلى ذكر . ويتغير السلوك النفسي الجنسي لدى الحيوان في هذه التجارب وفقاً للصفات الجنسية البدنية ، وهو يتغير معها في نفس الوقت . ويبدو مع ذلك ، أن هذا العامل المؤثر المحدد للجنس لا يُعْزى إلى ذلك الجزء من الغدد الجنسية الذي يولد الخلايا الجنسية الخاصة (الحيوانات المنوية والبويضات) ، ولكنه يُعْزى إلى نسيجها المتخلل الذي كان موضع توكيد خاص حيث وصف في البحوث السابقة بأنه « غدة البلوغ » . ومن المحتمل جداً أن يبين مزيد من البحث أن لغدة البلوغ هذه استعداداً خنثوياً في العادة . وإذا كان ذلك صحيحاً ، لكان من الممكن أن نجد أساساً تشريحياً لنظرية الثنائية الجنسية عند الحيوانات العليا . ومن المحتمل أيضاً ألا تكون غدة البلوغ هي العضو الوحيد المختص بإحداث التهيج الجنسي والصفات الجنسية . وعلى أية حال ، فإن ما نعرفه من قبل عن الدور الذي تقوم به الغدة الدرقية في الجنس ليتفق مع هذا الاكتشاف البيولوجي الجديد . فيبدو من المحتمل ، إذن ، أن بعض المواد الكيميائية الخاصة تتكون في الجزء المتخلل من الغدد الجنسية ؛ ثم تنتقل هذه المواد الكيميائية إلى مجرى الدم وتؤدي إلى شحن بعض الأجزاء الخاصة من الجهاز العصبي المركزي بالتوتر الجنسي . (إننا نعرف من قبل أن بعض المواد السامة الأخرى التي تدخل إلى البدن من الخارج يمكن أن تؤدي إلى تحويل مماثل من حالة سامة إلى منبه يؤثر في عضو معيّن) . أما كيف يحدث التهيج الجنسي عن تنبيه المناطق الشبقية عندما يكون الجهاز المركزي مشحوناً بالفعل من قبل ، وما هو نوع التفاعل الذي يحدث أثناء هذه العمليات الجنسية بين نتائج المنبهات السامة البحتة وبين نتائج المنبهات الفسيولوجية ـ فهما سؤالان لا يمكن الإجابة عليهما بما لدينا من معلومات في الوقت الحاضر ، حتى ولو بطريقة افتراضية . فمن الواجب أن نكتفي بالتمسك الشديد بما هو أساسي في هذا الرأي الخاص بالعمليات الجنسية :

الفرض الذي يقول إن مواداً من نوع خاص تتكون من الأيض الجنسي[1]. وذلك لأن هذا الفرض ، الذي يبدو تحكمياً في ظاهره ، إنما يجد تأييداً من حقيقة كانت تحظى بقليل من الانتباه ، ولكنها تستحق أن نوليها أكبر

(١) [يرجع تاريخ ظهور هذه الفقرة بأكملها - في صورتها الحالية - حتى هذه النقطة إلى ١٩٢٠ . وفي الطبعة الأولى (١٩٠٥) والطبعتين التاليتين ظهرت الفقرة التالية بدلاً منها : «والحقيقة هي أننا لا نستطيع إعطاء معلومات عن طبيعة التهيج الجنسي ولا سيما أننا (بعد أن وجدنا أن أهمية الغدد الجسية في هذا الصدد قد بولغ في تقديرها) في جهل فيما يتعلق بالعضو أو الأعضاء التي يرتبط بها الجنس . فبعد الاكتشافات المدهشة فيما يتعلق بالدور الهام الذي تقوم به العدة الدرقية في الجنس ، يصبح من المعقول أن نرتاب في أننا لا زلنا نجهل العوامل الأساسية في الحس . إن كل من يشعر بالحاجة إلى فرض مؤقت لملء الثغرة الواسعة في معرفتنا يمكن أن يتخذ المواد القوية التي اكتشف وجودها في الغدة الدرقية نقطة بدايته ، ويمكن أن يتتبع مثل الخطوط التالية . فيمكن أن نفترض أنه - كنتيجة لتنبيه ملائم لمناطق شبقية ، أو في ظروف أخرى تكون مصطحبة ببداية التهيج الجنسي - أن بعض المواد المنتشرة عامة في جميع الكائن الحي تصبح متحللة . وأن منتجات تحللها تحدث منبهاً خاصاً يؤثر في الأعضاء التناسلية ، أو في مركز بالنخاع الشوكي يكون مرتبطاً بها (من المألوف لدينا من قبل أن المواد السامة الأخرى التي تدخل الجسم من الخارج يمكن أن تحدث تحولاً مماثلاً من حالة تسمم إلى منبه يؤثر في عضو معين .) إن التساؤل الخاص بما هو نوع التفاعل الذي ينشأ أثناء العمليات الجنسية بين آثار المنبهات السامة البحتة وآثار المنبهات الفسيولوجية ، لا يمكن تناوله ، ولو بطريقة افتراضية ، بما لدينا من معلومات في الوقت الحالي . ويمكنني أن أضيف أنني لا أعلق أهمية على هذا الفرض الخاص ، وينبغي أن أكون مستعداً للتخلي عنه فوراً لصالح فرض آخر ، بشرط أن تبقى طبيعته الأساسية بدون تغيير - أي التوكيد على الكيمياء الجنسية .» وإنه جدير بالملاحظة كم كان صعيراً التعديل الذي كان من الضروري إدخاله في نظرية فرويد باكتشاف الهرمونات الجنسية التي كان قد استبق الكشف عنها ، حقاً ، ليس في ١٩٠٥ فحسب ، وإنما قبل ذلك ، وعلى الأقل في ١٨٩٦ ، كما يمكن أن نرى من رسالتيه إلى فليس في الأول من مارس ،وفي الثاني من ابريل من ذلك العام (الرسالتان رقم ٤٢ و ٤٤ "Freud, 1950a" ، ثم قام بمزيد من التوكيد على أهمية العامل الكيميائي في مقالته الثانية عن الدور الذي يقوم به الجنس في الأمراض العصابية ، والتي نشرت في حوالي نفس الوقت الذي نشرت فيه الطبعة الأولى من كتاب «ثلاث رسائل في نظرية الجنس» ،.1906a, Standard Ed) 7, 279) .]

اهتمام . إن الأمراض العصابية التي يمكن أن تنشأ فقط عن اضطرابات في الحياة الجنسية ، تشبه أعظم الشبه من الناحية الإكلينيكية ظواهر التسمم والامتناع التي تنشأ عن تعود تناول المواد السامة الباعثة للذة (شبه القلويات) .

نظرية الليبدو [1]

إن المفاهيم التي وضعناها لتساعدنا على تناول المظاهر النفسية للحياة الجنسية تتفق اتفاقاً تاماً مع هذه الفروض التي تتعلق بالأساس الكيميائي للتهيج الجنسي . لقد عرفنا مفهوم الليبدو بأنه قوة متغيرة من حيث الكم يمكن استخدامها كمقياس للعمليات والتحوّلات التي تحدث في مجال التهيج الجنسي . ونحن نميز هذا الليبدو فيما يتعلق بمصدره الخاص عن الطاقة التي يجب أن نفترض وجودها في أساس العمليات العقلية عامةً ، وبالتالي فنحن ننسب إليه أيضاً خاصية **كيفية** . ونحن بتمييزنا على هذا النحو بين الطاقة الليبدية وبين الصور الأخرى للطاقة النفسية إنما نعبر عن الفرض الذي يرى أن العمليات الجنسية التي تحدث في الكائن الحي تتميز عن العمليات الغذائية بكيميائية خاصة . لقد بين لنا تحليل الانحرافات والأمراض العصابية أن هذا التهيج الجنسي لا يصدر عما يسمى بالأجزاء الجنسية وحدها ، وإنما يصدر عن جميع الأعضاء البدنية . وهكذا نصل إلى فكرة كمية من الليبدو التي نسمي ممثلها العقلي « ليبدو ـ الأنا » ، والتي يجب أن يمدنا توليدها ، وزيادتها أو نقصها ، وتوزيعها ، ونقلها بإمكانات لتفسير الظواهر النفسية الجنسية التي نشاهدها .

---

(1) [هذا القسم بأكمله ، فيما عدا الفقرة الأخيرة منه ، يرجع تاريخه إلى ١٩١٥ . إنه يعتمد أساساً على مقالة فرويد عن النرجسية (1914c) .]

ومع ذلك ، فإن « ليبدو ـ الأنا » هذا يمكن أن يخضع فقط للدراسة التحليلية بطريقة ملائمة حينما يستخدم في شحن الموضوعات الجنسية ، أي حينما يصبح « ليبدو ـ الموضوع » . إننا نستطيع ، إذن ، أن نراه وهو يتركز في الموضوعات[1] ، ويتثبت فيها أو يهجرها ، وينتقل من موضوع إلى آخر ، ويقوم من هذه المواقف بتوجيه النشاط الجنسي للفرد ، ذلك النشاط الذي يؤدي إلى الإشباع ، أي إلى انطفاء اللبيدو انطفاء جزئياً ووقتياً . ويمدنا التحليل النفسي لما يسمى بحالات عصاب التحويل[2] (الهستيريا والعصاب القهري) باستبصار واضح في هذه النقطة .

ونستطيع أن نتتبع لبيدو ـ الموضوع في تغيرات أخرى . فهو حينما يسحب من الموضوعات، يبقى معلقاً في حالات خاصة من التوتر ، ثم يرتد في نهاية الأمر إلى الأنا بحيث يصبح لبيدو ـ الأنا مرة أخرى . ونحن نسمي لبيدو ـ الأنا أيضاً « باللبيدو النرجسي »[3] في مقابل لبيدو ـ الموضوع . ونحن نستطيع أن ننظر من المركز الممتاز الذي يهيؤه لنا التحليل النفسي ـ عبر حد لا يمكن اجتيازه ـ إلى أنشطة اللبيدو النرجسي ، وقد نكوّن فكرة ما عن العلاقة القائمة بينه وبين لبيدو ـ

---

(١) [ليست هناك ضرورة البتة لكي نشرح أن فرويد ، عندما يتكلم عن اللبيدو المتركز على « الموضوعات » أو المنسحب من « الموضوعات » ، الخ ؛ في هذه الحالة أو في غيرها ، إنما يفكر في التصورات الذهنية للموضوعات ، وليس ، بالطبع ، في الموضوعات في العالم الخارجي .]

(٢) transference neuroses

(٣) (النرجسية narcissism هي حب الذات ، و « اللبيدو النرجسي » narcissistic libido أو « لبيدو ـ الأنا » "ego-libido" هو اتجاه اللبيدو نحو الذات واتخاذها موضوعاً للحب . و « لبيدو ـ الموضوع » "object-libido" هو اتجاه اللبيدو إلى أشخاص آخرين واتخاذهم موضوعاً للحب .

ولفظ النرجسية مشتق من نرجس (أوناركيسوس) Narcissus الذي روت الأسطورة اليونانية عنه أنه شاب جميل رأى صورة وجهه على صفحة الماء فعشقها .) (المترجم)

الموضوع[١] . ويبدو أن اللبيدو النرجسي أو لبيدو ـ الأنا هو المخزن الكبير الذي ترسل منه الشحنات التي تتجه نحو الموضوع ، والذي إليه ترد هذه الشحنات مرة أخرى . فالشحنة اللبيدية النرجسية الخاصة بالأنا هي الحالة الأصلية التي كانت متحققة أثناء الفترة المبكرة من الطفولة ، والتي تحجبها فقط امتدادات اللبيدو التي تحدث فيما بعد ، ولكنها تستمر في أساسها باقية وراءها .

يجب أن تكون مهمة نظرية اللبيدو في الاضطرابات العصابية والذهانية هي التعبير عن جميع الظواهر الملاحظة والعمليات المستنتجة بلغة اقتصاديات اللبيدو . ومن السهل أن نظن أنه سيكون لتغيرات لبيدو ـ الأنا الدور الأكبر في هذا الصدد ، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بتفسير الاضطرابات الذهانية العميقة . غير أننا سنجابه هذه الصعوبة وهي أن منهجنا في البحث ، وهو التحليل النفسي ، يمدنا في الوقت الحاضر بمعلومات أكيدة عن التحولات التي تحدث فقط في لبيدو ـ الموضوع[٢] ، ولكنه لا يستطيع أن يقوم بأي تمييز مباشر بين لبيدو ـ الأنا والصور الأخرى للطاقة التي تعمل في الأنا[٣] . ولذلك ، فليس من الممكن في الوقت الحاضر إدخال تعديلات جديدة في نظرية اللبيدو ، إلا إذا كان ذلك على أساس تأملي فقط . ولو أننا حذونا حذو

---

(١) [هامش أضيف في ١٩٢٤ :] بما أن الأمراض العصابية الأخرى غير الأمراض العصابية التحويلية قد أصبحت في متناول التحليل النفسي بدرجة أكبر ، فقد فقد هذا التحديد صدقه السابق .

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] انظر الهامش السابق .

(٣) [هامش أضيف ١٩١٥ :] قارن مقالي عن «النرجسية 1914c». لم يكن نيكي Naecke هو الذي وضع اصطلاح «النرجسية» ، كما ذكرت خطأ في هذا المقال ، وإنما كان هافلوك إليس هو الذي وضعه . [ناقش إليس نفسه فيما بعد (١٩٢٨) هذه النقطة بالتفصيل ورأى أنه من الواجب تقسيم الفضل .]

ج . ج . ينج G. G. jung وأضعفنا معنى مفهوم الليبدو ذاته بجعله مساوياً للقوة الغريزية النفسية عامة ، لكنا ضحينا بكل ما كسبناه حتى الآن من الملاحظة التحليلية النفسية .

إن تمييز الدوافع الغريرية الجنسية عن بقية الدوافع الغريزية ، ثم ما يستتبعه ذلك من قصر مفهوم الليبدو على الدوافع الأولى إنما يجد تأييداً قوياً من الفرض الذي ناقشته فيما سبق وهو أنه توجد كيميائية خاصة في الوظيفة الجنسية .

التمايز بين الرجال والنساء

لا يتم التمييز الدقيق بين الخصائص الذكرية والخصائص الأنثوية إلا في البلوغ كما نعلم جميعاً . وسيكون لهذا التباين منذ ذلك الوقت تأثير حاسم على تشكيل حياة الإنسان أكثر من أي عامل آخر . حقاً ، إن الاستعدادات الذكرية والأنثوية كانت تدرك من قبل بسهولة أثناء الطفولة . ويتم نشوء القيود التي تكف النشاط الجنسي (الخزي ، الاشمئزاز، الشفقة ، الخ) أكثر تبكيراً عند البنات الصغار منها عند الأولاد ، وهي تلقى من المقاومة بينهن أقل مما تلقى بين الأولاد . ويبدو أن الميل إلى الكبت الجنسي يكون عندهن أشد بصفة عامة ؛ وعندما تظهر الغرائز الجنسية الجزئية فإنهن يفضلن الصورة السلبية . غير أن النشاط الشبقي الذاتي للمناطق الشبقية واحد في الجنسين ، وبسبب هذا التماثل لا يمكن التمييز بين الجنسين كما يحدث بعد البلوغ . وفيما يتعلق بالمظاهر الجنسية الشبقية الذاتية والاستمنائية ، فإننا نستطيع أن نقول إن النشاط الجنسي لدى البنات الصغار يتخذ في جملته سمة الذكورة . ونحن إذا استطعنا ، في الحقيقة ، أن نعطي مضموناً أكثر تحديداً لمفهومي « ذكر » و « أنثى » ، لكان من الممكن أيضاً أن نقول إن الليبدو يكون باستمرار وبالضرورة

ذا طبيعة ذكرية ، سواء كان لدى الرجال أو لدى النساء ، وبصرف النظر عما إذا كان موضوعه رجلاً أو امرأة[1] .

ومنذ أصبحت على علم[1] بفكرة الثنائية الجنسية فقد اعتبرتها العامل الحاسم ، وإني أرى أنه إذا لم نضع الثنائية الجنسية في اعتبارنا فلن يكون من الممكن أن نفهم المظاهر الجنسية التي نلاحظها بالفعل بين الرجال والنساء .

---

(١) [كانت الكلمات من «لبيدو» إلى نهاية الجملة تطبع قبل ١٩٢٤ متباعدة بعضها عن بعض ـ هامش أضيف ١٩١٥ :] من الجوهري أن تفهم بوضوح أن مفهومي «ذكر» و «أنثى» اللذين يبدو معنياهما غامضين جداً للناس العاديين ، من أكثر المفاهيم غموضاً في العلم . ومن الممكن أن نميز على الأقل ثلاثة أوجه لاستخدامهما . فقد نستخدم «ذكراً» و «أنثى» أحياناً بمعنى «الإيجابية» و «السلبية» ، وأحياناً بمعنى بيولوجي ، وأحياناً أخرى بمعنى اجتماعي . إن المعنى الأول من بين هذه المعاني الثلاثة هو المعنى الأساسي وهو أكثرها فائدة في التحليل النفسي . فمثلاً ، عندما وصفت الليبدو في النص السابق أعلاه بأنه «ذكري» ، فقد استخدمت الكلمة في هذا المعنى ، إذ أن الغريزة «إيجابية» دائماً حتى ولو كانت تتجه إلى هدف «سلبي» . إن المعنى الثاني أو البيولوجي «لذكر» و «أنثى» هو المعنى الذي يمكن تحديد وجه تطبيقه بسهولة جداً . ففي هذا المعنى يتميز «ذكر» و «أنثى» بوجود الحيوانات المنوية والبويضات وبالوظائف التي تنجم عنها . إن الإيجابية والظواهر الملازمة لها (نمو عضلي أكثر قوة ، وعدوان ، وشدة أكبر في الليبدو) تكون مرتبطة في العادة بالذكورة البيولوجية ، ولكنها لا تكون مرتبطة بها بالضرورة ، لأنه توجد أنواع من الحيوانات التي تنسب فيها هذه الصفات ، على العكس ، إلى الأنثى . ويستمد المعنى الثالث أو الاجتماعي مضمونه من ملاحظة الأفراد الذكور والإناث الموجودين بالفعل . وتبين مثل هذه الملاحظة أنه لا توجد بين الناس ذكورة خالصة أو أنوثة خالصة ، سواء بمعنى سيكولوجي أو بمعنى بيولوجي . بل على العكس ، يظهر كل فرد مزيجاً من سمات الخلق التي تختص بجنسه وبالجنس المقابل ، كما يظهر كل فرد مركباً من الإيجابية والسلبية ، سواء اتفقت هذه السمات الخلقية الأخيرة مع سماته الخُلُقية البيولوجية أم لم تتفق . [توجد مناقشة لاحقة لهذه النقطة في هامش في نهاية الفصل الرابع من كتاب «**الحضارة ومنغصاتها**» (1930a) .]

(١) [في ١٩٠٥ وحدها : «عن طريق ولهلم فليس wilhelm Fliess . راجع نهاية الهامش في ص ٥١ .]

المناطق الرائدة عند الرجال والنساء :

وفضلاً عن ذلك ، فإنني أود أن أضيف فقط ما يأتي . إن المنطقة الشبقية الرائدة عند الأطفال الإناث موجودة في البظر ، فهي ، إذن ، مناظرة للمنطقة التناسلية الذكرية في حشفة القضيب . إن كل خبراتي المتعلقة بالاستمناء عند البنات الصغيرات تتصل بالبظر ولا تتصل بمناطق الأعضاء التناسلية الخارجية التي ستصبح مهمة في الوظيفة الجنسية فيما بعد . وإنني لأشك فيما إذا كان من الممكن أن يؤدي إغواء الطفلة جنسياً إلى دفعها إلى أي شيء آخر غير الاستمناء البظري . فإذا حدث مثل ذلك ، فإنه يكون استثنائياً جداً . إن التفريغ التلقائي للتهيج الجنسي الذي كثيراً ما يحدث بالضبط عند البنات الصغيرات إنما يظهر في صورة تشنجات في البظر . وإن تكرار انتصاب هذا العضو يجعل من الممكن للبنات أن يكوِّنَّ حكماً صحيحاً على المظاهر الجنسية للجنس الآخر ، حتى بدون أن يتلقين أية تعليمات : إنهن يقمن فقط بتحويل الإحساسات التي يستمدِدْنها من عملياتهن الجنسية إلى الأولاد .

إذا أردنا أن نفهم كيف تتحول البنت الصغيرة إلى امرأة ، فيجب علينا أن نتتبع التغيرات التي ستلحق بهذه القابلية للتهيج الخاصة بالبظر . إن البلوغ الذي يؤدي إلى زيادة كبيرة في الليبيدو عند الأولاد ، إنما يتميز عند البنات بموجة جديدة من **الكبت** الذي يؤثر بالضبط في الجنسية البظرية . ومن ثمة ، فإن ما يتغلب عليه الكبت إنما هو جزء من الجنسية الذكرية . وازدياد شدة الكفّ الجنسي الذي يحدث عند النساء بسبب كبت البلوغ إنما يكون بمثابة منبه لليبيدو عند الرجال ويؤدي إلى زيادة نشاطه . وتحدث أيضاً إلى جانب هذه الزيادة في الليبيدو زيادة في المغالاة في التقييم الجنسي ، وهي تظهر فقط على أتمها بالنسبة إلى المرأة التي تتمنع والتي تنكر الناحية الجنسية فيها . وعندما يسمح في نهاية الأمر بالعملية الجنسية ، ويصبح البظر ذاته متهيجاً ، فإنه يظل يحتفظ بوظيفته :

وهي مهمة نقل التهيج إلى الأجزاء الجنسية الأنثوية المجاورة ، ويشبه ذلك تماماً ـ إذا استعنا بتشبيه ـ إشعال قصاصة خشب الصنوبر من أجل إشعال كتلة من الخشب أشد صلابة . ويجب أن تمر في الغالب فترة من الزمن قبل أن يتم هذا التحويل ، وتكون المرأة الصغيرة في أثناء هذه الفترة في حالة خَدَر [١] . وقد يدوم هذا الخَدَر إذا رفضت المنطقة البظرية أن تتخلى عن قابليتها للتهيج ، وهي حالة يمهد لها تماماً النشاط الزائد لهذه المنطقة أثناء الطفولة . إن الخَدَر عند النساء ، كما هو معروف جيداً ، يكون في الغالب ظاهرياً فقط ومحلياً . ولا تشعر النساء بأي إحساس عند فتحة المهبل ، ولكنهن يشعرن بالتهيج الذي يصدر عن البظر ، أو حتى عن مناطق أخرى . وإلى جانب عوامل الشبقية الذاتية المحدِّدة للخَدَر هذه ، يجب أيضاً أن نضع في اعتبارنا المحدِّدات النفسية التي تنشأ كذلك عن الكبت .

وعندما تنجح المرأة في تحويل القابلية الشبقية للتنبيه من البظر إلى فتحة المهبل ، فإن ذلك يعني أنها قد اتخذت منطقة رائدة جديدة لأغراض نشاطها الجنسي التالي . أما الرجل فإنه يحتفظ بمنطقته الرائدة منذ الطفولة بدون تغيير . وترجع المحدِّدات الرئيسية لشدة قابلية النساء للعصاب وعلى الأخص للهستيريا إلى تغييرهن لمنطقتهن الشبقية الرائدة بهذه الطريقة ، بالإضافة إلى موجة الكبت التي تحدث أثناء البلوغ والتي تؤدي إلى التخلي عن ذكورتهن الطفلية . فهذه المحدِّدات ، إذن ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجوهر الأنوثة [٢] .

---

(١) [الخَدَر aneasthesia هو فقد الإحساس] (المترجم)

(٢) [قام فرويد بمزيد من البحث في سير نمو الجنس لدى النساء ، وعلى الأخص في أربع مناسبات تالية : في تاريخ حالة امرأة مثلية الجنس (1920a) ، وفي مناقشته لنتائج التمييز التشريحي بين الجنسين (1925j) ، وفي مقالته عن الجنس لدى الإناث (1931 b) ، وفي محاضرته الثالثة والثلاثين في كتابه محاضرات تمهيدية جديدة (1933a) .]

الحصول على موضوع

تقوم العمليات التي تحدث أثناء البلوغ ، إذن ، بترسيخ أولية المناطق التناسلية ؛ ويأخذ قضيب الرجل الذي أصبح الآن قادراً على الانتصاب يتجه في إلحاح شديد نحو الهدف الجنسي الجديد ـ الدخول في فجوة بالبدن تقوم بتنبيه منطقته التناسلية . وتتم في نفس الوقت في الناحية النفسية عملية الحصول على الموضوع ، وهي العملية التي ابتدأت الاستعدادات لها منذ الطفولة المبكرة . فحينما كانت البدايات الأولى للإشباع الجنسي لا تزال مرتبطة بتناول الغذاء ، كان للغريزة الجنسية موضوع جنسي خارج بدن الطفل ذاته متمثلاً في ثدي أمه . ولكنه يفقد هذا الموضوع الجنسي فيما بعد ، وربما في نفس الوقت الذي يصبح فيه قادراً على تكوين فكرة إجمالية عن الشخص الذي يوجد لديه العضو الذي يمده بالإشباع . وفي العادة تصبح الغريزة الجنسية حينذاك شبقية ذاتية ، ولا تعود العلاقة الأصلية مرة أخرى إلا بعد اجتياز مرحلة الكمون . فهناك ، إذن ، أسباب معقولة تبرر لماذا أصبح مص الطفل لثدي أمه النموذج الأصلي لكل علاقة حب . إن الحصول على موضوع هو في الحقيقة إعادة الحصول عليه مرة أخرى[1] .

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] يبين لنا التحليل النفسي أنه توجد طريقتان للحصول على موضوع ما . الطريقة الأولى ، وهي التي وصفناها في النص ، هي طريقة «الاعتماد» أو «التعلق» ، وهي تعتمد على التعلق بالنماذج الأصلية الطفلية المبكرة . والطريقة الثانية هي الطريقة النرجسية ، وهي التي تسعى نحو أنا الفرد ذاته وتجده مرة أخرى في أشخاص آخرين . ولهذه الطريقة الثانية أهمية كبيرة على وجه خاص في الحالات التي تؤدي إلى نتائج مرضية ، ولكن هذه الطريقة ليست متلائمة مع سياق الموضوع الحالي . [نوقشت هذه النقطة بتوسع في الجزء الأخير من القسم الثاني من مقالة فرويد عن النرجسية (1914c) . ـ والفقرة الواردة في النص أعلاه ، والتي كتبت في ١٩٠٥ ، لا تبدو متسقة مع الملاحظات حول هذا الموضوع الواردة في الصفحات ١٢٩ ، ١٧٦ – ١٧٩ التي كتبت في ١٩١٥ و ١٩٢٠ على التوالي .]

الموضوع الجنسي أثناء الطفولة المبكرة :

ولكن حتى بعد أن ينفصل النشاط الجنسي عن عملية تناول الغذاء ، فإنه يتبقى جزء من أولى هذه العلاقات الجنسية وأهمها جميعاً ، ويساعد هذا الجزء على التمهيد لاختيار الموضوع ، وعلى استرجاع السعادة التي فقدت من قبل . ويتعلم الأطفال في أثناء مرحلة الكمون بأكملها أن يشعروا بحب نحو الأشخاص الآخرين الذين يساعدونهم في حالات عجزهم والذين يقومون بإشباع حاجاتهم ، ويكون هذا الحب على نموذج علاقة الطفل الرضيع بأمه التي ترضعه ، كما يكون استمراراً لهذه العلاقة . وربما يوجد ميل إلى إنكار إمكان اعتبار أن حب الطفل وتقديره للأشخاص الذين يعنون به مماثلان للحب الجنسي . ولكني أرى أن الفحص السيكولوجي الدقيق سيجعل من الممكن إثبات هذا التماثل بدون أدنى شك . إن اتصال الطفل بأية امرأة تكون مسؤولة عن العناية به إنما يمده بمصدر لا نهاية له للإثارة والإشباع الجنسيين من مناطقه الشبقية . ويحدث ذلك بخاصة لأن الشخص الذي يعنى به ــ وهو الأم في العادة ــ يخصه بمشاعر وجدانية مستمدة من حياته الجنسية ذاته : فهو يربت عليه ، ويقبله ، ويهزه ، ويعامله بوضوح جداً كأنه بديل لموضوع جنسي كامل[1] . ومن المحتمل أن تنزعج الأم إذا شرح لها أن ما تبديه من علامات المحبة لطفلها يثير غريزته الجنسية ويمهد لشدتها فيما بعد . إنها تعتبر ما تفعله كأنه حب « خالص » غير جنسي ، إذ أنها تتجنب بدقة توجيه أية إثارة إلى أعضاء الطفل التناسلية أكثر مما تستلزمه العناية به . ولكن الغريزة الجنسية ، كما نعلم ، لا تثار فقط

---

(١) إني أنصح أي فرد يعتبر هذا الرأي كأنه «تدنيس لشيء مقدس» أن يقرأ آراء هافلوك إليس (١٩١٣ ، ص ١٨) عن العلاقة بين الأم والطفل ، وهي آراء تتفق مع آرائي اتفاقاً يكاد يكون تاماً .

عن طريق الإثارة المباشرة للمنطقة التناسلية . فإن ما نسميه محبة سيؤثر حتماً على المناطق الشبقية أيضاً يوماً ما . وفضلاً عن ذلك ، فإذا زاد فهم الأم لخطورة أهمية الدور الذي تقوم به الغرائز في الحياة العقلية بأكملها ـ في جميع إنجازاتها الخُلُقية والنفسية ـ لجنبت نفسها كل تأنيب للنفس حتى بعد اتضاح الأمر لها . فهي إنما تؤدي فقط مهمتها في تعليم الطفل الحب . ومن المرغوب فيه ، في الحقيقة ، أن يصبح الطفل شخصاً قوياً وقادراً وحاصلاً على حاجات جنسية قوية ، وأن يقوم أثناء حياته بجميع الأشياء التي تدفع الغرائز جميع الناس إلى القيام بها . حقاً إن إفراط الوالدين في محبتهم مضر لأنه يسبب النضج الجنسي المبكر ، ولأنه أيضاً يفسد الطفل ويجعله غير قادر في حياته المستقبلة على أن يعيش مؤقتاً بدون حب ، أو على أن يقنع بمقدار أقل من الحب . وإن من أوضح العلامات التي تدل على أن الطفل سيصبح فيما بعد عصابياً هي أنه يشاهد في حاجة لا تشبع أبداً إلى محبة والديه . ومن جهة أخرى ، إن الآباء والأمهات المصابين بمرض عصبي والذين يميلون في العادة إلى إظهار محبة زائدة ، هم بالذات الأشخاص الذين يثيرون في الغالب بتوددهم استعداد الطفل إلى المرض العصابي . ويبين هذا المثال ، على نحوٍ عرضيّ ، أنه توجد طرق أكثر مباشرة من الوراثة يستطيع بها الآباء والأمهات العصابيون أن ينقلوا اضطراباتهم إلى أطفالهم .

قلق الطفولة :

يسلك الأطفال أنفسهم منذ سن مبكرة كأن اعتمادهم على الأشخاص الذين يعنون بهم من نوع الحب الجنسي . فالقلق عند الأطفال ليس في الأصل شيئاً آخر غير التعبير عن شعورهم بفقدان الشخص الذي يحبونه . ولهذا السبب يخاف الأطفال من كل شخص غريب . وهم يخافون في الظلام ، لأنهم لا يستطيعون أن يروا في الظلام الشخص الذي يحبونه ،

ويقل خوفهم إذا استطاعوا مسك يد هذا الشخص في الظلام . وإن إرجاع مسؤولية خوف الأطفال إلى قصص الغيلان والقصص المخيفة التي يقشعر لها البدن والتي ترويها المربيات إنما هو مغالاة في تقدير أثرها . إن الحقيقة هي فقط أن الأطفال الذين يميلون إلى الخوف إنما يتأثرون بالقصص التي قد لا يكون لها أثر على الأطفال الآخرين ، وأن الأطفال الذين تكون غريزتهم الجنسية مفرطة أو الذين تكون غريزتهم قد نمت نمواً مبكراً أو اشتدت شدة صارخة بسبب التدليل المفرط هم فقط الأطفال الذين يميلون إلى أن يكونوا هيابين . ويسلك الطفل في هذا الصدد مثل الراشد ، وذلك بأن يقوم بتحويل طاقته اللبيدية إلى القلق عندما يعجز عن إشباعها . وعلى العكس ، إن الراشد الذي أصبح عصابياً بسبب عدم إشباع طاقته اللبيدية إنما يسلك في قلقه كأنه طفل : فهو يبدأ في الخوف عندما يصبح وحيداً ، أي عندما يكون بعيداً عن شخص يشعر بالاطمئنان في حبه ، وهو يحاول تخفيف هذا الخوف بطرق تكون أكثر إمعاناً في صبغتها الطفلية[1] .

---

(١) يجب أن أزدي الشكر بسبب هذا التفسير لمصدر قلق الأطفال إلى طفل في سن الثالثة سمعته مرة ينادي من غرفة مظلمة قائلاً : «خالتي ، تكلمي إليّ ! إني خائف لأن الغرفة مظلمة جداً .» فأجابته خالته قائلة : «وما فائدة ذلك ؟ إنك لن تستطيع رؤيتي» . فأجاب الطفل : «ليس ذلك مهماً ، فإني أشعر بالضوء إذا تكلم إلى أحد» . وإذن ، فالطفل لم يكن خائفاً من الظلام ، وإنما كان خائفاً من غياب شخص يحبه ، وهو متأكد أن خوفه سيهدأ بمجرد اطمئنانه إلى وجود هذا الشخص . [إضافة في ١٩٢٠ :] إن من أهم نتائج البحث التحليلي النفسي هي اكتشاف أن القلق العصابي يصدر عن اللبيدو ، وأنه ينشأ عن تحوله ، وأن علاقته باللبيدو تشبه علاقة الخل بالنبيذ . وتجد مزيداً من المناقشة لهذه المشكلة في كتابي «**محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي**» (١٩١٦) ، فصل ١٧) ، المحاضرة الخامسة والعشرين ، ولكن يجب أن أعترف أن المشكلة لم تفسر نهائياً حتى في ذلك* الكتاب .

* ذهب فرويد في كتابه «محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي» إلى أن القلق ينشأ =

عائق ضد الاتصال الجنسي بالمحارم : [1]

انّنا نرى إذن أن محبة الوالدين لطفلهما قد توقظ غريزته الجنسية مبكراً (أي قبل ظهور الشروط البدنية للبلوغ) إلى درجة تجعل الإثارة العقلية تندفع بشكل واضح إلى الجهاز التناسلي . أما ، من جهة أخرى ، إذا تجنب الوالدان ذلك لحسن حظهم ، فمن الممكن أن تؤدي محبتهم مهمتها الخاصة بتوجيه الطفل في اختياره للموضوع الجنسي عندما يصل إلى النضج . ولا شك أن أبسط طريق للطفل هو أن يختار موضوعاته الجنسية من نفس الأشخاص الذين كان يحبهم منذ طفولته حباً يمكن أن يوصف بأنه لبيدو مخفف[2] . ولكن تأخير النضج الجنسي يؤدي إلى كسب الوقت الذي يستطيع الطفل فيه أن يقيم ضمن القيود الأخرى التي تحد من نشاطه الجنسي عائقاً يمنع الاتصال الجنسي بالمحارم ، وبذلك يستطيع أن يكتسب المبادئ الخلقية التي تستبعد بوضوح من اختياره للموضوع الأشخاص الذين أحبهم في طفولته لعلاقة الدم التي تربطه بهم . إن احترام هذا العائق هو في أساسه مطلب حضاري وضعته الجماعة . فمن الواجب أن تدافع الجماعة عن نفسها ضد خطر امتصاص الأسرة للاهتمامات التي تحتاج إليها الجماعة لإقامة وحدات اجتماعية

= عن كبت الرغبة الجنسية أو إحباطها ومنعها من الإشباع . وكان فرويد يرى أنه حينما تمنع الرغبة الجنسية من الإشباع تتحول الطاقة اللبيدية إلى قلق ويتم هذا التحول بطريقة فسيولوجية بحتة . وقد عدل فرويد فيما بعد رأيه في تفسير القلق في كتابه عن «الكف والعَرَض والقلق» ، فذهب إلى أن القلق عبارة عن رد فعل لإدراك حالة خطر ناشئ عن الرغبات الغريزية . انظر كتاب «الكف والعَرَض والقلق» لفرويد . ترجمة محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الثالثة ، بيروت . دار الشروق ، ١٩٨٣ .) (المترجم)

(١) [أغفل هذا العنوان الجانبي ، ربما سهواً ، من طبعة ١٩٢٤ وما بعدها]

(٢) [هامش أضيف ١٩١٥ .] قارن ما سبق أن ذكر في ص ١٢٩ عن اختيار الموضوع عند الأطفال وعن «تيار الحب» .

أعلى ، ولهذا السبب تحاول الجماعة بكل الطرق الممكنة أن تضعف علاقة كل فرد بأسرته ، وعلى الأخص في حالة الأولاد الراشدين ، تلك العلاقة التي كانت العلاقة الوحيدة الهامة في طفولتهم[١] .

وعلى أيه حال ، فإن اختيار الموضوع يتم أولاً في عالم الخيال ، وإن الحياة الجنسية للشاب الناضج تكون في الغالب مقصورة على الانغماس في الخيالات ، أي في أفكار ليس من المقدر لها أن تنتقل إلى حيز التنفيذ[٢] . وتظهر في هذه الخيالات الميول الطفلية مرة أخرى

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] من المحتمل أن يكون العائق ضد الاتصال الجنسي المحارم من ضمن الأشياء التي اكتسبها النوع الإنساني أثناء مراحل التاريح ، ولا شك أنه ، مثل المحرمات الأخلاقية الأخرى ، قد تكوّن من قبل عند أفراد كثيرين نتيجة للوراثة البدنية . (قارن كتابي **الطوطم والتابو** ١٩١٢ – ١٣) غير أن البحث التحليلي النفسي يبين كيف يكافح الفرد بشدة ضد ميله إلى الاتصال الجنسي بالمحارم أثناء مرحلة نموه ، وكيف أنه كثيراً ما يتم اجتياز هذا العائق في الخيالات ، وفي الواقع أيضاً . ـ [هذه هي أول مرة تظهر فيها فكرة «الرعب من الاتصال الجنسي بالمحارم» ، ولكن فرويد قد ناقشه في ٣١ من مايو ، ١٨٩٧ (المسودة N من فرويد 1950a) ـ وذلك قبل اكتشافه الأول لعقدة أوديب ببضعة أشهر . وفي هذه المسودة أيضاً فسرها فرويد على أساس أن الاتصال الجنسي بالمحارم «معادٍ للمجتمع» .]

(٢) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] إن النقطة التي تبتدئ منها خيالات مرحلة البلوغ هي الأبحاث الجنسية الطفلية التي تخلى عنها الطفل أثناء مرحلة الطفولة . ولا شك أنها تكون موجودة أيضاً قبل نهاية مرحلة الكمون . وقد تستمر كلها أو معظمها لاشعورياً ، ولهذا السبب يكون من المستحيل في كثير من الأحيان تحديد تاريخها بدقة . ولهذه الخيالات أهمية كبيرة فيما يتعلق بمصدر كثير من الأعراض ، إذ أنها تكوّن بالضبط المراحل الأولية لهذه الأعراض ، وهي بذلك تضع الأساس للصور التي يتم بها إشباع الأجزاء اللبيدية المكبوتة . وهي تكوّن ، بنفس الطريقة ، النماذج الأصلية للخيالات الليلية التي تظهر في الشعور في صورة أحلام . فليست الأحلام في أكثر الأحيان شيئاً أكثر من إحياء مثل هذا النوع من خيالات البلوغ تحت تأثير مسه ما باق من حياة اليقظة لليوم السابق ، أو تكون مرتبطة بهذا المنه («رواسب اليوم») . [انظر الفصل السابع ، القسم الأول من **تفسير الأحلام** (1900a), Standard Ed., 5, 492f.] وإن بعض الخيالات الجنسية لمرحلة البلوغ =

كما هي بدون تغيير ، ولكنها تكون مصحوبة هذه المرة بضغط شديد من مصادر بدنية . وتحتل دوافع الطفل الجنسية نحو والديه المكان الأول من بين هذه الميول بصورة مطردة ، وتكون دوافع الطفل الجنسية نحو والديه قد تميزت الآن في العادة نتيجة لجاذبية الجنس المقابل ـ فيميل

= مهمة على وجه خاص ، وهي تتميز بأنها تحدث بصفة عامة جداً ، وبأنها مستقلة عن خبرة الفرد إلى حد كبير ، ومن هذا النوع خيالات المراهق التي يسمع فيها والديه أثناء الاتصال الجنسي ، والتي يقوم فيها شخص محبوب له بإغوائه جنسياً في سن مبكرة ، والتي يهدد فيها بالخصاء . [راجع مناقشة «الخيالات الأولية» في المحاضرة الثالثة والعشرين من كتاب فرويد **محاضرات تمهيدية** (١٩١٦ – ١٩١٧) .] ومن هذا النوع من الخيالات أيضاً خيالات المراهق التي يتخيل فيها أنه موجود في الرحم ، والتي يشعر فيها أيضاً ببعض الخبرات التي تحدث في الرحم ، والتي يتخيل فيها ما يسمى «بقصة العائلة» التي يستجيب فيها إلى الفرق بين اتجاهه الآن نحو والديه وبين اتجاهه نحوهما أثناء الطفولة . وقد قام أوتو رانك Otto Rank(١٩٠٩) بإثبات وجود علاقات وثيقة بين هذه الخيالات وبين الأساطير فيما يتعلق بالمثال الأخير . [قارن أيضاً مقال فرويد عن «أقاصيص العائلة» (1909c)، وهامشه الطويل بالقسم حـ(G) من الجزء الأول من تاريخ حالة «الرجل الفأر» (1909c) .]

لقد سبق أن ذكر بحق أن عقدة أوديب هي العقدة الرئيسية للأمراض العصابية ، وهي تكون الجزء الأساسي من مضمونها . إنها تمثل القمة التي يصل إليها النشاط الجنسي الطفلي ، والتي تؤثر نتائجها تأثيراً حاسماً على النشاط الجنسي للراشدين . إن كل شخص يصل لأول مرة إلى هذا الكوكب يجابه مهمة التغلب على عقدة أوديب ، وكل فرد يفشل في ذلك يقع فريسة العصاب . وقد أصبحت أهمية عقدة أوديب أكثر وضوحاً بتقدم دراسات التحليل النفسي ؛ وقد أصبح الاعتراف بها المبدأ الأساسي الذي يميز اتباع التحليل النفسي عن خصومه .

[إضافة في ١٩٢٤ :] وقد قام أوتو رانك في كتاب آخر (١٩٢٤) بإرجاع التعلق بالأم إلى مرحلة ما قبل التاريخ في داخل الرحم ، فأشار بذلك إلى الأساس البيولوجي لعقدة أوديب . إنه يختلف عما قيل سابقاً من حيث أنه يستمد العائق ضد الزنى بالمحارم من نتيجة صدمة قلق الميلاد . [انظر الفصل العاشر من الكف والعَرَض والقلق، (1926d) .]. (انظر ترجمة محمد عثمان نجاتي لهذا الكتاب . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٣) .

الابن نحو أمه ، وتميل البنت نحو أبيها[١] . وفي نفس الوقت الذي يتم فيه قمع ورفض هذه التخيلات التي تتعلق بوضوح بالاتصال الجنسي بالمحارم يتم أيضاً إنجاز من أهم الإنجازات النفسية لفترة البلوغ ، ولكنه أيضاً من أكثرها إيلاماً : الانفصال عن سلطة الوالدين ، وهي عملية من شأنها وحدها أن تجعل من الممكن حدوث المعارضة بين الجيل الجديد والجيل القديم ، وهي أمر هام جداً لتقدم الحضارة . ويُحْجَز عدد معين من الناس في كل مرحلة من مراحل عملية النمو التي يجب أن يمر بها جميع الناس ؛ ولذلك يوجد بعض الأفراد الذين لم يتخلصوا أبداً من سلطة الوالدين والذين سحبوا محبتهم عنهما سحباً غير تام إلى درجة كبيرة أو الذين لم يسحبوها إطلاقاً . وهؤلاء الأفراد هم في أغلب الأمر بنات استمررن في حبهن الطفلي بعد تجاوز مرحلة البلوغ بفترة طويلة ، وهو أمر يقابل بالسرور من الوالدين . ومن الأمور التي لها دلالة عظيمة أن نجد أن هؤلاء البنات بالذات هن اللاتي يعجزن في زواجهن فيما بعد عن إعطاء أزواجهن ما هو حق لهم ، إنهن يصبحن زوجات باردات ويظللن في حالة خَدَر من الناحية الجنسية . ويتبين لنا من ذلك أن الحب الجنسي للوالدين وما يبدو أنه حب غير جنسي لهما إنما يغذيان من مصادر واحدة ، وأن الحب الثاني يماثل فحسب تثبيت الليبدو تثبيتاً طفلياً .

وكلما اقتربنا من الاضطرابات العميقة للنمو النفسي الجنسي ظهرت لنا في غاية الوضوح أهمية اختيار الموضوع المحرم . إن جزءاً كبيراً من كل النشاط النفسي الجنسي الذي يقوم به العصابيون النفسيون للحصول على موضوع يظل لاشعورياً نتيجة لإنكارهم للناحية الجنسية . إن البنات اللاتي يشعرن بحاجة إلى الحب مبالغ فيها ، واللاتي يشعرن بقدر مساو

---

(١) قارن ملاحظاتي في **تفسير الأحلام**(1900a)عن حتمية القدر في أسطورة أوديب [الفصل الخامس ، القسم (B) Standard Ed., 4, 260ff; D .]

من الفزع المبالغ فيه من المطالب الواقعية للحياة الجنسية إنما يشعرن بإغراءً لا يقاوم لكي يحققن ، من ناحية ، الحب غير الجنسي المثالي في حياتهن ، ولكي يخفين ، من ناحية أخرى ، رغبتهن الجنسية وراء ستار من الحب الذي يستطعن إظهاره بدون أن يؤنبن أنفسهن ، وهن يفعلن ذلك بتمسكهن الشديد طوال حياتهن بغرامهن الطفلي لوالديهن ولإخوتهن وأخواتهن ، ذلك الغرام الذي يبعث مرة أخرى أثناء البلوغ . ولا يجد التحليل النفسي صعوبة في أن يبين لمثل هؤلاء الأشخاص أنهم **يحبون** ـ بالمعنى العادي لهذه الكلمة ـ أشخاصاً تربطهم بهم صلة الدم ؛ وذلك لأنه يقوم ، بالاستعانة بأعراضهم وبالمظاهر الأخرى لمرضهم ، بتتبع أفكارهم اللاشعورية وبترجمتها إلى أفكار شعورية . ومن الممكن أن نبين أيضاً على وجه التأكيد في الحالات التي يمرض فيها شخص كان سليماً من قبل عقب خبرة غير سعيدة بالحب ، أن آلية مرضه تتكوّن من رجوع طاقته اللبيدية إلى الأشخاص الذين كان يفضلهم في طفولته .

نتائج اختيار الموضوع أثناء الطفولة :

لا ينجو أحد نجاة تامة من تأثير تثبيت طاقته اللبيدية على أحد المحارم حتى ولو كان من الأفراد المحظوظين الذين تجنبوا مثل هذا التثبيت . فكثيراً ما يحب شاب صغير السن لأول مرة امرأة ناضجة حباً شديداً ، أو تحب فتاة رجلاً مسنّاً ذا نفوذ . ومن الواضح أن ذلك صدى لمرحلة النمو التي كنا ناقشها الآن ، إذ تستطيع هذه الشخصيات أن تحيي صورة أم هؤلاء الأفراد أو صورة أبيهم[1]. وليس هناك أدنى

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٠ :] قارن مقالتي « نمط خاص من اختيار الموضوع يقوم به الرجال » . (1910h)

شك في أن كل اختيار للموضوع مهما كان يعتمد ، ولو بصورة غير تامة ، على هذه النماذج الأصلية . ويبحث الرجل ، بخاصة ، عن شخص يستطيع أن يمثل الصورة التي لديه عن أمه ، كما كانت تسيطر على عقله منذ طفولته المبكرة . ولذلك ، فإن الأم إذا كانت لا زالت على قيد الحياة فإنها ستستنكر هذه الصورة الجديدة لها وستقابلها بالعدوان . ونظراً لأهمية علاقات الطفل بوالديه في تحديد اختياره للموضوع الجنسي فيما بعد ، فإنه من الممكن أن نفهم بسهولة أن أي اضطراب في هذه العلاقات سيؤدي إلى أسوأ النتائج على حياته الجنسية حينما يبلغ رشده . فالغيرة عند المحب لا تنشأ أبداً بدون أن يكون لها أساس من الطفولة ، أو بدون أن تلقى تدعيماً من حياة الطفولة على الأقل . فإذا كانت هناك خصومات بين الوالدين ، أو إذا كان زواجهم غير سعيد ، فإن ذلك يمهد لحدوث أشد الاستعدادات عند الأطفال لاضطراب نموهم الجنسي أو للمرض العصابي .

إن حب الطفل لوالديه هو بلا شك أهم أثر من آثار الطفولة يقوم ، بعد أن يبعث من جديد أثناء البلوغ ، بتوجيه الفرد في اختياره للموضوع ؛ ولكنه ليس الأثر الوحيد . فإن بعض نقط البداية الأخرى مع نفس الأصل المبكر ، تجعل من الممكن أن يتخذ الرجل أكثر من اتجاه جنسي واحد ـ على أساس طفولته أيضاً ـ وأن يضع شروطاً كثيرة التنوع لاختياره للموضوع [١] .

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ .] لا يمكن فهم الخصائص العديدة لحياة الحب عند الناس ، وكذلك الصفة القهرية لعملية الوقوع في الحب ذاتها إلا بالرجوع إلى الطفولة ، وإلا باعتبارها رواسب باقية من الطفولة .

الوقاية من الارتكاس :

إن من إحدى المهمات التي يتضمنها اختيار الموضوع هي ضرورة الوصول إلى الجنس المقابل . ولا يتم ذلك ، كما نعلم ، بدون قدر معين من السلوك العشوائي . وكثيراً ما تضل الدوافع الأولى عقب البلوغ طريقها ، ولكن بدون أن ينتج عن ذلك ضرر دائم . وقد كان دسوار Dessoir (١٨٩٤) محقاً في ملاحظته أن الأولاد والبنات المراهقين يكونون صداقات عاطفية بأشخاص آخرين من نفس جنسهم بصفة منتظمة . ولا شك أن أشد قوة تعمل ضد حدوث ارتكاس دائم للموضوع الجنسي إنما هي تأثير جاذبية الصفات الجنسية المتقابلة كل منها في الأخرى. ولسنا نستطيع في حدود المناقشة الحالية أن نقول شيئاً يمكن أن يلقي ضوءاً على هذه الظاهرة[١]. غير أن هذا العامل ليس في ذاته كافياً لمنع حدوث الارتكاس ، ولا شك أنه توجد عوامل أخرى متنوعة تساعد على حدوثه . ومن أهم هذه العوامل النهي البات الذي يصدر عن المجتمع . وحينما نجد أن الارتكاس لا يعتبر جريمة في أي مكان ، فإننا نجد أنه يتمشى تمشياً تاماً مع الميول الجنسية لعدد كبير من الناس . وفضلاً عن ذلك ، فمن الممكن أن نفترض في حالة الرجال ، أن ذكريات الطفولة الخاصة بالحب الذي كانت تسبغه عليهم أمهاتهم وغيرهن من النساء اللاتي كن يعنين بهم عندما كانوا أطفالاً ، إنما تسهم بشدة في توجيه اختيارهم نحو النساء[٢]. ومن جهة أخرى ، إن خبراتهم الخاصة بقيام

---

(١) [هامش أضيف ١٩٢٤ :] هذا هو موضع التنبيه إلى كتاب فيرنزي «محاولة وضع نظرية تناسلية» (١٩٢٤) . وبالرغم من أن هذا الكتاب خيالي ، إلا أنه مع ذلك في غاية الأهمية ، وقد أرجعت فيه الحياة الجنسية للحيوانات العليا إلى تطورها البيولوجي .

(٢) [يرجع تاريخ باقي هذه الجملة والجملتين التاليتين إلى ١٩١٥ . وفي طبعتي ١٩٠٥ و ١٩١٠ تظهر الفقرة التالية محلهما : «بينا في حالة البنات اللاتي يدخلن ، على أية حال ، في =

الأب بمنعهم من النشاط الجنسي وعلاقتهم التنافسية معه إنما تؤدي إلى إبعادهم عن جنسهم . وينطبق هذان العاملان أيضاً على البنات اللاتي يخضع نشاطهن الجنسي بصفة خاصة لرقابة الأم المتيقظة . ولذلك تتكون عند البنات علاقة عدوانية بالنسبة لجنسهن ، ويؤثر ذلك تأثيراً حاسماً في توجيه اختيارهن للموضوع نحو الاتجاه الذي يعتبر سوياً . ويبدو أن قيام الذكور (العبيد في الماضي) بتربية الأولاد قد ساعد على حدوث الجنسية المثلية . ومما قد يساعد على تفسير كثرة حدوث الارتكاس بين الطبقة الارستقراطية في الوقت الحاضر هو أنها تستخدم خدماً ذكوراً ، وأن الأمهات في هذه الطبقة لا تعطي أطفالهن إلا قدراً قليلاً من العناية الشخصية . وقد وجد في حالة بعض الهستيريين أن فقدان أحد الوالدين في سن مبكرة ، سواء بالموت أو الطلاق أو الانفصال ، ثم امتصاص الوالد الآخر الذي يبقى لكل حب الطفل تبعاً لذلك ، إنما يحدد جنس الشخص الذي سيختاره الطفل فيما بعد كموضوع جنسي ، وقد يمهد ذلك إلى حدوث ارتكاس دائم .

مرحلة كبت مع حلول البلوغ ، تقوم دوافع التنافس بدور في تثبيط همتهن عن حب أعضاء من نفس جنسهن . »]

مُلَخَّص ٧

مُلخّص ٧

لقد حان الوقت الآن لأحاول تلخيص ما قلت . لقد ابتدأنا من انحرافات الغريزة الجنسية فيما يتعلق بموضوعها وهدفها ، وقد جابهنا هذا السؤال وهو هل تنشأ هذه الانحرافات عن استعداد فطري أم أنها تكتسب نتيجة لخبرات الحياة . وقد توصلنا إلى جواب لهذا السؤال من فهمنا ، المستمد من البحث التحليلي النفسي ، لعمليات الغريزة الجنسية عند العصابيين النفسيين وهم فئة كبيرة من الناس ، وهم ليسوا مختلفين كثيراً عن الأسوياء . ووجدنا أنه من الممكن أن نبين أنه توجد عند العصابيين ميول لكل نوع من أنواع الانحراف في صورة قوى لاشعورية ، وهي تكشف عن وجودها باعتبارها عوامل تؤدي إلى تكوين الأعراض . ولذلك ، كان من الممكن أن نقول إن العصاب هو الصورة السلبية للانحراف . ونظراً لما رأيناه الآن من الانتشار الواسع للميول إلى الانحراف فقد اضطررنا إلى الوصول إلى هذه النتيجة وهي أن الاستعداد للانحرافات هو استعداد أصلي وعام في الغريزة الجنسية الإنسانية ، وأن السلوك الجنسي السوي ينشأ عنه كنتيجة للتغيرات البدنية والنواهي النفسية التي تحدث أثناء عملية النضج ؛ وكنا نأمل أن نستطيع أن نبين وجود هذا الاستعداد الأصلي في الطفولة . ولقد اهتممنا ، من بين القوى التي تحدّ من اتجاه الغريزة الجنسية ، بالخزي والاشمئزاز والشفقة وأبنية الأخلاق والنفوذ التي أقامها المجتمع . وساقنا ذلك إلى اعتبار أي انحراف ثابت

عن السلوك الجنسي السوي كأنه مثال لكفّ النمو وللطفولية . ومع أنه كان من الضروري أن نضع أهمية الفروق في الاستعداد الأصلي في الاعتبار الأول ، إلا أنه كان علينا أن نفترض وجود علاقة تعاون لا علاقة تضاد بين هذه الفروق في الاستعداد الأصلي وبين تأثيرات الحياة الواقعية . ولقد ظهر لنا ، من جهة أخرى ، أنه لما كان الاستعداد الأصلي استعداداً مركباً بالضرورة ، فمن الواجب أن تكون الغريزة الجنسية ذاتها شيئاً مركباً من عدة عوامل ، وأنها تتفكك في الانحرافات إلى أجزائها . وهكذا بدت الانحرافات ، من ناحية ، حالات كفّ للنموّ السويّ ، من ناحية أخرى ، حالات تفكك له . وقد اجتمعت هاتان الفكرتان في الفرض الذي يقول إن الغريزة الجنسية عند الراشدين تنشأ عن تجمع عدد من دوافع الطفولة في وحدة واحدة ، في دافع له هدف واحد .

وبعد أن شرحنا تغلب الميول المنحرفة في العصابيين النفسيين وذلك بالنظر إليها باعتبارها تعبئة جانبية لمسالك مساعدة عندما يقوم «الكبت» (١) بسد التيار الرئيسي للقوة الغريزية ، انتقلنا إلى دراسة الحياة الجنسية في الطفولة . وقد وجدنا ، مما يؤسف له ، إنكاراً لوجود الغريزة الجنسية في الطفولة ، وأن المظاهر الجنسية التي كانت تلاحظ بكثرة بين الأطفال كانت توصف بأنها مظاهر شاذة . وقد بدا لنا ، على العكس من ذلك ، أن الأطفال يأتون ببذور النشاط الجنسي معهم إلى العالم ، وأنهم يتمتعون بالفعل بالإشباع الجنسي عندما يبدأون في تناول الغذاء ، وأنهم يسعون

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] لا ينطبق هذا فقط على الميول «السلبية» نحو الانحراف ، وهي الميول التي تظهر في الأمراض العصابية ، ولكنه ينطبق أيضاً على ما يسمى بتلك التسمية الملائمة وهي الانحرافات «الإيجابية» . فهذه الانحرافات الأخيرة ، إذن ، لا ترجع إلى تثبيت الميول الطفلية فحسب ، وإنما ترجع أيضاً إلى النكوص إلى هذه الميول نتيجة لإعاقة المسالك الأخرى للتيار الجنسي . وهذا هو السبب الذي من أجله كانت الانحرافات الإيجابية أيضاً قابلة للعلاج بالتحليل النفسي .

بإلحاح إلى تكرار هذه الخبرة في ذلك النشاط المألوف وهو « مص الإبهام » . ومع ذلك ، فإنه يبدو أن النشاط الجنسي عند الأطفال لا ينمو بنفس المقدار الذي تنمو به وظائفهم الأخرى ، ولكنه بعد أن يزدهر لفترة قصيرة ابتداء من سن الثانية إلى الخامسة[1] يدخل في المرحلة التي تسمى بمرحلة الكمون . ولا يتوقف حدوث التهيج الجنسي أثناء هذه المرحلة ، وإنما يستمر ويكون مخزناً من النشاط الذي يستخدم إلى حد كبير في أغراض غير جنسية ـ أي يسهم ، من ناحية ، في تكوين الأجزاء الجنسية من المشاعر الاجتماعية ، ومن ناحية أخرى ، في إقامة العوائق التي تتكون فيما بعد ضد النشاط الجنسي (عن طريق الكبت وتكوين رد الفعل) . وتبعاً لهذا الرأي ، فإن القوى التي قُدِّر لها أن تُبقي الغريزة الجنسية في اتجاهات معيَّنة إنما تتكون في الطفولة بصورة رئيسية على حساب الدوافع الجنسية المنحرفة وبمساعدة التربية . ويبدو أن جزءاً معيناً من الدوافع الجنسية الطفلية يفلت من استخدامه على هذا النحو وينجح في التعبير عن نفسه في صورة نشاط جنسي . وقد وجدنا بعد ذلك أن التهيج الجنسي عند الأطفال يصدر عن عدة قوى . ويحدث الإشباع أولاً وفوق كل شيء عن الإثارة الجنسية الملائمة لما وصفناه بالمناطق الشبقية . ويبدو من المحتمل أن أي جزء من البشرة وأن أي عضو حسي ـ ومن المحتمل أي عضو[2] في الحقيقة ـ يستطيع أن يؤدي وظيفة منطقة شبقية ، غير أنه توجد مناطق شبقية معينة متميزة على وجه خاص ، ويبدو أن إثارتها تنشأ في أول الأمر عن بعض الوسائل البدنية المعينة . وفضلاً عن ذلك ، فإنه يبدو أن التهيج الجنسي ينشأ كنتيجة لعدد كبير من

---

(۱) [أدخلت الكلمات السبع الأخيرة في ١٩١٥ . غير أن السنوات التي ذكرت في طبعة ذلك العام كانت « من الثالثة إلى الخامسة » . وقد استبدلت الثانية بالثالثة في ١٩٢٠ .]

(۲) [أضيفت هاتان الفصلتان في ١٩١٥ .]

العمليات التي تحدث في الكائن العضوي بمجرد أن تبلغ درجة معينة من الشدة ، وعلى الأخص عن أي انفعال شديد نسبياً ، حتى ولو كان من طبيعة مؤلمة . ولم تتحدد بعد الإثارات من جميع هذه المصادر ، وإنما يتبع كل منها هدفه المستقل الخاص ، وهو عبارة عن مجرد الحصول على نوع معين من اللذة . فالغريزة الجنسية ، إذن ، لا تكون في الطفولة متحدة ، ولا يكون لها في أول الأمر[1] موضوع ، أي أنها تقوم على أساس شبقي ذاتي .

ويبدو أن المنطقة الشبقية الخاصة بالأعضاء التناسلية تبدأ في جلب الانتباه إليها في أثناء سنوات الطفولة أيضاً . فهي إما تؤدي إلى الإشباع إذا نبهت تنبيهاً حسياً ملائماً مثل أية منطقة شبقية أخرى ، وإما أنه إذا حدث إشباع عن مصادر أخرى ، يحدث أيضاً في نفس الوقت تهيج جنسي تكون له علاقة بالمنطقة التناسليـة ، ويحدث ذلك بطريقة غير مفهومة فهماً تاماً . وإننا مضطرون إلى الاعتراف على مضض منا بأننا لا نستطيع أن نجد تفسيراً مرضياً للعلاقة بين الإشباع الجنسي والتهيج الجنسي ، أو للعلاقة بين نشاط المنطقة التناسلية ونشاط المصادر الجنسية الأخرى .

وقد وجدنا من دراسة الاضطرابات العصابية[2] أنه من الممكن أن نكتشف منذ بداية الحياة الجنسية للأطفال بدايات تكوين تنظيم للأجزاء الغريزية الجنسية . فتحتل « الشبقية الفمية » المكانة الأولى في مرحلة أولى مبكرة جداً . ويتميز التنظيم الثاني من هذه التنظيمات القبل تناسلية بتغلب « السادية » و « الشبقية الشرجية » . ولا تسهم المناطق التناسلية الحقيقة بنصيبها في تحديد الحياة الجنسية إلا بعد الوصول إلى مرحلة

---

(١) [إن هذه الكلمات : « لا تكون متحدة ولا يكون لها في أول الأمر » قد أضيفت في ١٩٢٠ .]

(٢) [أضيفت هذه الفقرة والفقرتان التاليتان في ١٩٢٠ .]

ثالثة ، وتتكون هذه المرحلة الأخيرة عند الأطفال من حيث فقط أوليّة القضيب[1] .

وقد أصبحنا بعد ذلك مضطرين إلى أن نصل إلى اكتشاف من أكثر اكتشافاتنا إثارة للدهشة وهو أن هذا الازدهار المبكر للحياة الجنسية الطفلية (فيما بين سن الثانية والخامسة) إنما يؤدي في ذلك الوقت إلى ظهور عملية اختيار الموضوع بكل ما تتضمنه هذه العملية من نشاط عقلي غزير[2] . وإذن ، فبالرغم من عدم اتحاد الأجزاء الغريزية المختلفة وعدم وضوح الهدف الجنسي ، إلا أنه يجب أن نعتبر مرحلة النمو التي تحدث في هذه الفترة كطليعة هامة للتنظيم الجنسي النهائي فيما بعد .

ويبدو أن حدوث النمو الجنسي عند الإنسان في مرحلتين ، أي توقف النمو أثناء مرحلة الكمون ، يستحق أن نوليه انتباهاً خاصاً . إذ يبدو أن هذا هو أحد الشروط الضرورية لاستعداد الناس لتكوين حضارة راقية ، غير أنه أيضاً أحد الشروط الضرورية لميلهم إلى العصاب . وعلى حسب ما نعلم ، لا يوجد شيء شبيه لذلك بين أقارب الإنسان من الحيوانات . ويبدو أنه يجب أن نبحث عن أصل هذه الظاهرة الخاصة بالإنسان فيما قبل التاريخ لدى النوع الإنساني .

لم يكن من المستطاع لنا أن نحدد مقدار النشاط الجنسي الذي يمكن أن يحدث أثناء الطفولة دون أن يوصف بأنه شاذ ، أو بأنه معطل لاستمرار عملية النمو . ولقد تبين أن طبيعة هذه المظاهر الجنسية استمنائية في أغلب الأمر . وبينت لنا خبرتنا أيضاً أن التأثيرات الخارجية الخاصة بالإغواء تستطيع أن تؤدي إلى توقفات في مرحلة الكمون ، أو قد تؤدي

---

(١) [أضيفت العبارة الأخيرة في ١٩٢٤ .]

(٢) [راجع نهاية الهامش في صفحة ١٦٠ .]

أيضاً إلى إنهائها ، وأن الغريزة الجنسية عند الأطفال ، في هذا الصدد ، تبدو في حقيقة الأمر منحرفة على أشكال متعددة . وفضلاً عن ذلك ، فإنه يبدو أن أي نشاط جنسي مبكر من هذا النوع يقلل من قابلية الطفل للتعليم .

وبالرغم مِن الثغرات الموجودة في معرفتنا للحياة الجنسية الطفلية ، فقد كان من الواجب علينا أن نقدم على محاولة بحث التغيرات التي تحدث فيها حينما تحل مرحلة البلوغ . وقد اخترنا اثنين من هذه التغيرات على اعتبار أنهما تغيران حاسمان : خضوع جميع المصادر الأخرى للتهيج الجنسي تحت أولية المناطق التناسلية ، وعملية الحصول على موضوع . وكلا هذين التغيرين قد خططت معالمهما من قبل أثنا الطفولة . ويتم التغير الأول عن طريق آلية استخدام اللذة التمهيدية : فالأفعال الجنسية التي كانت من قبل مستقلة ومرتبطة باللذة والتهيج تصبح عمليات تمهيدية للهدف الجنسي الجديد (تفريغ الإفرازات الجنسية) ، ويؤدي بلوغ هذا الهدف ، وهو أمر لذيذ للغاية ، إلى إنهاء التهيج الجنسي . وكان علينا في هذا الصدد أن ندخل في اعتبارنا تمايز الجنس إلى ذكر وأنثى ؛ وقد وجدنا أنه من الضروري لكي تصبح الطفلة امرأة أن تحدث مرحلة أخرى من الكبت الذي يتخلص من جزء من الذكورة الطفلية ويعد المرأة لتغيير منطقتها التناسلية الرئيسية . وفيما يتعلق باختيار الموضوع ، فقد وجدنا أنه يتخذ اتجاهه من علامات الميل الجنسي (التي تنبعث من جديد أثناء البلوغ) التي يبديها الطفل نحو والديه والأشخاص الآخرين الذين يعنون به ، والتي تحولت بعيداً عنهم واتجهت إلى أشخاص آخرين يشبهونهم بسبب العائق الذي يقوم في ذلك الوقت ضد الاتصال الجنسي بالمحارم . وأخيراً ، يجب أن نضيف أنه أثناء مرحلة البلوغ الانتقالية تستمر عمليتا النمو البدني والنفسي لفترة ما جنباً إلى جنب ، ومستقلة الواحدة منهما عن الأخرى ، حتى يظهر دافع نفسي شبقي شديد يقوم بتهييج الأعضاء

التناسلية ، فيؤدي ذلك إلى توحيد الوظيفة الشبقية ، وهو أمر ضروري للسواء .

عوامل معوّقة للنمو

إن كل خطوة في هذا الطريق الطويل للنمو يمكن أن تصبح نقطة تثبيت ، وإن كل نقطة اتصال في هذا التركيب المعقد يمكن أن تهيِّئ فرصة لتفكك الغريزة الجنسية ، كما سبق أن بيّنّا بأمثلة كثيرة[1]. ولا زال أمامنا أن تحصي العوامل المتعددة الداخلية والخارجية التي تعوق النمو ، وأن نبين الموضع في الآلية الذي يتأثر بالاضطراب الذي يصدر عن كل عامل من هذه العوامل . إن العوامل التي سنحصيها لا يمكن بطبيعة الحال أن تكون متساوية في الأهمية ، ويجب أن نتوقع صعوبات في تحديد القيمة المناسبة لكل عامل منها .

الجِبِلّة والوراثة :

يجب أولاً وقبل كل شيء أن نذكر التنوع الفطري للجِبِلاّت الجنسية التي يحتمل أن تقع عليها المسؤولية الرئيسية ، غير أنه من الواضح أن وجودها يمكن أن يُستدَل عليه فقط من مظاهرها التي تشاهد فيما بعد ، ولكن مع ذلك فلسنا دائماً نستدل عليها بوضوح كبير . ونحن نتصور هذا التنوّع كأنه تغلّب أحد المصادر الكثيرة للتهيج الجنسي ، وإن من

---

(١) [لا تتناول هذه الرسائل المشكلة الأخرى الخاصة بوجود علاقة ممكنة بين نقطة التثبيت ونوع العصاب الناشئ - مشكلة «اختيار العصاب» - بالرغم من أنها كانت تشغل تفكير فرويد منذ مدة طويلة . انظر ، مثلاً ، رسالتيه إلى فليس في ٣٠ من مايو ، ١٨٩٦ ، وفي ٩ من ديسمبر ، ١٨٩٩ (الرسالتان رقم ٤٦ و ١٢٥، Freud, 195a) . وقد لمس فرويد هذا الموضوع في مقالة معاصرة تقريباً للكتاب الحالي (1906a, Standard Ed., 7, 275) وناقشها بتفصيل أكثر في مقالة تالية عن «الاستعداد للعصاب الوسواسي» (1913i).]

رأينا أن مثل هذا النوع من الاختلاف في الاستعداد يظهر دائماً في النتيجة النهائية ، حتى ولو كانت هذه النتيجة لا تتجاوز حدود ما هو سويّ . ولا شك أنه من الممكن أن نتصور أنه قد توجد أيضاً في الاستعداد الأصلي تغيرات من نوع يجب أن يؤدي حتماً ، وبدون مساعدة أي عامل آخر ، إلى نشوء حياة جنسية شاذة . ويجب وصف هذه التغيرات بأنها « انحلالية » ، ويجب أن نعتبرها كأنها علامة على انحلال وراثي . ويجب أن أسجل في هذا الصدد حقيقة جديرة بالملاحظة . لقد أمكنني أن أثبت على وجه التأكيد في أكثر من نصف الحالات الشديدة من الهستيريا والعصاب الوسواسي ، الخ ... التي عالجتها علاجاً نفسياً أن أبا المريض كان مصاباً بالزهري قبل الزواج ، سواء كانت توجد أدلة على وجود حالة هُزَال أو شلل عام ، أو سواء بيَّن تاريخ المرض بطريقة أخرى وجود مرض زهري . وأود أن أبيّن بوضوح تام أن الأطفال الذين أصبحوا فيما بعد عصابيين لم يحملوا أية علامات بدنية لوجود زهري وراثي ، ولذلك كان من الضروري أن نعتبر أن جبلتهم الجنسية الشاذة هي الصدى الأخير لتوارث الزهري . وبالرغم من أنني لا أود أن أؤكد أن الانحدار من آباء مصابين بالزهري شرط تشخيصي ثابت وضروري للجبلة العصابية ، إلا أنني مع ذلك أرى أن هذا الاتفاق الذي لاحظته ليس أمراً عَرَضياً ، كما أنه ليس قليل الأهمية .

إن الشروط الوراثية في حالة المنحرفين الإيجابيين غير معروفة معرفة جيدة ، وذلك لأنهم يعرفون كيف يتجنبون البحث . غير أنه توجد أدلة قوية تبرر أن نفترض أن ما هو صحيح بالنسبة للأمراض العصابية ينطبق أيضاً على الانحرافات . فليس من الأمور النادرة أن نجد الانحرافات والأمراض العصابية النفسية تحدث في نفس الأسرة ، وتكون موزعة بين الجنسين بحيث يكون الأفراد الذكور في الأسرة ، أو أحدهم ، منحرفين إيجابيين ، بينما تكون الإناث ، تبعاً لميل جنسهن إلى الكبت ،

منحرفات سلبيات ، أي هستيريات[1] . وهذا دليل جيد على العلاقات الجوهرية التي بيّنّا أنها توجد بين هذين الاضطرابين .

تعديل إضافي :

وليس من الممكن ، من جهة أخرى ، أن نتبنى الرأي الذي يذهب إلى أنه بظهور الأجزاء المختلفة للجبلة الجنسية ، تتحدد بوضوح الصورة التي ستتخذها الحياة الجنسية تحديداً نهائياً . بل على العكس ، إن عملية التحديد تستمر ، وقد تظهر احتمالات أخرى تبعاً للتغيرات التي تطرأ على التيارات الجنسية الفرعية التي تنبثق من مصادر متفرقة . إن هذا التعديل الإضافي هو بوضوح ما يؤدي إلى النتيجة الحاسمة ، وإن الجبلات التي قد توصف بأنها واحدة يمكن أن تؤدي إلى ثلاث نتائج نهائية مختلفة :

[١] فإذا استمرت العلاقة بين جميع الاستعدادات المختلفة ـ وهي علاقة سنفترض أنها شاذة ـ ، وإذا ازدادت قوتها أثناء النضج ، فإن النتيجة يمكن أن تكون فقط حياة جنسية شاذة . إن تحليل الاستعدادات الجِبِلّية الشاذة التي من هذا النوع لم يتحقق بعد بطريقة سليمة . ولكننا نعلم بالفعل حالات يمكن تفسيرها بسهولة على مثل هذا الأساس . وقد أكّد الكتّاب في هذا الموضوع [انظر صفحة ٤٩] ، مثلاً ، أن الشرط الضروري لعدد كبير من التثبيتات المنحرفة يرجع إلى ضعف فطري في الغريزة الجنسية . ويبدو لي أنه لا يمكن تأييد هذا الرأي بهذه الصورة . ولكنه يصبح مقبولاً ، إذا كان المقصود هو الضعف الجِبِلّي لعامل واحد معين في الغريزة الجنسية ، وبالذات المنطقة التناسلية ـ وهي المنطقة التي تتولى مهمة جمع الأنشطة الجنسية المتفرقة من أجل أغراض التناسل .

---

(١) [ذكرت شجرة أسرة تفصيلية من هذا النوع في رسالة إلى فليس بتاريخ ١١ من يناير ، ١٨٩٧ (الرسالة رقم ٥٥ ,(Freud, 1950a .]

وذلك لأنه إذا كانت المنطقة التناسلية ضعيفة ، فإن هذا الجمع الذي يجب أن يحدث أثناء البلوغ سينتهي حتماً إلى الفشل ، وتأخذ أقوى الأجزاء الجنسية الأخرى في الاستمرار في نشاطها في صورة انحراف[1] .

الكبت :

[٢] وتحدث نتيجة مختلفة إذا حدث ، أثناء النمو ، إخضاع بعض الأجزاء الشديدة جداً في الاستعداد لعملية الكبت (ويجب أن نؤكد أن كبتها لا يعادل إلغاءها) . فإذا حدث هذا ، فإن التهيجات التي تخضع للكبت تستمر في تولدها كما كانت من قبل ، ولكن يقوم عائق نفسي بمنعها من بلوغ هدفها ، ثم تتحول إلى مسالك أخرى كثيرة حتى تجد وسيلتها للتعبير في صورة أعراض . وقد تكون النتيجة حياة جنسية سوية تقريباً ـ غير أنها تكون عادة مقيدة ـ ولكن يوجد بالإضافة مرض عصابي نفسي . وقد أصبحت هذه الحالات الخاصة معروفة لنا من فحص العصابيين بطريقة التحليل النفسي . فحياتهم الجنسية تبدأ مثل الحياة الجنسية للمنحرفين ، ويشغل النشاط الجنسي المنحرف جزءاً كبيراً من طفولتهم ، وقد يستمر هذا النشاط أحياناً إلى فترة النضج . ثم يحدث حينذاك انقلاب بسبب الكبت وناشئ عن أسباب داخلية (وفي العادة قبل البلوغ ، ولكن يحدث أيضاً من وقت إلى آخر بعد البلوغ بفترة طويلة) ، ويأخذ العصاب منذ ذلك الوقت يحل محل الانحراف ، دون أن تزول الدوافع القديمة . ويذكرنا ذلك بالمثل القائل : « فاسق في صباه ، وقديس في شيخوخته » ، غير أن الصبا هنا قد استمر مدة قصيرة جداً . إن

---

(١) [هامش أضيف ١٩١٥ :] نجد كثيراً في مثل هذه الحالات أن تياراً جنسياً سوياً يبدأ نشاطه لأول مرة أثناء البلوغ ، ولكنه ينهار ، بسبب ضعفه الداخلي ، أمام العقبات الخارجية الأولى ، ثم يحل محله نكوص إلى التثبيت المنحرف .

حقيقة إمكان استبدال العصاب بالانحراف في حياة الشخص الواحد ، مثلها مثل الحقيقة التي أشرنا إليها من قبل وهي أنه من الممكن أن يكون الانحراف والعصاب موزعين بين الأفراد المختلفين في الأسرة الواحدة ، إنما تتفق مع الرأي القائل بأن العصاب هو الصورة السلبية للانحراف .

الإعلاء :

[٣] إن النتيجة الثالثة البديلة للاستعداد الجِبِلي الشاذ يمكن أن تحدث عن طريق عملية الإعلاء . فهي تمكن التهيجات الشديدة للغاية التي تصدر عن مصادر جنسية معيّنة من أن تجد متنفساً واستخداماً في مجالات أخرى ، بحيث تنتج عن الاستعداد الخطير في ذاته زيادة الفعالية النفسية زيادة غير قليلة . ونجد هنا أحد مصادر النشاط الفني ، وقد يكشف التحليل الخُلُقي لشخص موهوب جداً ، وعلى الأخص لشخص ذي استعداد فني ، عن وجود مزيج من الفعّالية والانحراف والعصاب في جميع النسب ، تبعاً لحدوث الإعلاء بشكل تام أو غير تام . ويوجد نوع أدنى من الإعلاء في القمع الذي يتم عن طريق تكوين رد الفعل ، الذي يبدأ ، كما سبق أن رأينا ، أثناء مرحلة الكمون لدى الطفل ، ويستمر في الحالات الملائمة طوال حياة الطفل كلها . إن ما نسميه « خُلُق » الفرد إنما يتكون إلى حد كبير من مادة التهيجات الجنسية ، ويتألف من الغرائز التي تثبتت منذ الطفولة ، ومن الأبنية التي تم إنجازها عن طريق الإعلاء ، ومن الأبنية الأخرى التي تستخدم في قمع الدوافع المنحرفة بطريقة فعالة ، وهي الدوافع التي تبين أنها غير قابلة للاستخدام[١] .

(١) [هامش أضيف ١٩٢٠] لقد كان من الممكن أيضاً في حالة بعض سمات الخُلُق أن نجد علاقة بينها وبين أجزاء شبقية معينة . فينشأ العناد ، والاقتصاد ، والنظام ، على هذا النحو ، من استغلال الشبقية الشرجية ، بينما يرجع الطموح إلى استعداد شديد لشبقية مجرى البول . [انظر الفقرة الأخيرة من : Freud, 1908b .]

ويمكن ، تبعاً لذلك ، أن نعتبر الاستعداد الجنسي للانحراف المتعدد الأشكال عند الأطفال مصدر كثير من فضائلنا ، من حيث أنه يحث على تكوينها عن طريق تكوين رد الفعل (١) .

الخبرات العَرَضية :

لا توجد تأثيرات أخرى في سير النمو الجنسي يمكن أن تقارن في أهميتها بالتفريغات الجنسية ، وموجات الكبت ، وعمليات الإعلاء ــ مع أن الأسباب الداخلية للعمليتين الأخيرتين غير معروفة لنا كلية . وقد يكون من الممكن أن ندخل عمليات الكبت والإعلاء ضمن الاستعداد الجِبلي ، وذلك باعتبارها كأنها مظاهر له في الحياة ؛ وإن كل شخص يعتقد ذلك يكون على حق في زعمه أن الشكل النهائي الذي تتخذه الحياة الجنسية هو في أساسه نتيجة الجبلة الفطرية . ومع ذلك ، فلن يجادل أي شخص ذي إدراك في أن مثل هذا التفاعل بين العوامل يسمح أيضاً بحدوث تعديلات نتيجة لتأثير الحوادث العرضية التي تقع أثناء الطفولة وبعد الطفولة . وليس من السهل (٢) أن نقدر الفعّالية النسبية لكل من العوامل الجِبليّة والعوامل العَرَضية . ويميل الإنسان دائماً من الناحية النظرية إلى أن يغالي في تقدير العوامل الأولى ، غير أن الممارسة العلاجية تؤكد أهمية العوامل الثانية . ومع ذلك فيجب ألا ننسى ، على أية حال ، أن العلاقة بين هاتين المجموعتين من العوامل علاقة تعاون وليست علاقة مانعة . فيجب

---

(١) يصف اميل زولا Emile Zola ، وهو ملاحظ حاذق للطبيعة الإنسانية ، في « بهجة الحياة » كيف ضحت فتاة ، بسرور وبنكران للذات وبدون تفكير في جزاء ، بكل ما تملك أو ما تستحق أن تملك ــ عالها وآمالها ــ في سبيل الأشخاص الذين أحبتهم . لقد كانت تسيطر على هذه الفتاة في أثناء طفولتها رغبة في الحب لا تشبع ، وتحولت هذه الرغبة إلى قسوة في إحدى المناسبات حينما وجدت أنها عوملت بازدراء بسبب فتاة أخرى .

(٢) [أضيفت بقية هذه الفقرة وكل الفقرة التالية في ١٩١٥ .]

أن ينتظر العامل الجبلي حدوث بعض الخبرات حتى يستطيع أن يظهر بطريقة ملموسة ؛ ويجب أن يكون للعامل العرضي أساس جبلي حتى يمكن أن يؤثر . ولكي نشمل معظم الحالات يمكن أن نتصور ما كنا بصدد وصفه بأنه « سلسلة متكاملة »[1]، بحيث يتوازن فيها النقص في شدة أحد العاملين بزيادة الشدة في العامل الآخر . ومع ذلك فليس هناك مبرر لإنكار وجود حالات متطرفة في طرفي السلسلة .

ولعلنا نكون أيضاً أكثر اتفاقاً مع البحث التحليلي النفسي إذا أعطينا لخبرات الطفولة المبكرة الأفضلية من بين العوامل العرَضية . إن السلسلة الوحيدة للعوامل المسببة للمرض تنقسم ، إذن ، إلى اثنتين يمكن أن نسميهما « استعدادية » و « حاسمة » . وتتفاعل في السلسلة الأولى الجبلة والخبرات العرضية أثناء الطفولة بنفس الطريقة التي يتفاعل بها في السلسلة الثانية الاستعداد والخبرات الصادمة التي تقع فيما بعد . ويظهر تأثير جميع العوامل التي تعوق النمو الجنسي في إحداثها للنكوص ، أي العود إلى مرحلة مبكرة من مراحل النمو .

دعنا الآن نستأنف مهمتنا الخاصة بإحصاء العوامل التي وجدنا أنها تؤثر في النمو الجنسي ، سواء أكانت قوى فعّالة بذاتها ، أم كانت مظاهر فقط لمثل هذه القوى الفعّالة .

النضج المبكر :

ومن هذه العوامل النضج الجنسي المبكر التلقائي الذي يمكن ، على الأقل ، أن نثبت وجوده على وجه التأكيد في بحثنا عن أسباب الأمراض العصابية ، وإن كان ليس في ذاته سبباً كافياً ، شأنه في ذلك شأن العوامل الأخرى . ويظهر أثر هذا العامل في توقف فترة الكمون الطفلية أو في اختصارها أو إنهائها ؛ وهو يصبح سبباً للاضطرابات لأنه يبعث بعض المظاهر الجنسية التي لا بد أن تظهر في صورة انحرافات لأن الكفّ

الجنسي لم يكتمل بعد من جهة ، ولأن الجهاز التناسلي لم ينم بعد من جهة أخرى . وقد تستمر هذه الميول نحو الانحراف فيما بعد كما هي ، أو قد تصبح ، بعد أن يبدأ الكبت ، القوى المحركة للأعراض العصابية . وعلى أية حال ، فإن النضج الجنسي المبكر يجعل من الصعب جداً أن يتحقق تحكم الوظائف العقلية العليا فيما بعد في الغريزة الجنسية ، وهو أمر مرغوب فيه جداً ، كما أنه يزيد من صفة الاندفاعية التي ـ بصرف النظر عن هذا الموضوع ـ تميز التصورات النفسية للغريزة . وكثيراً ما يظهر النضج الجنسي المبكر مصاحباً للنموّ العقلي المبكر ، وهو يوجد مصاحباً له في تاريخ طفولة الأشخاص الذين يكونون من أكثر الناس تفوقاً وقدرة . ويبدو أن نتائجه في مثل هذه الحالات لا تكون مسببة للمرض كما يحدث حينما يظهر وحده(١) .

عوامل زمنية :

إن بعض العوامل الأخرى التي يمكن أن ندخلها ، مثل النضج المبكر ، تحت العوامل الزمنية ، تستحق أيضاً أن نوليها انتباهنا . إنه يبدو أن نشوء النوع هو الذي يحدد ترتيب ظهور نشاط الدوافع الغريزية المختلفة ، كما يبدو أنه هو أيضاً الذي يحدد طول الزمن الذي تستطيع هذه الدوافع الغريزية أن تعبر عن نفسها أثناءه قبل أن تخضع لتأثيرات بعض الدوافع الغريزية الجديدة التي تظهر بعد ذلك ، أو قبل أن تخضع للكبت النموذجي . ولكن يبدو أنه تحدث بعض الاختلافات سواء في الترتيب الزمني أو في المدة ، وأن هذه الاختلافات تؤثر حتماً في تحديد النتيجة النهائية . فليس

(١) [راجع بعض الملاحظات عن هذا الموضوع في تاريخ حالة هانس الصغير Little Hans (1909b) ،قريباً من بداية القسم الثالث من الفصل الثالث ـ وقد أضيفت الفقرة التالية في ١٩١٥ .]

من الممكن أن يكون الأمر سيان سواء ظهر تيار معيَّن قبل تيار آخر يسير في الاتجاه المضاد أو سواء ظهر بعده ، إذ أنه لا يمكن إبطال نتيجة الكبت . فالاختلافات في الترتيب الزمني الذي يتم به تجمعها يؤدي في العادة إلى فرق في النتيجة . ومن جهة أخرى ، إن الدوافع الغريزية التي تظهر بشدة خاصة كثيراً ما تستمر لمدة قصيرة تدعو إلى الدهشة ـ مثل التعلق الجنسي الغيري الذي يبديه أفراد يصبحون فيما بعد مثليي الجنس بشكل واضح . ولا يوجد مبرر للخوف من أن الميول التي تبدأ في غاية الشدة أثناء الطفولة ستكون مسيطرة على خُلُق الراشد بشكل دائم ، فمن المحتمل أيضاً أن تزول هذه الميول وأن تحل محلها ميول مضادة . (إن الحكام القساة يبقون قليلاً في الحكم) .

إننا لا نستطيع أن نعطي أي تلميح عن أسباب هذه الاضطرابات الزمنية لعملية النمو . وتبدو أمامنا في هذه النقطة مجموعة من المشكلات البيولوجية ، وربما أيضاً من المشكلات التاريخية التي لم نقترب منها بعد إلى درجة كافية .

تشبث الانطباعات الأولى :

تزداد أهمية جميع المظاهر الجنسية المبكرة بفضل عامل نفسي لا نعرف مصدره ، ولكن ، يجب أن نعترف ، يمكن فقط في هذه اللحظة أن نقدمه كمفهوم سيكولوجي مؤقت . إني أقصد هذه الحقيقة وهي أنه يجب ، لكي نفسر هذا الموضوع ، أن نفترض أن هذه الانطباعات المبكرة للحياة الجنسية تتميز بتشبث شديد أو بقابلية للتثبيت عند الأشخاص الذين سيصبحون فيما بعد عصابيين أو منحرفين . ذلك لأن هذه المظاهر الجنسية المبكرة ذاتها حينما تظهر عند أشخاص آخرين لا تحدث مثل هذا الانطباع العميق ؛ ولا تميل بطريقة قهرية إلى التكرار ، كما أنها لا ترسم الطريق الذي ستسلكه الغريزة الجنسية طوال الحياة . ولعلنا نجد تفسيراً

جزئياً لهذا التشبث الذي تظهره الانطباعات المبكرة في عامل نفسي آخر لا يجب أن نغفله فيما يتعلق بأسباب الأمراض العصابية ، وهو ما في الحياة العقلية من رجحان آثار الذكريات القديمة في مقابل الانطباعات الحديثة . ويعتمد هذا العامل بوضوح على التربية العقلية ، وهو يزداد بالنسبة لدرجة ثقافة الفرد . وقد وصف الشخص البدائي على العكس من ذلك بأنه «الطفل سيِّئ الحظ الذي يعيش في لحظته الراهنة[1] » . وينتج عن العلاقة العكسية القائمة بين الحضارة والنمو الحر للجنسية ، تلك العلاقة التي يمكن أن نتتبع نتائجها في أعماق كياننا ، أن يصبح الطريق الذي تسلكه الحياة الجنسية للطفل غير ذي أهمية بالنسبة للحياة المستقبلية حيث يكون المستوى الثقافي والاجتماعي منخفضاً نسبياً ، كما أنه يصبح مهماً حيث يكون هذا المستوى عالياً نسبياً .

التثبيت :

إن التأثير الذي تتركه العوامل النفسية التي ذكرناها فيما سبق يهيئ الأساس الملائم لمثل هذه التنبيهات العرضية للناحية الجنسية عند الطفل . وتهيئ هذه التنبيهات الأخيرة (وأولها وأهمها الإغواء الذي يقوم به أطفال آخرون أو راشدون) المادة التي يمكن أن تتثبت في صورة اضطراب دائم بمساعدة العوامل الأولى . إن جزءاً كبيراً من الانحرافات عن الحياة الجنسية السوية التي تلاحظ فيما بعد عند كل من العصابيين والمنحرفين تنشأ على هذا النحو في أول الأمر عن انطباعات الطفولة ـ وهي مرحلة تعتبر خالية من النشاط الجنسي . إن السببية موزعة بين كل من الجبِلّة

(١) من الممكن أيضاً أن يكون ازدياد التشبث نتيجة لوجود مظاهر جنسية بدنية شديدة على وجه خاص في السنوات المبكرة .

المطيعة ، والنضج المبكر ، وخاصية التشبث الشديد للانطباعات المبكرة ، وتنبيه الغريزة الجنسية عن طريق الصدفة بوساطة مؤثرات خارجية .

إن النتيجة غير المُرْضية التي نصل إليها من هذه الأبحاث في اضطرابات الحياة الجنسية هي أننا نعرف قليلاً جداً عن العمليات البيولوجية التي تكون جوهر الجنسية بحيث لا نستطيع أن نكوّن من معلوماتنا المتناثرة نظرية ملائمة تمكننا من فهم الحالات السوية والمرضية على السواء .

المـراجـع

ABRAHAM, K. (1916) 'Untersuchungen über die früheste prägenitale Entwicklungsstufe der Libido', *Int. Z. Psychoanal.*, 4, 71. [Trans.: 'The First Pregenital Stage of the Libido", *Selected Papers*, London, 1927, Chap. XII.]

(1924) *Versuch einer Entwicklungsgeschichte der Libido*, Vienna. [Trans.: "A Short Study of the Development of the Libido", *Selected Papers*, London, 1927, Chap. XXVI.]

ADLER, A. (1907) *Studie über Minderwertigkeit von Organen*, Vienna.

ANDREAS-SALOMÉ, L. (1916) '"Anal" und "Sexual"', *Imago* 4, 249.

ARDUIN (1900) 'Die Frauenfrage und die sexuellen Zwischenstufen', *Jb. sex. Zwischenst.*, **2**.

BALDWIN, J. M. (1895) *Mental Development in the Child and the Race*, New York.

BAYER, H. (1902) 'Zur Entwicklungsgeschichte der Gebärmutter', *Dtsch. Arch. klin. Med.*, **73**, 422.

BELL, J. SANFORD (1902) 'A Preliminary Study of the Emotion of Love between the Sexes', Amer. *J. Psychol.*, 13, 325.

BINET, A. (1888) *Études de psychologie expérimentale: le fétichisme dans l'amour*, Paris.

BLEULER, E. (1908) 'Sexuelle Abnormitäten der Kinder', *Jb. schweiz, Ges. Schulgesundh. Pfl.*, 9, 623.

(1913) 'Der Sexualwiderstand', *Jb. Psychoanal. psychopath. Forsch.*, 5, 442.

BLOCH, I. (1902-3) *Beiträge zur Ätiologie der Psychopathia sexualis* (2 vols.), Dresden.

BREUER, J., and FREUD, S. (1893) See FREUD, S. (1893 a).
(1895) See FREUD, S. (1895 d).

CHEVALIER, J. (1893) *L'inversion sexuelle,* Lyon.

DESSOIR, M. (1894) 'Zur Psychologie der Vita sexualis', *Allg. Z. Psychiat.,* 50, 941.

DISKUSSIONEN DER WIENER PSYCHOANALYTISCHEN VEREINIGUNG (1912) II, 'Die Onanie', Wiesbaden.

ELLIS, HAVELOCK (1910) *Studies in the Psychology of Sex,* Vol. I: *The Evolution of Modesty; the Phenomena of Sexual Periodicity; and Auto-erotism,* 3rd ed., Philadelphia. (Ist ed., 'Leipzig' [London], 1899.)

(1913) *Studies in the Psychology of Sex,* Vol. III: *Analysis of the Sexual Impulse; Love and Pain; the Sexual Impulse in Women,* 2nd ed.. Philadelphia. (Ist ed., Philadelphia, 1903.)

(1915) *Studies in the Psychology of Sex,* Vol. II: *Sexual Inversion,* 3rd ed., Philadelphia. (Ist Engl. ed., London, 1897.)

(1928) 'The Conception of Narcissism', *Studies in the Psychology of* Sex, Vol. VII: *Eonism, etc.,* Philadelphia, Chap. VI.

FERENCZI, S. (1909) 'Introjektion und Ubertragung', *Jb. Psychoanal. psychopath. Forsch.,* 1, 422.

[*Trans.:* 'Introjection and Transference', *First Contributions to Psycho-Analysis,* London, 1952, Chap. II.]

(1914) 'Zur Nosologie der männlichen Homosexualität (Homoërotik)', *Int. Z. Psychoanal.,* 2, 131.

[*Trans.:* 'The Nosology of Male Homosexuality (Homoerotism)', *First Contributions to Psycho-Analysis,* London, 1952, Chap. XII.]

(1920) Review of Lipschütz, Die *Pubertätsdrüse, Int. Z. Psychoanal.,* 6, 84.

[*Trans.: Int. J. Psycho-Anal.,* 2 (1921), 143.]

(1924) *Versuch einer Genitaltheorie,* Vienna.

[*Trans.: Thalassa, a Theory of Genitality,* New York, 1938.]

FLIESS, W. (1906) *Der Ablauf des Lebens,* Vienna.

FREUD, S. (1893a) With BREUER, J., Uber den psychischen Mechanismus hysterischer Phänomene: Vorläufige Mitteilung', *G. S.,* 1, 7; *G.W.,* 1, 81. (xi).

[*Trans.:* 'On the Psychical Mechanism of Hysterical Phenome-

na: A Preliminary Communication', C. P., 1, 24; *Standard Ed.,* 2, 3.]

(1895b) 'Uber die Berechtigung, von der Neurasthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als "Angstneurose" abzutrennen', *G. S.,* 1, 306; *G. W.,* 1, 313.

[*Trans.:* 'On the Grounds for Detaching a particular Syndrome from Neurasthenia under the Description "Anxiety Neurosis", *C. P.,* 1, 76; *Standard Ed.,* 3, 87.]

(1895 d) With BREUER, J., *Studien über Hysterie,* Vienna. *(G. S.,* 1; *G. W.,* 1, 75. Omitting Breuer's contributions.)

[*Trans.: Studies on Hysteria, Standard Ed.,* 2; *I. P. L.,* 50.]

(1896b) 'Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen' *G. S.,* 1, 363; *G. W.,* 1, 377.

[*Trans.:* 'Further Remarks on the Neuro-Psychoses of Defence', *C. P.,* 1, 155; *Standard Ed.,* 3, 159.]

(1896c) 'Zur Ätiologie der Hysterie', *G. S.,* 1, 404; *G. W.,* 1, 423.

[*Trans.:* 'The Aetiology of Hysteria', *C. P.,* 1, 183; *Standard Ed.,* 3, 189.]

(1898 a) 'Die Sexualität in der Ätiologie der Neurosen', *G. S.,* 1, 439; *G. W.,* 1, 489.

[*Trans.:* 'Sexuality in the Aetiology of the Neuroses', *C. P.,* 1, 220; *Standard Ed.,* 3, 261].

(1899a) 'Uber Deckerinnerungen', *G. S.,* 1, 465; *G. W.,* 1, 529.

[*Trans.:* 'Screen Memories', *C. P.,* 5, 47; *Standard Ed.,* 3, 301.]

(1900a) *Die Traumdeutung,* Vienna. *(G. S.,* 2-3; *G. W.,* 2-3.)

[*Trans.: The Interpretation of Dreams,* London and New York, 1955; *Standard Ed.,* 4-5.]

(1901a) *Uber den Traum.* Wiesbaden. *(G. S.,* 3, 189; *G. W.,* 2-3, 643.)

[*Trans.: On Dreams,* London, 1951; *Standard Ed.,* 5, 629.]

(1901b) *Zur Psychopathologie des Alltagslebens,* Berlin. *(G. S.,* 4; *G. W.,* 4.)

[*Trans.: The Psychopathology of Everyday Life, Standard, Ed.,* 6.]

(1905b) 'Psychische Behandlung (Seelenbehandlung)', *G. W.,* 5, 289.

[*Trans.:* 'Psychical (or Mental) Treatment', *Standard Ed.,* 7, 283.]

(1905 c) *Der Witz und seine Beziehung zum Unbewussten*, Vienna. (*G. S.*, 9, 5; *G. W.*, 6.)
[*Trans.: Jokes and their Relation to the Unconscious*, London, 1960; *Standard Ed.*, 8.]
(1905d) *Drei Abhandlungen zur Sexual:heorie;* Vienna. (*G. S.*, 5, 3; *G. W.*, 5, 29.)
[*Trans.: Three Essays on the Theory of sexuality, Standard Ed.*, 7, 125; *I. P. L.*, 57.]
(1905e) 'Bruchstück einer Hysterie-Analyse', *G. S.*, 8, 3; *G. W.*, 5, 163.
[*Trans.:* 'Fragment of an Analysis of a Case of Hysteria', *C. P.*, 3, 13; *Standard Ed.*, 7, 3.]
(1906a) 'Meine Ansichten über die Rolle der sexualität in der Ätiologie der Neurosen', *G. S.*, 5, 123; *G. W.*, 5, 149.
[*Trans.:* 'My Views on the Part Played by Sexuality in the Aetiology of the Neuroses', *C. P.*, 1, 272; *Standard Ed.*, 7, 271.]
(1907c) 'Zur sexuellen Aufklärung der Kinder', *G. S.*, 5, 134; *G.W.*, 7, 19.
[*Trans.:* 'The Sexual Enlightenment of Children', C. P., 2, 36; *Standard Ed.*, 9, 131.]
(1908b) 'Charakter und Analerotik', *G. S.*, 5, 261; *G. W.*, 7, 203.
[*Trans.:* 'Character and Anal Erotism', *C. P.*, 2, 45; *Standard Ed.*, 9, 169.]
(1908c) 'Uber infantile Sexualtheorien', *G. S.*, 5, 168; G.W., 7, 171.
[*Trans.:* 'On the Sexual Theories of Children', *C. P.*, 2, 59; *Standard Ed.*, 9, 207.]
(1908d) 'Die "kulturelle" Sexualmoral und die moderne Nervosität', *G. S.*, 5, 143; *G. W.*, 7, 143.
[*Trans.:* ' "Civilized" Sexual Morality and Modern Nervous Illness', *C. P.*, 2, 76; *Standard Ed.*, 9, 179.]
(1908e) 'Der Dichter und das Phantasieren', *G. S.*, 10, 229; *G. W.*, 7, 213.
[*Trans.:* 'Creative Writers and Day-Dreaming', *C. P.*, 4, 173; *Standard Ed.*, 9, 143.]
(1909b) 'Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben', *G. S.*, 8, 129; *G. W.*, 7, 243.

[*Trans.*: 'Analysis of a Phobia in a Five-Year-Old Boy', *C. P.*, 3, 149; *Standard Ed.*, 10, 3.]
(1909c) 'Der Familienroman der Neurotiker', *G. S.*, 12, 371; *G.W.*, 7, 227.
[*Trans.*: 'Family Romances', *C. P.*, 2, 74; *Standard Ed.*, 9, 237.]
(1909d) 'Bemerkungen über einen Fall von Zwangsneurose', *G. S.*, 8, 269; *G. W.*, 7, 381.
[*Trans.*: 'Notes on a Case of Obsessional Neurosis', *C. P.*, 3, 293; *Standard Ed.*, 10, 155.]
(1910a) *Über Psychoanalyse*, Vienna. (*G. S.*, 4, 349; *G. W.*, 8, 3.)
[*Trans.*: *Five Lectures on Psycho-Analysis*, *Standard Ed.*, 11, 3.]
(1910 c) *Eine Kindheitserinnerung des Leonardo da Vinci Vienna.* (*G. S.*, 9, 371; *G.W.*, 8, 128.)
[*Trans.*: *Leonardo da Vinci and a Memory of his Childhood*, New York, 1916; *Standard Ed.*, 11, 59.]
(1910h) 'Uber einen besonderen Typus der Objektwahl beim Manne', *G. S.*, 5, 186; *G. W.*, 8, 66.
[*Trans.*: 'A Special Type of Choice of Object made by Men', *C. P.*, 4, 192; *Standard Ed.*, 11, 165.]
(1912c) 'Uber neurotische Erkrankungstypen', *G. S.*, 5, 400; *G. W.*, 8, 322.
[*Trans.*: 'Types of Onset of Neurosis', *C. P.*, 2, 113; *Standard Ed.*, 12, 229.]
(1912d) 'Uber die allgemeinste Erniedrigung des Liebeslebens', *G. S.*, 5, 198; *G. W.*, 8, 78.
[*Trans.*: 'On the Universal Tendency to Debasement in the Sphere of Love', *C. P.*, 4, 203; *Standard Ed.*, 11, 179.]
(1912f) 'Zur Onanie-Diskussion', *G. S.*, 3, 324; *G. W.*, 8, 332.
[*Trans.*: 'Contributions to a Discussion on Masturbation', *Standard Ed.*, 12, 243.]
(1912-13) *Totem und Tobu*, Vienna, 1913. (*G. S.*, 10, 3; *G.W.*, 9.)
[*Trans.*: *Totem and Taboo*, London, 1950; *Standard Ed.*, 13, 13.]
(1913i) 'Die Disposition zur Zwangsneurose', *G. S.*, 5, 277; *G.W.*, 8, 442.
[*Trans.*: 'The Disposition to Obsessional Neurosis', *C. P.*, 2 122; *Standard Ed.*, 12, 313.]

(1913j) 'Das Interesse an der Psychoanalyse', *G. S.*, 4, 313; *G.W.*, 8, 390.
[*Trans.*: 'The Claims of Psycho-Analysis to Scientific Interest', *Standard Ed.*, 13, 165.]
(1913k) Geleitwort zu Bourke *Der Unrat in Sitte, Brauch, Glauben und Gewohnheitsrecht der Völker*', Leipzig. (*G. S.*, 11, 249; *G.W.*, 10, 453.)
[*Trans.*: 'Preface to Bourke's *Scatalogic Rites of All Nations*', *C. P.*, 5, 88; *Standard Ed.*, 12, 335.]
(1914c) 'Zur Einführung des Narzissmus', *G. S.*, 6, 155; *G.W.*, 10, 138.
[*Trans.*: 'On Narcissism: an Introduction', *C. P.*, 4, 30; *Standard Ed.*, 14, 69.]
(1914d) 'Zur Geschichte der Psychoanalytischen Bewegung', *G. S.*, 4, 411; *G. W.*, 10, 44.
[*Trans.*: 'On the History of the Psycho-Analytic Movement', *C. P.*, 1, 287; *Standard Ed.*, 14, 3.]
(1915c) 'Triebe und Triebschicksale', *G. S.*, 5, 443; *G. W.*, 10, 210.
[*Trans.*: 'Instincts and their Vicissitudes', *C. P.*, 4, 60; *Standard Ed.*, 14, 111.]
(1915d) 'Die Verdrängung', *G. S.*, 5, 466; *G. W.*, 10, 248.
[*Trans.*: 'Repression', *C. P.*, 4, 84; *Standard Ed.*, 14, 143.]
(1915*f*) 'Mitteilung eines der Psychoanalytischen Theorie widersprechenden Falles von Paranoia', *G. S.*, 5, 288; *G. &.*, 10, 234.
[*Trans.*: 'A Case of Paranoia Running Counter to the Psycho-Analytic Theory of the Disease', *C. P.*, 2, 150; *Standard Ed.*, 14, 263.]
(1916-17) *Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, Vienna. (*G. S.*, 7; *G. W.*, 11.)
[*Ttans.*: *Introductory Lectures on Psycho-Analysis*, revised ed., London, 1929; *Standard Ed.*, 15-16.]
(1917c) 'Uber Triebumsetzungen insbesondere der Analerotik', *G. S.*, 5, 268; *G. W.*, 10, 402.
[*Trans.*: 'On the Transformation of Instincts with Special Reference to Anal Erotism', *C. P.*, 2, 164; *Standard Ed.*, 17, 127.]
(1918a) 'Das Tabu der Virginität, *G. S.*, 5, 212; *G. W.*, 12, 161.

[*Trans.*: 'The Taboo of Virginity', *C. P.*, 4, 217; *Standard Ed.*, 11, 193.]
(1919e) ' "Ein Kind wird geschlagen" ', *G. S.*, 5, 344s *G. W.*, 12, 197.
[*Trans.*: ' "A Child is being Beaten" ', *C. P.*, 2, 172; *Standard Ed.*, 17, 177.]
(1920a) 'Uber die Psychogenese eines Falles von weiblicher Homosexualität', *G. S.*, 5, 312; *G.W.*, 12, 271.
[*Trans.*: 'The Psychogenesis of a Case of Female Homosexuality', *C. P.*, 2, 202; *Standard Ed.*, 18, 147.]
(1920g) *Jenseits des Lustprinzips*, Vienna. (*G. S.*, 6, 191; *G. W.*, 13, 3.
[*Trans.*: *Beyond the Pleasure Principle, Standard Ed.*, 18, 3; *I. P.L.*, 4.]
(1921c) *Massenpsychologie und Ich-Analyse*, Vienna. (*G. S.*, 6, 261; *G.W.*, 13, 73.)
[*Trans.*: *Group Psychology and the Analysis of the Ego, Standard Ed.*, 18, 67; *I. P. L.*, 6.]
(1922b) 'Über einige neurotische Mechanismen bei Eifersucht, Paranoia und Homosexualität', *G. S.*, 5, 387; *G.W.*, 13, 195.
[*Trans.*: 'Some Neurotic Mechanisms in Jealousy, Paranoia and Homosexuality', C. P., 2, 232; *Standard Ed.*, 18, 223.]
(1923a [1922]) ' "Psychoanalyse" und "Libido Theorie" ', *G.S.*, 11, 201; *G.W.*, 13, 211.
[*Trans.*: 'Two Encyclopaedia Articles', *C. P.*, 5, 107; *Standard Ed.*, 18, 235.]
(1923b) *Das Ich und das Es*, Vienna. (*G. S.*, 6, 353; *G.W.*, 13, 237.)
[*Trans.*: *The Ego and the Id, Standard Ed.*, 19, 3; *I. P. L.*, 12.]
(1923e) 'Die infantile Genitalorganization', *G.S.*, 5, 232; *G.W.*, 13, 293.
[*Trans.*: 'The Infantile Genital Organization', *C. P.*, 2, 244; *Standard Ed.*, 19, 141.]
(1924c) 'Das ökonomische Problem des Masochismus', *G.S.*, 5, 374; *G.W.*, 13, 371.
[*Trans.*: 'The Economic Problem of Masochism', *C.P.*, 2, 255; *Standard Ed.*, 19, 157.]
(1924d) 'Der Untergang des Ödipuskomplexes', *G.S.*, 5, 423; *G.W.*, 13, 395.

[*Trans.*: 'The Dissolution of the Oedipus Complex', *C. P.*, 2, 269; *Standard Ed.*, 19, 173.]
(1925d[1924]) '*Selbstdarstellung*' Vienna, 1934. (*G. S.*, 11, 119; *G.W.*, 14, 33.)
[*Trans.*: *An Autobiographical Study*, London and New York, 1935; *Standard Ed.*, 20, 3.]
(1925h) 'Die Verneinung' *G.S.*, 11, 3; *G.W.*, 14, 11.
[*Trans.*: 'Negation', *C. P.*, 5, 181; *Standard Ed.*, 19, 235.]
(1925j) 'Einige Psychische Folgen des anatomischen Geschlechtsunterschieds', *G.S.*, 11, 8; *G.W.*, 14, 19.
[*Trans.*: 'Some Psychical Consequences of the Anatomical Distinction between the Sexes', *C.P.*, 5, 186; *Standard Ed.*, 19, 243.]
(1926d) *Hemmung, Symptom und Angst,* Vienna. (*G.S.*, 11, 23; *G.W.*, 13, 113.)
[*Trans.*: *Inhibitions, Symptoms and Anxiety, Standard Ed.*, 20, 77; *I.P.L.*, 28.]
(1927e) 'Fetischismus', *G.S.*, 11, 395; *G.W.*, 14, 311.
[*Trans.*: 'Fetishism', *C. P.*, 5, 198; *Standard Ed.*, 21, 149.]
(1930a) *Das Unbehagen in der kultur,* Vienna. (*G.S.*, 12, 29; *G.W.*, 14, 421.)
[*Trans.*: *Civilization and its Discontents,* London, 1930; New York, 1961; *Standard Ed.*, 21, 59.]
(1931a) 'Über libidinöse Typen', *G.S.*, 12, 115; *G. W.*, 14, 509.
[*Trans.*: 'Libidinal Types', *C.P.*, 5, 247; *Standard Ed.*, 21, 215.]
(1931b) 'Über die weibliche Sexualität', *G.S.*, 12, 120; *G.W.*, 14, 517.
[*Trans.*: 'Female Sexuality', *C.P.*, 5, 252; *Standard Ed.*, 21, 223.]
(1933a) *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse,* Vienna. (*G.S.*, 12, 151; *G.W.*, 15.)
[*Trans.*: *New Introductory Lectures on Psycho-Analysis,* London and New York, 1933; *Standard Ed.*, 22.]
(1937c) 'Die endliche und die unendliche Analyse', *G.W.*, 16, 59.
[*Trans.*: 'Analysis Terminable and Interminable' *C.P.*, 5, 316; *Standard Ed.*, 23.]
(1940a[1938]) *Abriss der Psychoanalyse, G. W.*, 17, 67.
[*Trans.*: *An Outline of Psycho-Analysis,* London and New York, 1949; *Standard Ed.*, 23.]

(1940e[1938]) 'Die Ichspaltung im Abwehrvorgang', *G. W.*, 17, 59.

[*Trans.*: 'Splitting of the Ego in the Process of Defence', *C. P.*, 5, 372; *Standard Ed.*, 23.]

(1950a [1887-1902]) *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, London. Includes 'Entwurf einer Psychologie' 1895).

[*Trans.*: *The Origins of Psycho-Analysis*, London and New York, 1954. (Partly, including 'A Project for a Scientific Psychology', in *Standard Ed.*, 1.)]

GALANT, S. (1919) 'Sexualleben im Säuglings- und Kindesalter', *Neurol. Zbl.*, 38, 652. Reprinted, *Int. Z. Psychoanal.*, 6 (1920), 164.

GLEY, E. (1884) 'Les aberrations de l'instinct sexuel', *Revue philosophique*, 17, 66.

GROOS, K. (1899) *Die Spiele der Menschen*, Jena.

(1904) *Das Seelenleben des Kindes*, Berlin.

HALBAN, J. (1903) 'Die Entstehung der Geschlechtscharaktere', *Arch. Gynaek.*, 70, 205.

(1904) 'Schwangerschaftsreaktionen der fötalen Orange und ihre puerperale Involution', *Z. Geburtsh. Gynäk.*, 53, 191.

HALL, G. STANLEY (1904) *Adolescence: its Psychology and its relatione to Physiology, Anthropology, Sociology, Sex, Crime, Religion and Education*, 2 vols., New York.

HELLER, T. (1904) *Grundriss der Heilpädagogik*, Leipzig.

HERMAN, G. (1903) *'Genesis', das Gesetz der Zeugung*, Bd. 5, *Libido und Mania, Leipzig.*

HIRSCHFELD, M. (1899) 'Die objecktive Diagnose der Homosexualität', *Jb. sex. Zwischenst.*, 1, 8.

(1904) 'Statistiche Untersuchungen über den Prozentsatz der Homosexuellen', *Jb. sex. Zwischenst.*, 6. .

HUG-HELLMUTH, H. von (1913) *Aus dem Seelenleben des Kindes*, Vienna.

[*Trans.*: *A Study of the Mental Life of the Child*, New York, 1919.]

JAHRBUCH FÜR SEXUELLE ZWISCHWENSTUFEN.

KIERNAN, J. G. (1888) *Med. Stand.* (Chicago), Nov. and Dec.

KINDERFEHLER, DIE.

KRAFFT-EBING, R. von (1895) 'Zur Erklärung der conträren Sexualempfindung', *Jb. Psychiat. Neurol.*, 13, 1.

LINDNER, S. (1879) 'Das Saugen an den Fingern, Lippen, etc., bei den Kindern (Ludeln)', *Jb. Kinderheilk.*, N. F., 14, 68.

LIPSCHÜTZ, A. (1919) *Die Pubertätsdrüse und ihre Wirkungen*, Bern.

LYDSTON, G. F. (1889) *Philadelphia Med. Surg. Rep.*, Sept. 7.

MOEBIUS, P. J. (1900) 'Über Entartung', *Grenzfr, Nerv.-u. Seelenleb.*, 3.

MOLL, A. (1898) *Untersuchungen über die Libido sexualis*, Bd. I, Berlin.

(1909) *Das Sexualleben des Kindes*, Berlin.

NACHMANSOHN, M. (1915) 'Freuds Libidotheorie verglichen mit der Eroslehre Platos', *Int. Z. Psychoanal.*, 3, 65.

PÉREZ, B. (1886) *L'enfant de trois à sept ans*, Paris.

PREYER, W. (1882) *Die Seele des Kindes*, Leipzig.

RANK, O. (1909) *Der Mythus von der Geburt des Helden.* Vienna.

[*Trans.*: *The Myth of the Birth of the Hero*, New York, 1914.]

(1924) *Das Trauma der Geburt*, Vienna.

[*Trans.*: *The Trauma of Birth*, London, 1929.]

RIEGER, C. (1900) *Die Castration*, Jena.

ROHLEDER, H. (1899) *Die Masturbation*, Berlin.

SCHRENCK-NOTZING, A. Von (1899) 'Literaturzusammenstellung über die Psychologie und Psychopathologie der Vita sexualis', *Z. Hypnot.*, 9, Heft 2, 98.

STRÜMPELL, L. (1899) *Die Pädagogische Pathologie*, Leipzig.

SULLY, J. (1895) *Studies of Childhood*, London.

TARUFFI, C. (1903) *Hermaphroditismus und Zeugungsunfähigkeit* (German trans. by R. Teuscher), Berlin.

WEININGER, O. (1903) *Geschlecht und Charakter*, Vienna.

[*Trans.*: *Sex and Character*, London, 1906.]

ADDENDUM

FREUD, S. (1910i) 'Die psychogene Sehstörung in psychoanalytischer Auffassung', *G. S.*, 5, 310; *G. W.*, 8, 94.

[*Trans.*: 'The Psycho-Analytic View of Psychogenic Disturbance of Vision', *C. P.*, 2, 105; *Standard Ed.*, 11, 211.]

قاموس المصطلحات
الواردة في الكتاب

A

Abasia	العجز عن المشي
Aberration	انحراف
Adolescence	مراهقة
Adult	راشد
Affection	(١) وجدان ـ (٢) محبة
Affective	وجداني
Agoraphobia	خُواف الأماكن الفسيحة
Algolagnia	شهوة الألم
(algo = ألم ، lagnia = شهوة)	
Ambivalence	تناقض وجداني
Amnesia	فقدان الذاكرة
infantile —	فقدان الذاكرة الطفلي
Anamnesis	تذكر
Archaic	قديم
Astasia	العجز عن الوقوف
Atrophy	ضمور

B

Bisexuality	الثنائية الجنسية

C

Castration	خصاء
— Complex	عقدة الخصاء
Catharsis	تفريغ
Character	(١) خُلُق - (٢) خاصّة
Cloaca	مخرج ، مبرز
Compulsion	قهر ، إجبار
Consciousness	شعور
Constitution	جِبِلّة
Contrectation	لمس
Conversion	تحوّل

D

Degeneracy, degeneration	انحلال
Degenerate	منحل
Delusion	هُذاء
Dementia praecox	جنون مبكر
Deviation	انحراف
Displacement	نقل
Disposition	استعداد

E

Ego	الأنا
ego-libido	ليبدو الأنا
Enuresis	بُوال
nocturnal —	بُوال ليلي
Epilepsy	صرع
epileptic fit	نوبة صرع

Erotic	شبقي
auto-erotic	شبقي ذاتي
homo-erotic	شبقي مثلي
Erotism, eroticism	شبقية
anal —	شبقية شرجية
oral —	شبقية فمية
auto —	شبقية ذاتية
homo —	شبقية مثلية
object —	شبقية الموضوع
subject —	شبقية الذات
Erotogenecity	خاصية توليد الشبقية
Erotogenic	مولّد للشبقية ، شبقي
— zone	منطقة شبقية (أو مولّدة للشبقية)
Etiology, aetiology	تعليل المرض ، علم أسباب المرض
Excitation	إثارة ، تهيج
Excitement	تهيج
Exhibitionism	عرّض
Exhibitionist	عارض
Extra	أداة معناها خارج عن أو ظاهر
— uterine	خارج الرحم
— uterine life	الحياة خارج الرحم (بعد الولادة)

F

Feeling	شعور وجداني ، وجدان
Fetish	فتيش
Fetishism	الفتيشية
Fixation	تثبيت
Frustration	إحباط

G

Genital	تناسلي
— phase	المرحلة التناسلية
— zone	المنطقة التناسلية
Genesis	نشوء ، تكوين
psychogenesis	نشوء نفسي

H

Hermaphrodite	خنثي
Hermaphroditism	خنوثة
psychic —	خنوثة نفسية
true —	خنوثة حقيقية
Heterosexual	غيري الجنس
Heterosexuality	الجنسية الغيرية
Homosexual	مثلي الجنس
Homosexuality	الجنسية المثلية
Hysteria	هستيريا
globus hystericus	الاختناق الهستيري
Hysterogenic	مسبب للهستيريا
— zone	منطقة مسببة للهستيريا (أو منطقة هستيرية)

I

Identification	توحّد
Impotent	عنين (ضعيف القدرة الجنسية)
Impression	انطباع ، تأثير
Incorporation	الإدماج في بدن الفرد
Infantile	طفلي

Infantilism	طفولية ، طفولة
Inhibition	كفّ
Innate	فطرى
Instinct	غريزة
grasping —	غريزة المسك
— of mastery	غريزة السيطرة
— of (for) knowledge	غريزة المعرفة
Intensity	شدة
Interstitial	متخلل ، بين الأنسجة الخلوية
Intra	أداة معناها داخل
— uterine life	الحياة داخل الرحم
Inversion	ارتكاس
Invert	مرتكس
absolute —	مرتكس ارتكاساً تاماً
amphigenic —	مرتكس ثنائي الارتكاس
contingent —	مرتكس بالعَرَض
Involution	اغتلاف
— of the uterus	اغتلاف الرحم (رجوع الرحم بعد الحمل لحالته الطبيعية)

L

Labial zone	منطقة شفوية
Latency	كمون
— period	مرحلة الكمون
Libido	الليبدو : « (١) الطاقة الجنسية (٢) الطاقة النفسية »
ego-libido	ليبدو الأنا
object-libido	ليبدو الموضوع

M

Masochism	مازوكية
Masturbation	استمناء
Memory	(١) ذكرى ، (٢) ذاكرة ، (٣) تذكر
screen-memory	ذكرى حاجبة

N

Narcissism	نرجسية
Narcissistic	نرجسي
Nausea	غثيان
Neurasthenia	نورا ستينيا
Neuropathy, Neuropathia	مرض عصبي
Neurosis	عصاب (مرض نفسي)
obsessional —	عصاب وسواسي
Neurotic	عصابي
Nocturnal emission	احتلام ، امناء ليلي
Normal	سوي
Normality	سواء

O

Object	موضوع
sexual —	موضوع جنسي
object-choice	اختيار الموضوع
Ontogenesis	نشوء الفرد
Oral	فمي
Orgasm	نهاية الجماع ، لذة الجماع
Ovum	بيضة

P

Pan-sexualism	المذهب الذي يفسر جميع السلوك الإنساني على أساس الجنس
Paranoia	بارانويا
Pathogenesis, Pathogeny	تولد المرض ومنشؤه
Pathogenic, Pathogenetic, pathogenous	ممرض ، مسقم
Pathogenicity	إسقام (حالة كونه مسقماً أو ممرضاً)
Pathology	علم الأمراض
Perversion	انحراف
Pervert	منحرف
positive —	منحرف إيجابي
negative —	منحرف سلبي
Phallic	قضيبي
— phase	المرحلة القضيبية
Phylogenesis, Phylogeny	نشوء النوع (أو السلالة)
Pleasure	لذة
fore-pleasure	لذة تمهيدية
end-pleasure	لذة نهائية
Polymorphous	متعددة الأشكال
Precocity	نضج مبكر
Pregenital	قبل تناسلي
— organization	التنظيم القبل التناسلي
Projection	إسقاط
Prototype	نموذج أولي
Psychogenesis	نشوء نفسي
Puberty	بلوغ

— gland	غدة البلوغ

R

Race	سلالة ، عِرْق
Reaction	رد فعل ، رَجْع
— formation	تكوين رد الفعل
Regression	نكوص
Repression	كبت

S

Sadism	السادية
Sadistic	سادي
sadistic-anal phaze	المرحلة السادية الشرجية
Scatology	دراسة البراز
Scopophilia	حب النظر
(scopo = نظر ، philia = حب)	
Scopophillic instinct	غريزة حب النظر
Sensual	شهواني
Sex	جنس
— gland	غدة الجنس
— cells	خلايا الجنس
Sexual	جنسي
— aim	هدف جنسي
— object	موضوع جنسي
— polarity	تناقض جنسي
Spermatozoon	حيوان منوي
(pl. Spermatozoa)	
Stimulation	تنبيه

Sublimation	إعلاء ، تسامي
Suggestion	إيحاء
hypnotic -	إيحاء تنويمي
Suppression	قمع
Symptom	عَرَض

T

Teleological	غائي
Thyroid	الغدة الدرقية
Transference	تحويل
— neurosis	عصاب التحويل
Trauma	(١) صدمة ، (٢) إصابة

U

Unisexual	وحيد الجنس
Unisexuality	وحدانية الجنس

V

Vestibule	الدهليز
vestibular nerves	أعصاب الدهليز
Voyeur	نَظّار
Voyeurism	نَظّارية (مرادفة في المعنى لحب النظر)

مكتبة أصول علم النفس الحديث

يشرف على ترجمتها
الدكتور محمد عثمان نجاتي

صدر منها:

علم النفس الاكلينيكي: تأليف جوليان ب. روتر
ترجمة الدكتور عطية محمود هنا،
استاذ علم النفس بجامعة عين شمس وجامعة الكويت
الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

علم نفس الشواذ: تأليف شيلدون كاشدان
ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة، أستاذ
علم النفس بجامعة الأزهر وجامعة الرياض.
الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

الشخصية: تأليف ريتشارد س. لازاروس
ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم
استاذ علم النفس بجامعة عين شمس
وجامعة الامارات العربية.
الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

التعلم: تأليف سارنوف د. ميرنيك، وهوارد د.
پوليو، واليزابت ف. لوفتاس
ترجمة الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل،
استاذ علم النفس بجامعة عين شمس وجامعة الكويت.
الطبعة الثانية ١٩٨٤.

الاختبارات والمقاييس: تأليف ليونا أ. تايلر
ترجمة الدكتور سعد عبد الرحمن
أستاذ علم النفس بجامعة الكويت
الطبعة الأولى، ١٩٨٣

دار الشروق-بيروت

مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي

بإشراف الدكتور محمد عثمان نجاتي

- معالم التحليل النفسي تأليف سيجمند فرويد ،
  ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣
- الأنا والهو تأليف سيجمند فرويد ،
  ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢
- الكف والعَرَض والقلق تأليف سيجمند فرويد ،
  ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣
- ثلاث رسائل في نظرية الجنس تأليف سيجمند فرويد ،
  ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥

دار الشروق

لِلـــمُؤلِف

- الإدراك الحسي عند ابن سينا : بحث في علم النفس عند العرب .
  الطبعة الثالثة
  بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٠ .
- علم النفس في حياتنا اليومية :
  الطبعة الحادية عشرة .
  الكويت : دار القلم ، ١٩٨٤ .
- علم النفس الصناعي :
  الطبعة الثالثة
  الكويت : مؤسسة الصباح ، ١٩٨٠ .
- المدينة الحديثة وتسامح الوالدين :
  الطبعة الثانية .
  القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ .
- علم النفس الحربي :
  الطبعة الثالثة .
  القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٠ (نفد) .
- ملامح جريمة القتل :
  بالاشتراك مع آخرين
  من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية –
  القاهرة ، ١٩٧١ .

مطابع الشروق

بيروت: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا شروق - تلكس 93091 SHROK UN